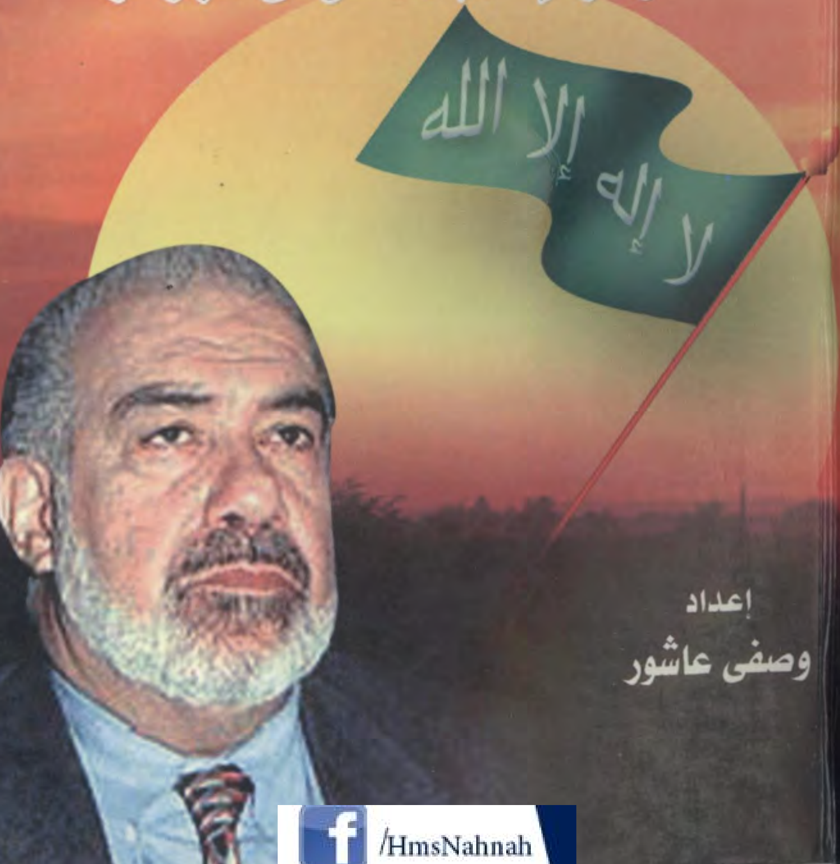
وداعًا محفوظ نحناح

رمز الإسلام المعتدل فى الجزائر



إعداد

وصفى عاشور

وداعاً محفوظ نحناح

وصفى عاشور

دار التوزيع والنشر الإسلامية

هذا الكتاب

إن موت العلماء والدعاة والمصلحين مصيبة ، ومؤذن بخراب الدنيا ، فإن أعظم ما تُصاب به الأمة بعد مصابها بسيد الأنبياء ﷺ أن تُصاب فى علمائها وقادتها .

والكتاب يتحدث عن رحيل الداعية المجاهد والمصلح المتميز ، والعالم البصير بالشرع ، ومحْكَمَاتِه ، والواقع ومتطلباته ، الأستاذ الشيخ محفوظ نحناح - رحمه الله - . وقد مَثَّل رحيله خسارة فادحة للشعب الجزائرى ، على وجه الخصوص ، وللأمة العربية والإسلامية على وجه العموم .

وقد قام الباحث الأستاذ / وصفى عاشور بجمع جُلّ ما كُتب عن الأستاذ محفوظ من الجرائد ، والمجلات ، ومواقع شبكة المعلومات (الإنترنت) فشملت رثاءً لكتّاب كثيرين من مختلف أقطار العالم الاسلامى ، وشتى الاتجاهات والطبقات .

كما شملت كثيراً من الذكريات ، بينه وبين كثير من رموز الحركة الإسلامية .

كما احتوت على نظرات فى الفكر الإسلامى ، وفقه الدعوة من خلال أفكاره ، ومواقفه المختلفة .

كما ضمت قطعاً من الأدب المصفى ، فى فن الرثاء ، يصلح أن يتربى عليها الناشئة فى الأدب .

نسأل الله أن يتغمد الفقيد بواسع رحمته ومغفرته

والله الهادى والموفق إلى سواء السبيل

الناشر

دار التوزيع والنشر الإسلامية

٢٥١ ش بورسعيد ت: ٣٩٠٠٥٧٢ فاكس: ٣٩٣١٤٧٥

email:info@eldaawa.com www.eldaawa.com

وداعاً.. محفوظ نحناح

رمز الإسلام المعتدل فى الجزائر

جمع وإعداد
وصفى عاشور أبو زيد

الطبعة الأولى للناشر

١٤٢٤ هـ = ٢٠٠٣ م

رقم الإيداع : ١٧٤١٩ / ٢٠٠٣

الترقيم الدولى : .I.S.B.N

977 - 265 - 476 - 8

دار التوزيع والنشر الإسلامية

مصر - القاهرة - السيدة زينب ص. ب ١٦٣٦
٢٥١ ش بورسعيد ت: ٣٩٠٠٥٧٢ - فاكس: ٣٩٣١٤٧٥
مكتبة السيدة: ٨ ميدان السيدة زينب ت: ٣٩١١٩٦١
www.eldaawa.com
email:info@eldaawa.com

مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، سيدنا محمد عليه وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فإن موت العلماء والدعاة والمصلحين - كما جاء عن السلف - مصيبة، ومؤذن بخراب الدنيا، فإن أعظم ما تُصاب به الأمة بعد مصابها بسيد الأنبياء ﷺ أن تصاب فى علمائها وقادة الرأى فيها.

وقد رحل عنا هذا الداعية المجاهد، والمصلح المتميز، والعالم البصير بالشرع ومحكماته والواقع ومتطلباته الأستاذ الشيخ محفوظ نحناح رحمه الله.

وقد مثل رحيله خسارة فادحة للشعب الجزائرى على وجه الخصوص، وللأمة العربية والإسلامية على وجه العموم.

وقد قمت - بتوفيق الله - بجمع جل ما كتب عنه - إن لم يكن كله - من الجرائد والمجلات ومواقع الإنترنت توفية لبعض حقه على الأمة وعلى الحركة الإسلامية.

وقد شملت هذه الرثاءات التى جمعناها كُتَّابًا كثيرين من مختلف أقطار العالم الإسلامى، وشتى الاتجاهات والطبقات؛ ليكون ذلك دلالة قاطعة على أن هذا الرجل جزائرى الجنسية، إسلامى الثقافة، ربانى الوجهة، عالمى العطاء.

كما اشتملت على كثير من الذكريات بينه وبين كثير من رموز الحركة الإسلامية، مما لا يكاد يوجد فى كتب أو مقالات، واحتوت على نظرات فى الفكر الإسلامى وفقه الدعوة من خلال أفكاره ومواقفه المختلفة، كما ضمت قطعاً من الأدب المصفى فى فن الرثاء يصلح أن يتربى عليها الناشئة فى الأدب، كل هذا جدير أن يتأمله المهتمون بالشأن الإصلاحى والدعوى فى هذه المسيرة الحافلة بالحركة والعطاء، والله الهادى إلى سواء السبيل.

وصفى عاشور أبو زيد

القاهرة

٣ جمادى الآخرة ١٤٢٤ هـ

الموافق ٢ أغسطس ٢٠٠٣ م

أضواء على شخصية الشيخ محفوظ نحناح (١)

مقدمة

يعتبر الشيخ محفوظ نحناح جزءاً مهماً من ظاهرة الحركة الإسلامية المعاصرة، أو بالأحرى معلماً من معالم حركات التغيير المنطلقة من ثوابت الأمة الإسلامية فى العصر الحالى.

والمثير فى ظاهرة وشخصية الشيخ محفوظ نحناح، بل والمثير جداً هو ذلك النمط من التعامل من جهة ومن الوسائل والأساليب التى اتخذها فى عملية التغيير ومنهجية المعارضة السياسية أو بالأحرى منهجية الإصلاح السياسى فى وطنه الجزائر وفى مسار الحركة الإسلامية عموماً.

فالشيخ محفوظ نحناح انطلقت حركيته من مصادر فكره، فهو ابن المدرسة الإسلامية الأصيلة والطموحة نحو تطبيق حقيقى لنظرية: «الإسلام صالح لكل زمان ومكان»، وإخراجها من دائرة المجاملات، ومن دائرة النظرى المثالى إلى دائرة التطبيق الواقعى.

ولهذا تأتى هذه الأوراق اليوم للحديث عن شخصية الشيخ محفوظ نحناح أو جزء من شخصيته؛ لأنه لا نستطيع حقيقة فى مثل هذه الأوراق تحليل شخصية الشيخ محفوظ نحناح وعلمه وعمله، ولكننا سنتحدث اليوم من أجل إلقاء الضوء على هذه النمطية المتميزة فى إدارة العمل التغييرى، وإدارة الإصلاح السياسى، وجمع المفارقات التى ظلت ما يقارب

(١) مقالة للأستاذ أحمد الدان.

نصف قرن متناثرة فى مفاهيم التيار الوطنى والإسلامى، العربى، القومى، وكذا التيار النخبوى والشعبى، والتى انتظمت كلها فى عقد واحد.

هذه النمطية المتميزة التى يعتبر الشيخ محفوظ نحناح المحور الرئيسى لها فى المغرب العربى، وأحد أهم محاورها فى العالم الإسلامى.

ينضاف إلى ذلك أن الشيخ محفوظ نحناح، أصبح مثار جدل ومثار التباس عند الكثير من الباحثين والمفكرين والدعاة بسبب بعدهم عنه أو بسبب العجز عن مواكبته أو بسبب تنازع خفى تدفع إليه الرغبة فى بسط السيطرة على العمل الدعوى والسياسى، وما يتطلبان من جهد لتوسعة التنظيم.

فالشيخ محفوظ نحناح مثار جدل فى نظرية التغيير بين خصومه وبين مؤيديه، صاحب هذا الجدل وأضفى عليه نوعًا من التضخيم الأحداث الأخيرة التى حدثت فى العالم الإسلامى والتى تعلقت بموضوع الإسلام والتغيير السياسى، والعنف الذى ارتبط بالإسلام والإسلام السياسى، وتجارب الجهاد والنمط الثورى والعصيان المدنى الذى ارتبط بموضوع الإسلام، ورد الفعل على الاستعمار الذى اعتدى على الشعوب الإسلامية، أو على الاضطهاد الذى مارسته الأنظمة على الحركات الإسلامية والقمع الكبير الذى قمعت به هذه الحركات، وقُمع به الفكر الإسلامى، وضيق عليه. هذه الموجة أضفت حقيقة التضخيم على أعمال الشيخ محفوظ نحناح التى اندرجت دائمًا فى سياق جديد غير السياق المعهود فى الحركات الإسلامية عبر العالم، كما صاحب هذا الجدل الكم

الهائل من الشبهات والإثارات والتفسيرات المتناقضة لمواقف الشيخ محفوظ نحناح التى عمدت بعض الأطراف الخصمة له بسبب المنافسة والمزاحمة أو الخصمة للإسلام وللجزائر إلى تضخيمها ونشر الإشاعات والأراجيف حولها، وعمدت الأطراف الإسلامية التى رأت فى فكر الشيخ محفوظ نحناح المعتدل، والمرحلى خطرًا على تطرفاتها وعلى آنيتها وعلى محاولتها فى جنى الثمار سريعًا، وعلى حساب إدخال البلد وإدخال الشعب كله فى متاهة الفتن، هذه الفتن التى وجدت دائمًا من فيهم القابلية لإذكائها أو الاقتيات منها.

ومحاولة منا فى إضافة شىء جديد للساحة الوطنية من ناحية، ومحاولة تصحيح بعض الأغلوطات الموجودة والمساهمة فى وضع قاعدة مرجعية لتحليل وفهم فكر وممارسة الشيخ محفوظ نحناح، السياسية والإصلاحية والتغييرية فى هذه المراحل. نقدم هذه المحاولة بين يدى القارئ الذى تضطرب الساحة أمامه وتعصف به مختلف الأعاصير الطبيعية والمصطنعة.

كما أنه ونحن نستشرف عقودًا قادمة من الألفية الثالثة تبرز دائمًا فى مقدمتها الحاجة إلى تثمين الجهود، وكل الجهود التى قام بها الإصلاحيون ورجال التغيير على مستوى العالم، وعلى رأسهم بالنسبة لنا الشيخ محفوظ نحناح الذى أعطى بعدًا آخر للعمل التغييرى وفق النظرية الإسلامية، لأن العديد من الجهود التى ميزت الخطاب فى العمل السياسى وفق النظرية الإسلامية، بقيت فى طى الأوراق وعبر نظريات مثالية، لكن

الطريقة أو النمط الذى سار عليه الشيخ محفوظ نحناح هو مسار واقعى ومسار ميدانى جسد بعضًا من هذه النظريات التى حملها الخطاب الإسلامى واحتوتها نظريات التغيير، والتى ظلت غارقة أو متخفية فى أوراق الكتب رغم قوتها وصلاحيتها إلى أن وجد من يستطيع أن يدير عملية الإسقاط للنظرية على الواقع بطريقة لافتة للانتباه عكست قدرة المهندس على استخراج الكنز الذى ظل مغموراً طويلاً، خاصة ونحن ندخل فى قرن جديد، هذا القرن الذى يحتاج من الحركات التغييرية فى العالم العربى والإسلامى إلى نظرة تجديدية، لا تكون حبيسة المواقف فقط، لكى تصبح عبارة عن نظرية محددة فى المسار التغييرى لابد لها من السير فى واقع الناس، حتى لا تذهب هذه الحركات الإصلاحية التغييرية بعيداً أو تعمل فقط انطلاقًا من التاريخ وانطلاقًا من القراءة والنص، الأمر الذى عكس حالة الإحباط لدى كثير من المشاريع وأصحابها ذوو نوايا حسنة لا محالة ويحسبون أنهم يحسنون صنعاً.

أسس التكوين الفكرى للشيخ محفوظ نحناح:

الشيخ محفوظ نحناح نحت نحتًا، وكانت عصاميته أهم وأبرز عوامل التأثير فى مساره السياسى، ولكن قوة التأثير التى كانت تتميز بها مرحلة التكوين السياسى للشيخ محفوظ نحناح، قوة التغيير لدى الزعماء الكبار فى العالم الإسلامى كانت جد كبيرة وعلى رأس هؤلاء:

١ – رجالات الحركة الوطنية الذين عاصر بعضهم الشيخ محفوظ نحناح وتربى فى مدرسة الإرشاد التى هى مدرسة الحركة الوطنية، تلك

الحركة التى كانت تتميز بتعددية وثراء كبير جداً فى التعامل السياسى وفى الرؤية السياسية، وبالرغم من أن الاستعمار فرض خلال عدة محاولات عملية المسخ داخل الأمة إلا أن الحركة الوطنية كانت تتميز بالصلابة وتتميز بالواقعية التى صنعت جيلاً ربما نستطيع القول إنه جيل الثورة الذى تشرب من الحركة الوطنية مفاهيم الوطنية، ومفاهيم الإسلام، واستحضار معانى الحرية والتحرر والانعتاق، والكرامة الإنسانية والشخصية الوطنية ومفاهيم الثبات، ومفاهيم الاستقلال ومفاهيم الصراع، وبالرغم من اختلاف المدارس الموجودة فقد كانت الحركة الوطنية بكل شرائحها تفرض تغييراً حقيقيًا وقويًا على الساحة التى استقوت فى عملية التعبئة الجماهيرية بالشعار الثلاثى الرادع: «الإسلام ديننا والعربية لغتنا والجزائر وطننا».

٢ – القسم الثانى الذى كان له تأثير كبير جداً فى شخصية الشيخ محفوظ نحناح هو جمعية العلماء المسلمين، ذلك أن جمعية العلماء المسلمين جزء من الحركة الوطنية إلا أنها تتميز بالإسلامية التى جعلتها نموذجاً آخر غير النموذج العادى فى الحركة الوطنية من خلال اقترانها بالإسلام واقترانها بالمفاهيم الإسلامية، وبالتربية الإسلامية. هذه التربية الإسلامية التى صاغها رجال كبار لهم تأثير كبير وعلى رأس هؤلاء المؤثرين الفاعلين منهم فى شخصية الشيخ مفوظ نحناح ثلاثة:

أولهم: الشيخ عبد الحميد بن باديس، الرجل المؤسس لجمعية العلماء المسلمين والزعيم الروحى للجزائر، والمفسر للقرآن والمصلح والداعية

النموذج الذى كان سلفى المنهج، صوفى الحياة، مجاهداً ضد الاستعمار بكل ما أتاه الله من قوة عمل ووحدة وتجميع لكل علماء الأمة وعلماء الوطن، صاحب فضل على الحركة الإصلاحية فى الجزائر بلا منازع.

ثانيهم: الشيخ البشير الإبراهيمى، الرئيس الأول لجمعية العلماء المسلمين بعد الشيخ ابن باديس وأحد مؤسسيها الرئيسين والرجل العالم الفذ الذى كان عملاقًا فى مناحى الفكر والأدب واللغة والإصلاح، وكان صاحب صولة ولعله أكثر الناس تأثيرًا فى الشيخ محفوظ نحناح، وأقرب الناس إلى شخصية محفوظ نحناح هو ذلك الرمز الشيخ البشير الإبراهيمى، الذى نقل حقيقة الثورة الجزائرية وهموم الجزائر إلى كل أنحاء العالم الإسلامى، وبذلك فك الحصار عن الجزائر تاريخًا وانتماءً وثورة وفجر برحلاته الوجدان الإسلامى الخامد بفعل الاستعمار.

والشخصية الثالثة التى تأثر بها الشيخ محفوظ نحناح هو الشيخ الفضيل الورتلانى، الرجل الذى تجاوز حدود الوطن ليصبح مصلحًا عالميًا وداعية من أهم دعاة الأمة الإسلامية، وسفير الإسلام فى أكثر من دولة وأحد الرموز الذين ظل الشيخ محفوظ نحناح يعتبرهم من أهم أساطين التأثير فى الحركة الإسلامية ومسار الحركة الإسلامية. والشيخ الفضيل الورتلانى قرين للشيخ البشير الإبراهيمى، وأحد السياسيين المحنكين والعلماء الفطاحل والمصلحين المجددين، الذين قاموا بالعمل الإصلاحى والتأثير فى مدارس التغيير السياسى، وكان أكثر الناس احتكاكًا بمدارس التغيير فى مصر واليمن وسوريا وفى تركيا وفى الجزائر طبعًا.

وهذه الشخصيات الثلاث تعتبر تأثير جمعية العلماء المسلمين، فى شخصية الشيخ محفوظ نحناح، ولكنها أيضًا ذات بعد شخصى أو تأثير شخصى متميز.

مدرسة الإمام البنا رمز آخر للتأثير الإيجابى القوى:

إلى جانب الشيخ محفوظ نحناح تأثر بمدرسة حسن البنا، مجدد القرن العشرين وزعيم حركة الإخوان المسلمين وأحد الذين نقلوا فكر الإسلام من النظرية إلى التطبيق، وأحد الذين عملوا على وحدة الأمة الإسلامية وتخليصها من الاستعمار، وعملوا على طرح نظرية حقيقية متكاملة للبناء الإسلامى، والنظام الإسلامى فى الدولة والمجتمع، بما لم يسبقه به غيره من المصلحين، وكان تأثيره بارزًا فى حياة الشيخ محفوظ نحناح وفى عمله، لأن الإمام حسن البنا رحمه الله رغم هيامه بجغرافية مصر ودولتها وتاريخها العظيم فإنه ليس رجلاً محدود العمل فى دولة أو قطر بل يملك نظرة عالمية، ونظرته فى ضرورة الدعوة والإصلاح العالمى، كانت ذات تأثير أيضًا عالمى، وكان الاعتدال الذى يتميز به الإمام حسن البنا والوسطية التى يتميز بها والربط بين المعاصرة والأصالة وضرورة أن يحمل المصلحون مشاعل الإصلاح من خلال وقود العصر، كان هذا له تأثير فى حياة الشيخ محفوظ نحناح وفى فكره وممارسته، ويعتبر الإمام حسن البنا صاحب مدرسة أخرجت رجالاً آخرين مثل سيد قطب والشيخ محمد الغزالى والشيخ القرضاوى، ومن شابههم ولكن تأثير الإمام حسن البنا فى الشيخ محفوظ نحناح كان متميزًا تميزًا آخر.

الشيخ محفوظ نحناح كان صاحب احتكاك بكثير من قادة العالم الإسلامى، وقادة العالم الآخر، وقد عاش مرحلة التحرر التى صهرت مجموعة من الزعامات كان لها تأثير حقيقى فى مساره، فعندما نطالع تعبيره هو فيمن أثر فيه، لا نجده يستبعد شخصيات أجنبية، شخصيات غير إسلامية، لكنها فى نظره شخصيات إنسانية، شخصيات كاريزمية، استطاعت أن تؤثر فى أوطانها وتنال حقوق شعوبها، وهذا دليل فى شخصية محفوظ نحناح على سعة الأفق وعلى إمكانية تجسيد التعارف الحضارى المتعدد الأشكال والمتنوع والمخرج من دائرة التعصب وضيق الأفق.

ومن الأساتذة الذين تغذى من لبان وطنيتهم أستاذان جليلان :

١ - الأستاذ محمد محفوظى أحد أركان حزب الشعب ورمز من رموز المثقف المزدوج الرافض للاستعمار وسياسة الاندماج والثائر على الظلم والظالمين، وقد كان له تأثير كبير فى تفكير الشيخ محفوظ نحناح المتعلق بالثقافة والشخصية والمرأة واللغة العربية والوطنية بحيث نهل على يديه هذه المعارف فضلاً عن حضوره الدروس والخطب والمحاضرات التى كان يشرف عليها ويلقيها الأستاذ الثائر محمد محفوظى.

وعندما امتد العمر بالشيخ محفوظ نحناح كتب الله أن يتمتع بالفكر النير الثابت الذى تمثل فى فكر الأستاذ المفكر مالك بن نبى الذى قام بدور تفتيق ذهن النخب الدعوية فى ظرف تحولات وطنية عميقة.

وهناك شخصية عالمية أزهرية يمثلها العلامة الإمام محمد متولى الشعراوى الذى كان يلزم دروسه وندواته فى العاصمة والبليدة، وكان

يتشرب معانى القرآن الكريم ويتذوق ألفاظه على غير سابق من أهل التفسير، وقد كان لهذا العالم النحرير تأثير فى الساحة الجزائرية، وفى نخبها التى كانت تحضر ندواته وتتملى محاسن اللفظ العربى فى القرآن الكريم فى مرحلة تاريخية تتسم بتجسيد العودة إلى أصول الشعب الجزائرى.

أما الداعية الملهم الشيخ محمد الغزالى فقد كانت كتبه مرجعًا له فى فهم الإسلام منذ أن كان يدرس بعض فصول كتاب (ظلام من الغرب) فى دروس خاصة تحت قبة مسجد ابن سعدون بالبليدة والذى أكدته المحبة المتبادلة واللقاءات المباشرة بعد أن تيسر للشيخ الغزالى أن عين أستاذًا بالجامعة الإسلامية بقسنطينة، فقد كان الشيخ نعم السند لهذا العالم الفذ الذى وجد خصومًا له من العلمانيين الاستئصاليين وخصومًا آخرين من المنسوبين إلى الأصولية المتطرفة ولله فى خلقه شئون.

مدرسة الإمام ابن تيمية إشعاع التاريخ والنص :

وكان من أبرز من أثر فى حياة الشيخ محفوظ نحناح تاريخيًا الإمام ابن تيمية رحمه الله، الذى قاد مدرسة للإصلاح والاجتهاد فى ظرف تعطل فيه الاجتهاد الفكرى وحصل فيه الجمود السياسى فى الأمة، وكانت آثار مدرسة ابن تيمية بادية فى فكر الشيخ محفوظ نحناح وفى اجتهاداته، وفى تحرره الفقهى من المذهبية ومن الرؤى الضيقة، ومن الحدود المعطلة للتغيير الاجتماعى والتغيير السياسى، والإمام ابن تيمية مدرسة علاوة على أنها فكرية، ومدرسة سلفية فقهية، فهو مدرسة جهادية إصلاحية

تغييرية وتربوية كان له من تلاميذ أمثال ابن القيم الجوزية رحمه الله وكثير من الفطاحل، كما كانت له مدرسة للزهد ولكنه ليس الزهد الناسف، الزهد الطاغى على الحياة، بالعكس كان زاهداً فى حدود الزهد المعقول حيث كان عالمًا ومجاهداً، وكان مصلحًا وصابراً محتسبًا رغم الأذى الذى وصله، ويتكرر هذا مع الشيخ محفوظ نحناح.

فالشيخ محفوظ نحناح كان عالمًا ومفكرًا وسياسيًا وصابراً على ما أوذى من السجن، ولم يتركه ذلك يحقد على ساجنيه، بل كان باستمرار يحمل شعار العفو، مستدلاً دائمًا بالقول المأثور عن سيدنا عيسى عليه السلام «كل ينفق مما عنده».

وبالتأكيد هناك مدارس وشخصيات عديدة صاغت جزئيات فى شخصيته، حتى صارت شخصية زعيم مؤثر ويختلف حوله الناس كما أسلفنا فى مقدمة الحديث.

ونستطيع القول أن هذا التأثر من ناحية المدارس الفكرية، والمدارس السياسية لم يكن تأثيرها على الشخصية فى حد ذاتها، ولكن كان تأثيرها على مدرسة محفوظ نحناح المتميزة الآن بصيغ الحوار والانفتاح وصيغة المشاركة السياسية وصيغة الاعتدال والسلم التى أصبحت مدرسة تكسر نمطية التعامل التى حلت فى الدول الحديثة العربية والإسلامية بعد الاستعمار، نمطية الصراع بين السلطة وشعبها، إلى نمطية جديدة هى التعاون والتواؤم وتجميع الطاقات المختلفة والاتفاق فى الحد الأدنى، ووجود مساحات وفضاءات جديدة للتلاقى والتعاون مبنية على أساس الحوار

وعلى أساس الصراحة، وعلى أساس التوافق وعلى أساس الاحتكام إلى حريات الشعوب.

وهذا الفكر المميز، ليس فكراً متميزاً كفكر، بل تميز كممارسة وتطبيق وبرامج عمل، وتأثير فى شخصيات أفرزتهم مدرسة الشيخ محفوظ نحناح خصوصاً عند العقدين الأخيرين من القرن العشرين.

مراحل التكوين والبناء:

لقد مرت مراحل تكوين الشيخ محفوظ نحناح الفكرى والسياسى بعدة مراحل:

١ - كانت مرحلة النشأة الفكرية مرحلة التفاعل الحضارى الذى فرضه الاستعمار على الأمة الإسلامية، وولد فعلاً جهاديًا وفكريًا ثقافيًا، رفض القابلية للاستعمار والخضوع له، وقاد هذا الفكر مجموعة من الفطاحلة أمثال جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده، ورشيد رضا، وأمثال عبد الحميد بن باديس، والبشير الإبراهيمى ومالك بن نبى، وأمثال العرابى والبارودى وأمثال الشيخ المودودى، وأمثال الشيخ السباعى، وأمثال علماء العراق، وعلماء سوريا، وزعمائها الوطنيين، وكذا أمثال الأمير عبد القادر رحمة الله عليه، والشيخ بوعمامة.. فهذه الشخصيات كانت نماذج قليلة حقيقة من العديد من النماذج التى أثرت فى عملية الرفض للخنوع الحضارى وللاستمرار فى الاستعمار وفى التبعية، وهذا أوصل أو أنتج أمثال الشيخ محفوظ نحناح، وكان التفاعل يأخذ أكثر من شكل فكرى، وسياسى ونضالى، قتال مسلح، وتمردات.

٢ ـ كانت المرحلة الثانية، مرحلة مشاركة الشيخ محفوظ نحناح فى الثورة الجزائرية، هذه المشاركة التى صنعت منه الشخصية الملتزمة بمسئولية التغيير والقادرة على هذا التغيير، لأن الثورة الجزائرية ضربت أروع الأمثلة فى القدرة على التغيير بأبسط الإمكانيات لأنها توفرت على الإرادة التى تضمنت قوة الرغبة فى الاختيار، كما توفرت على العقيدة، والتنظيم، وما دام هنالك هدف واضح، مهما كانت قوة الخصم أو العدو، وهذا أثر حقيقة فى المنظومة الفكرية للشيخ محفوظ نحناح حولها إلى منظومة حركية ديناميكية، لا تعيش الترف الفكرى ولكن تعيش التغيير الفكرى.

٣ ـ كانت مرحلة الاستقلال مرحلة أعطت فرصة لإطارات الجزائر عموماً، فرصة التعليم الجامعى بعد الثورة، هذه الفرصة الجامعية التى أعيد من خلالها تشكيل إطارات الجزائر، الإطارات التى منعتهم ظروف الثورة من الالتحاق بالدراسة، عوضوا بعد الاستقلال بالالتحاق بمقاعد الدراسة حيث أصبحت فضاءات التدريس مركزاً حقيقياً لتفاعل العلم مع التجربة الثورية، وتفاعل العلم مع التجارب العالمية الموجودة، وقد كان الشيخ محفوظ نحناح طالب أدب، وكان من الذين أسسوا المسجد الجامعى الأول، مسجد الجامعة المركزية، والذى كان أول من يحاضر فيه الأستاذ المفكر مالك بن نبى، المفكر المتميز والذى أثر فى صياغة شخصية الشيخ محفوظ نحناح صياغة متميزة. فمالك بن نبى صاحب تجربة فكرية رائدة وكان صاحب علاقة مع بعض الأنظمة العربية بحيث وفر الاطلاع على

عمق تجربة ما بعد الاستعمار من ناحية، وتجربة الثورة الجزائرية من ناحية ثانية، وكان يقدم طروحات لتجديد الفكر ولتجديد النظام العربى والنظام الإسلامى وفق محور طانجا ـ جاكرتا، ووفق نظرية التحالفات التى كان يطرحها آفروآسياوية التى كانت مقهورة أمام تجاذب قطبى الصراع الاشتراكى والرأسمالى.

الجامعة كانت محل صياغة الشخصية القيادية للشيخ محفوظ نحناح، والشخصية المستفيدة من التجربة العالمية فى الحركة الإسلامية من ناحية ثانية.

والشخصية التى استفادت من ظروف الطلبة والطلاب فى ظروف كانت فيه الجامعة الجزائرية مهداً حقيقياً لمرحلة ما بعد الاستقلال فكراً وإدارة وسلوكاً، وقيادة للرأى العام، وتعرفاً على نخب جزائرية ضاقت بها الجغرافيا الواسعة والقوانين التعسفية التى تمنع الحضور الثقافى والإغاثى، انطلاقاً من فكرة أن الدولة وحدها المؤهلة لخدمة الشعب وتوفير سبل حياته الثقافية والاقتصادية والاجتماعية، واتسع لها صدر الجامعة، إلى غير ذلك، ثم جاءت مرحلة الثورة الزراعية أو الثورات الثلاث التى قام بها النظام آنذاك خصوصاً نظام بومدين الذى اتجه وجهة شيوعية اشتراكية فرضت الوقوف فى وجهها، فكان أحد الذين وقفوا ضد ظلم تأميم أملاك الناس وضد التوجه الإيديولوجى للدولة الجزائرية بعيداً عن ثوابتها، وضد الضغط الشيوعى على مسار الدولة الجزائرية، التى ارتمت فى أحضان روسيا فى ذلك الوقت، بحكم الثورة وبحكم العلاقة مع روسيا والصين

وكوبا، كان أحد الواقفين ضد هذا الاتجاه الشيخ محفوظ نحناح والذى دفع به إلى السجن والاعتقال ومجموعة من خيرة مؤسسى حركته التى كانت فى بداية تأسيسها وفى سنواتها الأولى، التأسيس التنظيمى، والتأسيس السياسى رغم المنع القانونى لهذا الموضوع، ثم كانت مرحلة ما بعد السجن، ومرحلة ما بعد السجن صيغت فيها شخصية الشيخ صياغة جديدة جمعت تجربة ما قبل الاستقلال وتجربة الاستقلال وتجربة الجامعة، وتجربة السجن والمعارضة التى اتخذت أشكالاً حادة فى ذلك الوقت، وتجربة السجن فى حد ذاته كفترة للحرية والتفكير لإعادة الحسابات وبدأت خصوصًا مرحلة ما بعد السجن تنسجم مع تطور كبير جداً فى الصحوة الإسلامية على مستوى الجامعات، وكان خروج الشيخ محفوظ نحناح من السجن بداية مرحلة جديدة لانتشار تنظيم الحركة التى أسسها وتوسع أفقها، وبداية طروحات فكرية متميزة على رأسها فكرة التنسيق العالمى والعلاقة مع التنظيمات الأخرى فى الحركة الإسلامية العالمية، وعلى رأسها أيضًا المعارضة للسلطة وكيفياتها، والإسلام السياسى وغير ذلك من المواضيع، التى كانت ومازالت محل جدل حقيقى داخل الساحة الفكرية والساحة الحركية المتأثرة سلبًا وإيجابًا بما يعمل فى الساحة الدولية من أحداث جسام، تستوجب التحليل وتعميق النظر فى تفاعلاتها وانعكاساتها، وقد تنبه مبكراً إلى ما يمكن أن يحصل من اندفاع أو انزلاق يتسبب فى زعزعة الاستقرار بفعل فاعل يتقصد إجهاض الصحوة الإسلامية، أو إثارة فتنة أهلية أو الدفع نحو المجهول خصوصًا أن التجربة الأفغانية والإيرانية وزوال دولة الصومال ماثلة للعيان.

٤ – ثم مرحلة التعددية السياسية فى الجزائر، وقد أفرزت تحديات جديدة:

أ – أول تحد هو التحدى ضد الإسلام، عندما أصبح الإسلام ممثلاً من أطراف، أولاً: متطرفة، ثانيًا: أطراف شعبوية، وثالثًا: عندما أطرت السلطة الجزائرية احتكار الإسلام بعيداً عن ترقيته مما فرض تحديًا جديداً على حركة الشيخ وشخصيته.

وفى هذه المرحلة نكاد نقول إن شخصية الشيخ ذابت فى حركته، وأصبح رمزاً للحركة أكثر منه رمزاً للشخصية الخاصة الذاتية المتميز بها.

هذا التحدى على موضوع الإسلام فرض مسئوليات جديدة: ضرورة حماية الإسلام من التطرف، حماية الإسلام من الغلو، حماية الإسلام من التشويه والانزلاقات التى كان يرى أنه ستعطى مسوغات للأنظمة الجائرة وأزلامها من العلمانيين فرصة الانقضاض على الحصون الإسلامية..

ب – فرض تحد جديد هو المحافظة على الدولة الجزائرية لأن طروحات التقسيم وطرحات اللا دولة، وطروحات الفوضى فى إدارة الدولة وتسييرها. والدولة فرضت فرضًا جديداً على الجميع وهو حماية الدولة الجزائرية من الانهيار بعد عملية الانزلاق مما اقتضى نوعًا من الفقه، فقه الأولويات، فقه درء المفاسد المقدم على جلب المصالح، صحيح أن خصوم الحركة والشيخ محفوظ نحناح هم معذورون بطبيعة الحال، ولكن تشكلت من جديد وتبلورت من جديد، شخصية متميزة بطابع جديد، يحمل وسائل الحوار،

وسائل تتميز بالتنظيم والحذر، وسائل تتميز بنظرة أوسع من القطر إلى نظرة تشمل الظروف الإقليمية والظروف الدولية، وتأثير هذه الظروف جميعاً على مسار الدولة والحركة وانعكاساتها عليها، مما ولد فكراً متميزاً طبع خلال المؤتمرات الرسمية لهذه الحركة بمفهوم المشاركة السياسية فى ظل نظريات أخرى تتسم إما بالمغالبة والتدمير وإما بالمطالبة والاتباع والاندماج داخل النظام، برز هذا الفكر الجديد المتميز بما يسمى بالمشاركة والذى يقوم على أساس واضح هو القول للمحسن أحسنت وللمسيء أسأت. التعاون مع كل الأطراف سواء كانت فى المعارضة أو فى السلطة، ليس تعاوناً على أساس المبادئ الوطنية المشتركة، ولعل هذا الموقع أصبح موقع الاعتدال الذى سيعاديه المتطرفون من كل لون.

وموقع الاعتدال الذى سجلت ضده خصومات متعددة من أطراف كثيرة، وموقع الوسطية الذى يقتضى توازناً يشبه السير على الحبال بما يعنى نبذ التعصب والمزاجية والحقد وتفنيد الأسس التى يقوم عليها التدين المزيف كما يقتضى تجلية المواقف والأحكام الإسلامية من المفاهيم والمصطلحات المعاصرة اعتماداً على ضرورة التجدد والاجتهاد وكسر الجمود وإحياء صحيح الدين ومقاصده، وتعليم الناس صحيح النظر بعيداً عن العواطف التى يعتبرها عواصف توفر أسباب الأخطار المحرفة بالإسلام وفكره وخصائصه وحركاته ودوله، كما تهيىء شروط حرمان العالم من الاستفادة من منظومات القيم المتعلقة بالحوار والتسامح والعدل والحرية والرحمة والمعانى الإنسانية النبيلة، وهذا كله لا يتأتى – فى نظره – من

التشدد والغلو والتوسع فى التحريم وإطلاق اللسان فى الأمور الفرعية، وفرض الرأى وتأثيم المخالف وإساءة الظن بالآخر، والوصول إلى مرحلة التبديع والتفسيق والتكفير والتقتيل، بما يعد نقيض اليسر الذى جاء به الإسلام. وهذا التصور كفيل – فى الجزائر – أن يجعل محفوظ نحناح فى زمرة المبتدعة أو المتخاذلين أو المتواطئين مع النظام الحاكم أو المتحالف مع العلمانيين الاستئصاليين الذين استفادوا من وجود الغلو والتشدد مما جعلهم يعممون التشدد على الإسلام بعد أن شملوا به كل الحركات الإسلامية.

لقد أدرك محفوظ نحناح أن للتشدد أسباباً ذاتية وسياسية وتحريكية داخلية وخارجية، لكنه أيضاً كان يفقه جيداً وبعمق أن آفة التشدد تعود فى تكوينها ونشأتها إلى أن ظرف التحول الذى عاشته الجزائر بعيد الإعلان عن الاستقلال كان أحد المكونات الأساس لهذه الآفة، كما أن أجهزة الدولة الناشئة الفتية مرشحة لأن تتهم بأنها لم تقم بدورها فى التحصين للذات الوطنية ما عدا التغافل عن بناء المساجد التى تتطلبها وضعية الخروج من قبضة الاستعمار، كما أنها – أجهزة الدولة – لم تعط الجرعة الكافية لحماية الأسرة والمجتمع والجامعة والإدارة والشباب، وانفسح المجال أمام الدعوات الهدامة والأفكار المادية المستوردة بما جعل ذلك خميرة الفتن والأزمات وكأن لسان الحال أنه بتوفر أجواء التغريب تتهيأ طرف الغلو والتشدد؟؟ غير أن ثمة من يذهب مذهباً وجد له مسارات إعلامية تروج له وهو أن التشدد مرده الفقر والبيوت القصديرية وأحزمة الفقراء

حول المدن وانعدام أسباب الحياة الرغيدة والكريمة فضلاً عمن يقول إن السبب الأوحد هو القمع والبطش والاقتصاد والتهميش وانتهاك حقوق المواطنة والمحن واتساع هوة فقدان الثقة بين الحاكم والمحكوم والشعور باللهفة فى كسر الجسور بينهما.

فى هذه المرحلة تحول الشيخ من شخصية وطنية أو من شخصية قطرية إلى شخصية عالمية، وهذا أضفى حقيقة إضافات على الشخصية فى حد ذاتها، وعلى الفكر فى حد ذاته، فأصبحت اللقاءات والزيارات الدولية التى قام بها والمشاركة المتعددة فى إدارة الفكر العالمى، وفى مؤتمرات الفكر العالمى أصبحت ذات تأثير مباشر وواضح فى مسار وتشكيل شخصية الشيخ محفوظ نحناح وفى رؤاه السياسية، وفى مواقفه وفى خطواته السياسية التى لم تستبعد التأثير الإقليمى والتأثير الدولى والتأثير الوطنى، ولا تأثير المواقف المتخذة من طرف شخصيته فى هذا المستوى وانعكاساتها على الوطن وعلى الإقليم وعلى الإسلام وعلى التوجه الذى تسير فيه الحركة التى يترأسها الشيخ محفوظ نحناح، حركة مجتمع السلم.

جـ – تحدى الأزمة التى صاحبت الجزائر تضاف إلى هذا الموضوع، فالأزمة شكلت فى شخصية الشيخ محفوظ نحناح توازناً آخراً، توازن الفتنة، وتوازن الأزمة التى تقتضى رؤى جديدة، وتقتضى حسابات جديدة، وتأجيل عداوات وتأجيل خلافات وربما تعاوناً مع خصوم على أشياء مشتركة أو ضرورات مشتركة مثل ضرورة تمدين النظام السياسى أو

ضرورة التنسيق من أجل المحافظة على الحريات العامة والخاصة أو ضرورة الإبقاء على الدولة وتقوية مؤسساتها أو ضرورة إنهاء المرحلة الانتقالية أو إصلاح شرعية الحكم المعطوبة، وهو الذى يمكن التمثيل له بالتحالفات التى قام بها الشيخ محفوظ نحناح فى أكثر من اتجاه ودعا إليها فى أكثر من اتجاه.

د – تحدى رئاسة الجمهورية الذى كان هو النقلة النوعية التى انتقلها الشيخ محفوظ نحناح فى مساره ومسار الحركة الإسلامية كأول زعيم إسلامى يترشح لرئاسة الجمهورية ويصوت عليه الشعب بأغلبية ساحقة، ويعرف الجميع ذلك، ولكن التزوير الذى حدث ضده من طرف النظام الذى كان حليفاً له، أثر حقيقة فى شخصية الشيخ محفوظ نحناح وفى حساباته وأثر فى مسار الحركة تأثيراً واضحاً، سواء فى تعاطيها مع الضغط أو ردود الأفعال المتولدة لدى الشعب الجزائرى تجاه مثل هذه القضية أو فى موضوع الثقة فى السلطة القائمة كشريك للمحافظة على هذه الدولة، التى هى دولة جميع الجزائريين، ثم أثر فى هذا الأمر أيضاً أن أصبح وزن الشيخ محفوظ نحناح فى الساحة الجزائرية رقماً رئيسياً، لا يمكن للحساب أن يكون بدونه وهو ما اقتضى لدى خصوم الشيخ وعلى رأسهم متنفذون فاعلون فى السلطة القائمة أن يطعنوا فى شخصية الشيخ التاريخية وماضيه التاريخى ويطعنوا فى وجوده السياسى بمنعه من حق طبيعى ودستورى فى الترشح للانتخابات الرئاسية التى أصبح الجميع يعرف أنه عندما يترشح لها سيفوز بها.

غير أن هذا الموضوع الحساس يجب أن يندرج ضمن مسلسل دولى لافت للنظر :

فالسماح لأنور إبراهيم فى ماليزيا ثم تنحيته وتشويهه، والسماح لنجم الدين أربكان وتنحيته ثم حرمانه من حقوقه السياسية، والدفع بالترابى إلى أن يؤسس شبه دولة ثم تنحيته، والضغط على الإصلاح فى اليمن وإبعاده من الساحة، وتيسير الطريق أمام الجبهة الإسلامية وقياداتها ثم استبعادها بكل الوسائل الممكنة وإدخالها فى النفق المظلم، وإقصاء الغنوشى راشد ومطاردته ومنعه وحصاره إعلاميًا وتشتيت رجاله. وهذا وغيره يفرض نظرة فاحصة وتحليلاً عميقًا تنجلى به كثير من الحقائق التى يعجز ضيقو الأفطان أن يوفرها حقها من البحث والاستنتاج.

هـ - تحدى تحزيب الإسلام: لقد لاحظ محاولات استبعاد الإسلام من الساحة ثم محاولات الربط المتعمد بين التسييس والتحزيب، وأدرك أن التحزيب للإسلام ومقدساته يتسبب فى مآس على النفس والمجتمع والوطن، وظن التسييس من صلب الإسلام وما دام ثمت من يدعو إلى فصل الدين عن الدولة أو إفراغ الدولة من التدين أو احتكار الدولة للدين أو احتكار حزب ما للدين، فإن الجميع - وشبه للجزائر - سيقع فى أخطار الانقسام والتشرذم والتخلف.

و - تحدى الربط بين ما هو وطنى وقومى وإسلامى.

الشخصية المتكاملة :

إذن اكتمال شخصية محفوظ نحناح فى هذا الاتجاه لم يأت اعتباطًا وإنما جاء من تناغم ثلاثية واضحة، الثلاثية الواضحة هى :

أولاً : شخصية الشيخ محفوظ نحناح المبنية على الاستقرار النفسى، ووضوح فى الهوية وفى الماهية، الشيخ محفوظ نحناح الذى يحرص على تعاطى الخبر والمعلومة كما يحرص على قراءة ورد القرآن، كما يحرص على الاهتمام بشئون حركته، هذا الجانب الشخصى المتميز يطبعه جانب تنظيمى انتشارى واسع مثلته فئات الحركة وتنوع عطاءاتها الفكرية والثقافية والسياسية والنفسية والرياضية والجمعوية والأدبية التى لم يخل منها موقع من مواقع الجزائر.

ومثلها فى المقابل هذا التعاطى مع السلطة الجزائرية، وهو المشاركة بمجموعة وزراء ومجموعة برلمانيين، ومجموعة منتخبين عبر الوطن، كلهم أصبحوا يشكلون أجزاء مهمة فى صياغة هذه الشخصية التى تتعاطى مع الحدث وبنفس محددات الحكمة والهدوء والتوازن ومعرفة الواقع.

وإذ تبدو حقيقة شخصية محفوظ نحناح للمراقب البعيد تحمل كثيرًا من التناقضات، فهى ليست كذلك وإنما هى شخصية مركبة وذات زعامة تعلو همتها لتتحمل مسئوليتها تحملاً كاملاً فى كل الاتجاهات مما يدفع بخصوم الشيخ محفوظ نحناح وفى بعض الأحيان حتى بمحبيه أن يصرحوا بعدم فهم بعض المفاصل، وليس من اليسير أن يجمع الإنسان بين

الحلو والمر والحر والبارد فى نفس الشىء إلا إذا كان يحمل قوة مقاومة حقيقية تستطيع أن تؤهله لإدارة هذه المتناقضات، ولذلك كان الزعماء دائمًا يحملون صور الجميع بين مجموعة متناقضات هى التى تجعل منهم قياديين وتؤهلهم لإدارة شئون شعوبهم، وتحمل تناقضات هذه الشعوب وتعمل على التقريب بينها وإيجاد التناغم والانسجام بينها بما يستصعبه كثير من الخلق.

ثانيًا: الشيخ محفوظ نحناح الزعيم ضمن الجماعة:

الشيخ محفوظ نحناح لا يمثل شخصًا، ولا يمثل فئة، ولا يمثل شعبية، ولا يمثل مرحلة تاريخية، بقدر ما يمثل الجميع أو يعمل لصالح الجميع من خلال الاهتمام والانشغال بهموم الجميع، على اختلاف تركيبهم وعلى اختلاف تناقضاتهم، ومن هنا يعمل مع الجميع ضمن قواعد التشاور والتنظيم، والائتلاف والتنسيق والتنازل ضمن وضوح المصلحة العامة وتغليبها على المصلحة الخاصة، وهذا لا يتأتى إلا بالبحث العميق عن نقاط التلاقى مع محاوريه واجتناب نقاط التنافر إلا ما كان متعلقًا بالثوابت والدماء وإثارة تطويق دعاويهم وتعففا وتنزها عن الخوض مع الخائضين. ولعل هذا من أحسن الرد على ما لا يستحقون ردًا، وكأن لسان حاله يقول: موتوا بغيظكم أو: فاصفح الصفح الجميل.

ثالثًا: المؤمن بالاتجاهات المتعددة والأطياف المختلفة:

فالشيخ محفوظ نحناح لا يؤمن بأسود وأبيض، ولا يؤمن بـ: «إذا لم تكن معى فأنت ضدى»، ولا يؤمن بنظرية التطرف، بالعكس يؤمن

بنظرية التشارك والتمازج بين الأطياف والأشياء، وتولد عملية التزاوج بين الأطياف ألوانًا جديدة إبداعية رائعة، تستطيع أن تقوم فى المجتمع وتؤدى أدوارًا أكثر إيجابية، الشيخ محفوظ نحناح لا يؤمن بحدية الأشياء، وإنما يؤمن بنسبيتها، فليس هنالك صواب مطلق أو خطأ مطلق، وإنما هناك صواب نسبى وخطأ نسبى، وحرص نسبى، هنالك أشياء نسبية، وتمسك بهذه النسبية حديث النبى ﷺ: «**إن المنبت لا أرضا قطع ولا ظهراً أبقى**» ولذلك تعالج أمور شخصيتنا بهذه النظرة، قد تبدو أحيانًا تحمل بعض التناقضات ولكنها تحمل حقيقة الانسجام بين المتضادات والجمع بين هذه المتضادات فى نظرية تستفيد من كل ذلك، دون أن تسمح بالتصادم بين جزئياتها.

الشيخ محفوظ نحناح لا يرى الحق فى جهة من الجهات، ولا بالمقابل الخطأ المطلق لجهة من الجهات، ويعتبر الحوار مجالاً مفتوحًا حتى للشيطان، والشيطان هو أكبر ممثل للشر، كان الحوار موجودًا بين أكبر ممثل للشر وهو الشيطان وبين الله سبحانه وتعالى، فمن باب أولى أن يكون هنالك مساحات لهذا التعاطى النسبى مع جميع الأشياء.

الشيخ محفوظ نحناح رئيس حركة مجتمع السلم -- الجزائر

• ولد الشيخ محفوظ نحناح فى ٢٨ جانفى (يونيو) ١٩٤٢م بمدينة البليدة – مدينة الورود – التى تبعد ٥٠ كيلو متراً جنوب الجزائر العاصمة، حيث ترعرع ونشأ فى أسرة محافظة.

• تعلم دروسه فى المدرسة الإصلاحية التى أنشأتها الحركة الوطنية، هذه المدارس التى كانت تمثل رمز المقاومة والدفاع عن الذات العربية الإسلامية للجزائر من الانسلاخ والتغريب.

• شارك فى ثورة التحرير المباركة وهو فى ريعان شبابه.

• وقد أكمل مراحل التعليم الابتدائية والثانوية والجامعية فى الجزائر ثم اشتغل فى حقل الدعوة الإسلامية لأكثر من ٣٠ عاماً، فى مقابل المد الثورى الاشتراكى ونشر الثقافة الفرنسية، وكان يعتبر من أشد معارضى التوجه الماركسى والفرانكفيلى، كما عمل على احتياجات الشعب العقدية التى تخلى عنها من تبقى من رجال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بما جعله معارضاً لأصحاب العقائد الضالة المنتسبة إلى الإسلام من جهة والعقائد الاشتراكية الوافدة من جهة أخرى.

• شغل مدير مركز التعريب بالجامعة المركزية بالجزائر العاصمة.

• وفى سنة ١٩٧٥ سجن بتهمة تدبير انقلاب ضد نظام الحكم آنذاك

(هوارى بومدين) حيث عارض فرض النظام الاشتراكى بالقوة على المجتمع الجزائرى باعتباره خياراً لا يتماشى ومقومات الشعب الجزائرى العربى المسلم، ودعا إلى توسيع الحريات السياسية والاقتصادية وحكم عليه بـ ١٥ سنة سجناً كما حكم على مجموعة من إخوانه بأعوام متفاوتة، وكان بسبب رفض حركته الإسلامية لمنحى الميثاق المكرس للاشتراكية، وكان السجن فرصة ثمينة للاستزادة من العلم من جهة والمراجعة للطروحات الفكرية والسياسية من جهة ثانية، وقد تحول على يديه خلق كثير من السجناء من الانحرافات السلوكية وأصبحوا نماذج حسنة.

• الشيخ محفوظ نحناح عمل على تأسيس رابطة الدعوة الإسلامية رغبة منه فى إيجاد مرجعية دينية للجزائريين تحفظ الشعب والبلد من كل انحراف. ثم أسس جمعية الإرشاد والإصلاح، هو ورفيقه الشيخ محمد بوسليمانى الذى اغتالته الجماعة المسلحة يناير سنة ١٩٩٤م.

• ثم بعد ذلك أنشأ حزباً سياسياً سمى «حركة المجتمع الإسلامى» وانتخب أول رئيس له فى ٣٠ مايو ١٩٩١.

• ترشح للانتخابات الرئاسية التى جرت بالجزائر فى نوفمبر ١٩٩٥ وتحصل على المرتبة الثانية حيث تحصل على أكثر من ثلاثة ملايين صوت حسب النتائج الرسمية المعلنة.

• وتعتبر هذه الانتخابات أول انتخاب شارك فيه الإسلاميون فى العالم الإسلامى بمرشح يحمل هذا التوجه.

● وقد شارك فى عدة مؤتمرات وملتقيات دولية فى أوروبا وأمريكا وآسيا وأفريقيا تتعلق بقضايا الإسلام والغرب وحقوق الإنسان والديمقراطية. والتقى أثناء زيارته لهذه الدول زعماء وكبار مسئولى هذه الدول فى كل من فرنسا، إسبانيا، السويد، الولايات المتحدة الأمريكية، ألمانيا، بريطانيا، إيطاليا، سوريا، الأردن، المملكة العربية السعودية، السودان، قطر، الكويت، المغرب، ليبيا وغيرها من الدول.

● شارك بقوة فى صيانة الدولة الجزائرية من الانهيار ودافع عنها فى المحافل الدولية وقدم فى سبيل حماية واستعادة مؤسسات الدولة والحفاظ عليها تنازلات كبيرة يعرفها الجميع.

● ومن أهم الطروحات التى يدافع عنها الشيخ محفوظ نحناح: الشورى، الديمقراطية، التطور، التسامح، التعايش، الاحترام المتبادل، احترام حقوق الإنسان، مشاركة المرأة فى مجالات الحياة، احترام حقوق الأقليات، حوار الحضارات، توسيع قاعدة الحكم، التداول السلمى على السلطة، احترام الحريات الشخصية والأساسية، الوسطية والاعتدال، تجسير العلاقة بين الحاكم والمحكوم.

● وقد أدان الشيخ محفوظ نحناح العنف والإرهاب وكل مظاهر الغلو فى الدين منذ بداياتها، واعتبرها غريبة عن الإسلام والمسلمين، وقد كرس مشواره الدعوى منذ أكثر من ثلاثة عقود فى الدفاع عن العقيدة الصحيحة وقيم الوسطية والاعتدال، وقد دفعت حركته ضريبة غالية

أهمها اغتيال أكثر من ٥٠٠ مناضل ومحب للحركة وعلى رأسها الشيخ الأستاذ محمد بوسليمانى، كما أن له مواقف واضحة من الاشتراكية والعلمانية والجهوية والصهيونية وقضية فلسطين وأفغانستان.

● ولقد تمكنت الحركة التى يرأسها الشيخ محفوظ نحناح بقيادته من تحقيق مكاسب سياسية كبيرة حيث احتلت المرتبة الثانية فى الانتخابات الرئاسية حيث كان أحد المرشحين الأربعة والمرتبة الثانية فى الانتخابات البرلمانية بمجموع ٧٠ نائبًا سنة ١٩٩٧، والمرتبة الثالثة فى الانتخابات المحلية وشاركت بسبع حقائب وزارية فى الحكومة السابقة، وتشارك بثلاث حقائب فى الحكومة الحالية الموسعة إلى سبعة أحزاب التحقت بمدرسة المشاركة. وهى الآن تشارك بـ ٣٨ نائبًا برلمانيًا بعد تشريعات ٢٠٠٢ وأربع وزارات وهى الأشغال العمومية والمؤسسات الصغيرة والمتوسطة والصناعة وكذا الصيد البحرى والموارد الصيدية.

● وهو يدعو دائمًا إلى ضرورة تغليب المصلحة الوطنية على المصلحة الحزبية والشخصية، كما يدعو إلى التمييز بين ضرورة وجود الدولة وتقويتها، ومنافستها ومعارضتها والمطالبة بخلعها وذهابها عند إساءتها.

● ويرى أن المشاركة فى قاعدة الحكم أولى من الروح الانسحابية أو المعارضة الراديكالية وقد بينت الأحداث صدقية هذا الاختيار.

● ولقد ألفت عنه عدة كتابات تعبر عن أفكاره منها: رجل الحوار، خطوة نحو الرئاسة، بالإضافة إلى مساهماته الثقافية فى مختلف المجالات

والجرائد العربية والملتقيات الوطنية والدولية والحوارات الإسلامية المسيحية فى إيطاليا والسويد .

- كما كان موقفه من وقف المسار الانتخابى ويرى أن خطأ الحكومة الكبير لا يعالج بخطأ حمل السلاح وجز الرقاب وثقافة التدمير والحقد، وقد صرح أن الجيش سليل جيش التحرير يجب أن يعود إلى ثكناته بعد استتباب الأمن، ولا يعقل أن يبقى الشعب من غير حماية فى الشارع والقرية .

وقفات مع الحركة الإسلامية فى الجزائر

الشيخ الشهيد بوسليمانى

هذه السطور عبارة عن محاضرة ألقاها الشهيد محمد بوسليمانى صائفة عام ١٩٩٢م فى ملتقى نظمه (اتحاد المنظمات الإسلامية بفرنسا) . عرض خلالها نبذة عن بدايات النشاط الإسلامى بالجزائر بعد الاستقلال، ثم توقف فى محطات محاولة توحيد الفصائل الإسلامية فى الجزائر بعد الانفتاح وكيف تعذر ذلك . مع تعريجه على مبررات المواقف التى اتخذتها الحركة أيام كانت واجهتها غير سياسية وبعد أن أصبح لها الكيان السياسى (حركة المجتمع الإسلامى حماس) .

وقفات مع الحركة الإسلامية فى الجزائر :

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين محمد وعلى آله .

رب اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى واحلل عقدة من لسانى يفقهوا قولى . أيها الإخوة الكرام والأخوات الطيبات، أيها الأبناء والبنات أحييكم بتحية الإسلام، فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

نحمد الله سبحانه وتعالى على أن يسر لنا هذا اللقاء الطيب المبارك، هذا اللقاء الروحى، الذى اجتمعت فيه الأرواح والقلوب قبل أن تجتمع فيه الأجساد، وأنا أجلس إلى أبنائى وأجلس إلى إخوانى وأخواتى وبناتى

وشعورى العميق أن مسار الصحوة بخير، وبأن الامتداد الطبيعى لهذه الدعوة شاق طريقه نحو تحقيق المشروع الإسلامى المنشود، هذا المشروع الإسلامى الذى كلفنا وشرفنا به ربنا سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز: **﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾** [آل عمران: ١١٠].

وهذه الوجوه الطيبة هى التى اختارها المولى سبحانه وتعالى وحملها هذه الأمانة، أمانة التمكين لدين الله فى الأرض، فهنيئًا لإخوانى وأخواتى وهنيئًا لأبنائى وبناتى بهذا التشريف وبهذا التكليف، أسأل المولى سبحانه وتعالى أن يجعلكم جميعًا مفاتيح خير أينما كنتم، ومغاليق للشر أينما حللتم وأن يحقق النصر على أيديكم.

أيها الأحباب بدون مقدمة، وأنتم تعيشون أحداث بلدكم العزيز الجزائر، هذا البلد الذى كما سمعت من أحد شباب هذا المخيم أننا لا نتحدث بمصطلح الأقطار ولا نتحدث من مصطلح الإقليم ولا نتحدث من مصطلح الجهة، لأن المشروع الإسلامى استطاع أن يتعدى ويتحدى مصطلحات الأوطان ومصطلحات الحدود ومصطلحات الجهة ومصطلحات العرق ومصطلحات الجنس.

من هنا أحاول أن أضع بين يدى إخوان بطاقة - أو بطيقة إن صح التعبير - عن الجزائر.

الجزائر بلد عربى إسلامى يقع فى شمال أفريقيا تحده تونس وليبيا

والمغرب ومالى والنيجر وموريتانيا والبحر الأبيض المتوسط، عدد سكانه أزيد من ٢٥ مليون نسمة، نسبة الشباب فيه - وأبناء الجزائر يعلمون ذلك - أكثر من ٧٥٪ سنهم أقل من ٢٨ سنة، معنى هذا أن أخاكم هذا عندما أجلس فى مسجد من المساجد أو فى محاضرة من المحاضرات (ينظر إلينا نحن الذين تعدى سننا الخمسين سنة بأننا نشكل مجموعة بشرية قديمة معناه يوشك أن يضرب بنا المثل على الديناصور)، فمرة كان معى الشيخ مصطفى مشهور فى الجزائر فى مسجد كان عدد الحاضرين فيه أزيد من ١٢٠٠٠ عدد الذين سنهم فوق ٥٠ سنة ٧ أشخاص، والحساب بسيط خرجنا من ١٩٦٢ بعد الاستقلال وعددنا ٩ ملايين نسمة بعد ٢٨ سنة عدد سكان الجزائر ٢٥ مليونًا وهذا معناه ١٦ مليونًا سنهم أقل من ٢٨ سنة، نسبة الجنس الثانى، النساء فى حدود ٥٣٪ استعمرت الجزائر ١٣٢ سنة من ١٨٣٠ م إلى ١٩٦٢ م، قدمت أثناء هذه المرحلة فى الجهاد لطرد الاستدمار العالمى ولإعادة الشخصية الإسلامية للجزائر أزيد من ٣ ملايين و٤٠٠ ألف، نسأل المولى سبحانه وتعالى أن يتقبلهم عنده شهداء إن شاء الله.

الجزائر خالية من تعددية الديانات، الديانة الموجودة فى الجزائر هى الديانة الإسلامية، الجزائر ليست فيها مذاهب بالمصطلح الموجود عند بعض إخواننا فى الشرق، إذ أن المذهب السائد هو المذهب المالكى مع وجود عناصر فى المذهب الحنفى، والإباضية الموجودة فى بوابة الجنوب أى مدخل الصحراء، هذه بكل إيجاز بطاقة تعريف.

أنتقل مباشرة إلى حجم العمل الإسلامي، أو الحركة الإسلامية في الجزائر والتي هي امتداد للحركة الأم التي نستظل جميعًا بظلال هذه الشجرة الطيبة المباركة، وانطلق العمل الإسلامي في الجزائر بعيد الاستقلال مباشرة أي في حدود سنة ١٩٦٣ م، اعتمدت الحركة الإسلامية في هذه المرحلة على النشاط التربوي المتمثل في نشر الفهم السليم للإسلام لأن الاستدمار العالمي الذي جثا على الجزائر حاول جاهداً نزع ومسخ المجتمع الجزائري ثم تغييب وتهميش مفهوم الإسلام بأبعاده وبشموليته والقضاء على المد التاريخي المرتبط بغار حراء، وربط الجزائر بأوروبا تاريخيًا وثقافيًا، وسخرت من أجل هذا على سبيل المثال (اليوم لنا حوالي ٣٨ رحلة يومية الجزائر باريس أو مارسيليا والتي تستغرق ٤٥ دقيقة ومن الجزائر إلى تمنراست ١٣٥ دقيقة).

حاولت الحركة الإسلامية أن تعيد للشعب الجزائري أصالته وحجم عقيدته عن طريق إعطاء المفهوم السليم الشامل للإسلام؛ كونه عقيدة ونظامًا اجتماعيًا ونظامًا سياسيًا ونظامًا اقتصاديًا، التمست الحركة في الجزائر أسلوب سميناه أسلوب مشاركة كل الشرائح عن طريق الانبثاث، وعن طريق التغلغل، وعن طريق تبني آمال وآلام الأمة، والعنصر النسوي بصفة خاصة في الجزائر لعب دوراً واسعًا في الانتشار الأفقي والبناء العمودي في إعداد الأسرة، وبتوفيق من الله سبحانه وتعالى حاولنا جاهدين على تطبيق القاعدة التي تقول لابد من تكوين الفرد المسلم، فالأسرة المسلمة فالمجتمع المسلم فالدولة الإسلامية. ومن هنا اعتنت الحركة

في بناء الأسرة الإسلامية التي كان لها بتوفيق من الله سبحانه وتعالى أفضلية الاستمرارية في نشر هذه الدعوة.

المراكز التي اعتمدت عليها الحركة الإسلامية لنشر دعوتها منابر ثلاثة:

المسجد على أساس أنه المنبر الأصيل والأساس الذي تنطلق منه كلمة الحق، ولذلك في بداية الحركة فكرت في عملية الانبثاث في إيجاد أئمة في المساجد ودعاة يحاولون عملية الاتصال المباشر مع القاعدة الشعبية.

المنبر الثاني وهو المحضن التربوي العلمي المتمثل في الجامعات بل وفي سلك التعليم، إذ أن أزيد من ٩٠٪ بالنسبة لسلك التعليم متحكم فيه العناصر الإسلامية، وهذا الأمر بتوفيق من الله وليس باجتهاد منا (وأحيانًا أقول لإخواني دعوها فإنها مأمورة) رغم المصادر الأجنبية التي صنعت المضامين في المنظومة التربوية إذ مرت منظومات تربوية ثلاث: منظومة تربوية جيء بها من لبنان لأنه كان وزير التربية زوجته لبنانية فأحضر البرنامج الأول للمنظومة التربوية، ثم جيء بمنظومة تربوية ثانية من صنع منظمة اليونسكو (والشباب يعلم نفوذ اليهود في هذه المنظمة) وحاولوا عن طريقها القيام بعملية المسخ للإنسان الجزائري حتى لا تبقى له علاقة لا مع دينه ولا مع أخلاقه ولا حتى الارتباط بوطنه كقطعة أرض أو كتراب، وأذكر لكم على سبيل المثال فإنها منظومة (مالك وزينة) في جملة من جملها يقرأ الابن: يذهب الأب إلى العمل والأم تذهب إلى السوق، يأتي الطفل بسذاجته فيجد أمه في منزله فيقول لها: معلمنا قال إن الأم تذهب

إلى السوق، وهو خط للقضاء وتدمير الأسرة. وتكرار مثل هذه المعانى تربى جيل بتصور جديد.

وكانت المقاومة فى عملية مد وجزر عن طريق الحركة الإسلامية فى اتخاذ المساجد كتجمعات وكحلقات تجمع هؤلاء الأولاد لإعطائهم الصورة الحقيقية للمفهوم الإسلامى.

ثم جاءت منظومة تربوية ثالثة وهى أخبث من أختها مستقاة من ألمانيا الشرقية (حضارة الكلاب). أبناؤنا يدخلون إلى المدرسة فبدل أن يسمعوا شعب الجزائر مسلم... فيسمعون كلبى بوبى عند الباب، قطة صغيرة...

فحضارة الكلاب وصلت إلينا عن طريق المنظومة التربوية، فأصبحنا نرى فى بعض مدننا مظاهر المسخ زيادة على وسائل الإعلام اليوم يوجد ٥ ملايين هوائى.

المنبر الثالث هو البيوتات وهنا كان لأخواتنا حصة الأسد فى صناعة الحدث وفى إعطاء التوجيهات للأمهات وفى تجميع الشباب، وركزنا فى ذلك على مخيمات صيفية تحتوى على أكبر عدد من الأولاد رغم الضغوط التى كانت موجودة بالنسبة للنظام.

أنتقل بسرعة إذ دام هذا العمل بهذه الوتيرة إلى غاية سنة ١٩٧٥ (هذه فترة نظام بن بله وبومدين) وهى فترة مظلمة ملأى بالدكتاتورية والظلم ومحاربة كل ما ينتمى إلى الإسلام، والاشتراكية فى الجزائر وجدت أرضًا خصبة ووجدت قبولاً من طرف النظام وسمح لها، وأعطيت لها كل الصلاحيات فى الانتشار.

فى سنة ١٩٧٥ ظهر ما نسميه فى الجزائر بقانون الثورة الزراعية، وهذا بدأ سنة ١٩٧١، وقانون الأسرة فتحركت الجماعة لتظهر للمجتمع الجزائرى الأخطاء وتظهر للمجتمع الجزائرى بأن هناك مؤامرة على الأسرة (ليست بالطريقة المباشرة وإنما بالطريقة القانونية) وكان بعد ذلك مباشرة انتخابات الميثاق والدستور، هذا الميثاق والدستور الذى استطعنا أن نكشف أن الذى صنعه، والأيادى التى كتبته، والفكر الذى صنع له الحدث لا علاقة له بالإسلام، ولا علاقة له حتى بالجزائر، وفيه عناصر من الممكن من أصل يهودى، لأننا حصلنا بعد ذلك على ست رسائل شكر من (جون بولسات) أعتقد أنه كان المدير العام لحركة الشباب الشيوعى فى أوروبا أو حاجة من هذا القبيل، وكانت له علاقة وطيدة ولا أقول طيبة بينه وبين بومدين، فبعثت لبومدين ست رسائل تهنئة على نجاح المواد الدستورية فى الجزائر التى عملت على نشر وعلى تكريس الفكر الشيوعى، فى هذه الفترة (كما سبق لأخى أبى سلمان) تحركت الحركة ببيان أذكر منه بعض النقاط، وهذا لأول مرة فى الجزائر تعرض هذه الوثيقة فى مؤتمر حركة حماس، والأيام القادمة من الممكن نعرض أيضًا وثائق تاريخية للحركة فى الجزائر.

البيان الذى دعونا فيه الشعب الجزائرى المسلم إلى رفض الميثاق والتمرد على النظام الحاكم، والمطالبة بتطبيق الإسلام شريعة ومنهاجًا، وشاركنا فى المعارضة بعض الرجال الذين كانوا على قيد الحياة من جمعية علماء المسلمين الجزائريين، ألخصه فى نقاط:

ـ لا للاشتراكية .

ـ لا للشيوعية المتسترة وراء القمصان الخضراء .

ـ لا للدكتاتورية البروليتارية .

ـ لا للصراع الطبقى والإلحاد .

ـ لا للعضوية السياسية والتشريعية والقضائية والتنفيذية .

ـ لا للميثاق الذى كتبته أياد معروفة بخيانتها وولائها للشيوعية .

ـ لا للميثاق الذى جىء به لتثبيت نظام غير شرعى .

ـ نعم للإسلام عقيدة وشريعة .

ـ نعم للإسلام منهج حياة .

ـ نعم للإسلام دستوراً ونظاماً واقتصاداً .

ـ نعم للإسلام حقوقاً وواجبات ومحاسبة .

ـ نعم للإسلام شورى .

ـ نعم للإسلام عدالة .

ـ نعم للإسلام وحدة .

ـ نعم للإسلام أخوة .

البيان كان بإمضاء «الموحدون»، ويحمل عنوان «إلى أين يا بومدين؟» كان هذا فى سنة ١٩٧٦ م، وكتب الله سبحانه لنا السجن إلى غاية

١٩٨٠م، وعند خروجنا من السجن، كانت هناك عوامل خارجية وعوامل داخلية التى أحدثت نوعًا من التغيير فى المطالبة والإلحاح بتوسيع المد الدعوى للحركة، المد الأفقى والتركيز العمودى يتمثل فى ثلاث نقاط :

١ – فى الجزائر الاقتصاد تدهور إلى أقصى درجة فوقع تذمر .

٢ – موت بومدين .

٣ – الثورة الإسلامية فى إيران هكذا كانت تسمى ثم وقع لها ما وقع (لسنا بحاجة إلى فتح ملف لهذا) فالثورة فى إيران على أساس أنها ثورة إسلامية أثرت وإخواننا فى تونس يمكن كان لهم حصة الأسد فى التفاعل مع الثورة آنذاك .

فهذه العوامل الثلاثة أحدثت نوعًا من التفاعل الداخلى فجر الجو، فظهرت صحوة إسلامية عارمة تحتاج إلى قيادة رشيدة تنظمها، خرجنا من السجن وجدنا أن المد الإسلامى عبارة عن سيل، ماذا نفعل؟

حاولنا قدر الإمكان أن نجمع شتاته وأن نحوله إلى مسار طيب يصب فى خزانات نستعملها فى دفعات مرة على مرة، ولا تفجر الطاقة دفعة واحدة، بعدها وقعت حادثة سنة ١٩٨٢ وهى صراع بين الإسلاميين والشيوعيين وعندما أقول الشيوعيين لا تتصوروا أن الشيوعى فى الجزائر ملحد، بل هو يؤمن بالله والجنة والنار لكن عن طريق الادعاء باستيعاب الأفكار العالمية يدعى أنه شيوعى وغير ذلك، فهذه الطائفة وقع صراع بينها وبين شباب الدعوة الإسلامية أدت إلى مقتل شاب من الشيوعيين

وهو من بلاد القبائل، فأحدث هذا الأمر هزة فى الجامعات وخاصة الجامعة المركزية بالجزائر العاصمة، فتحركت الحركة الإسلامية، وكتب بيان فيه ١٩ بنداً وتلى يوم ١٢/١٢/١٩٨٢ م والذى كتب هذا البيان من بسم الله الرحمن الرحيم إلى صدق الله العظيم هو الشيخ محفوظ نحناح.

قبل هذه الفترة بقليل ظهرت جماعات إسلامية تتقارب فى الأهداف وتختلف أحياناً فى المناهج، هذه الجماعات ما ظهر بينها صراع أو تصادم، أرض الجزائر أكبر من فرنسا بـ ٥ مرات، فهى تسع للناس جميعاً والحركات هذه تدعو إلى الله سبحانه وتعالى، وكل لها أسلوب فى الدعوة إلى غاية ٥ أكتوبر ١٩٨٨م حيث مرت رياح التغيير – ولا أقول الانتفاضة – على أوروبا الشرقية، وبدأت تطرد فى المفهوم الاشتراكى وتنتقل إلى التعددية الحزبية، والجزائر نظام اشتراكى آنذاك فلا بد أن تمر عليه الرياح أو يدخل فى هذه القناة التغييرية فحدث أن النظام أراد أن يتخلص من مجموعة من البارونات فوقعت شبه مسرحية من أجل تنفيذ أو أخذ صلاحية للرئيس من أجل تحقيق الديمقراطية بمقاس مفصل بالسنتيمترات والمليمترات، سلم للجزائر من الذين أمروا الجزائر أن تترك النظام الاشتراكى وتدخل فى نظام الحزبية أو النظام الديمقراطى، فسمح للشعب الجزائرى أن يكون جمعيات ذات طابع ثقافى وتربوى وجمعيات ذات طباع سياسى، المادة ٣٩ من الدستور تشكل جمعيات ذات طابع غير سياسى، والمادة ٤٠ تشكل جمعيات ذات طابع سياسى. قلت فى هذه الفترة نشأت التعددية فالتجأنا إلى تكوين جمعية الإرشاد والإصلاح وهى جمعية وطنية تتبعها مجموعة

من الجمعيات تابعة للحركة بأسماء مختلفة على مستوى البلديات والولايات وجمعيات وطنية متخصصة.

انطلقت هذه الجمعية تعمل وفكرت فى وضع ما نسميه قبة تنضوى تحتها كل هذه الجمعيات والأحزاب السياسية ذات الطابع الإسلامى لكى يتخذ الموقف الموحد فى القضايا المصيرية، بدأنا نعمل على تكوين رابطة الدعوة الإسلامية وشاركنا فى هذا مجموعة من إخواننا، فتكونت رابطة الدعوة الإسلامية فوضعنا على رأسها فضيلة الشيخ أحمد سحنون وسنه الآن فى حدود ٨٦ عاماً.

تكونت رابطة الدعوة الإسلامية ووضعنا من ضمن بنودها أن أى قضية مصيرية تهم الوطن لابد من استشارة الرابطة.

أنتقل الآن إلى ذكر أحداث كدوائر مستعجلة. فى هذه الفترة بالذات ظهرت حركة سياسية وهى «الجبهة الإسلامية للإنقاذ» ظهرت فى مسجد باب الواد بالجزائر العاصمة، وأعلنوا عن تشكيلها ويوم الإعلان ذهب أحد أفراد الرابطة وهو الأستاذ محمد السعيد ووقف يحاول أن يبعد الجماعة من تكوين الجبهة الإسلامية للإنقاذ على أساس أن الفكرة تعرض على الرابطة، والرابطة تنظر فى الأمر لعلها تختار العناصر الذين يشكلون هذه الواجهة السياسية، لكن حدث له أن شتم وحاولوا ضربه والشريط موجود وكثير من إخواننا حضروا هذا اللقاء فأنقذوه من المسجد بصعوبة، وانطلقت الجبهة الإسلامية للإنقاذ فى عملها، بعد ذلك أعلن عن أول انتخابات بلدية تعددية فدخلت الجبهة الإسلامية للإنقاذ فى هذه

الانتخابات، ونحن فى لقاءاتنا كانت لنا رؤية لا نفرضها على الغير، فالكل له وجهة نظر نتفق فى الأهداف ونختلف فى الوسائل.. فى توجهات وتصورات، قدمنا مجموعة من النصائح لأننا نعلم أن البلديات هى عبارة عن مراكز الصراع والتصادم مع المواطنين بالمصطلح الميكانيكى (ممتص الصدمات) معناها الضربات تأتى أولاً لشيخ البلدية وللمكتب التنفيذى للبلدية، لأن المواطن لا يتصل بالولاية، المواطن لا يتصل بالوزارة، المواطن يتصل بالبلدية فى حاجته إلى سكن إلى ماء إلى كهرباء إلى زواج؛ أى كل المطالب، فهم أفرغوا البلدية وسلموها هيكلاً عظميًا للجبهة الإسلامية والحزب الحاكم أخذ مجموعة من البلديات التى يستطيع بها أن يظهر أنه يشق طريقه، وانسحب من البلديات التى فيها المشاكل، قلنا لإخواننا لا تدخلوا بقاعدة المغالبة بل ادخلوا بالمشاركة أى خذوا مجموعة من البلديات التى لكم فيها طاقة وقدرة ودعوكم من البلديات الأخرى لأنكم ستقعون فى أزمة إلصاق التهم، بل يتهم المشروع الإسلامى بأنه غير قادر على التسيير إذا ما استلم مناصب سياسية، وعندنا حزب RCD وهو علمانىٌ قال: نحن لسنا ضد الإسلام فى الجزائر لكن نقول لكم: دعوا الإسلام نقيًا ولا تنزلوه إلى السياسة المتعفنة، أى كإنسان متقاعد فى زاوية لا يسمع ولا يبصر ولا يشارك فى صنع القرار.

ولعل السؤال الذى يطرح، ما سبب نجاح الجبهة الإسلامية للإنقاذ فى الانتخابات البلدية؟ يعود الأمر وأذكر على طريق الاستعجال:

١ – كان هناك تذمر شعبى على الأوضاع (البطالة ما يقرب ٢ مليون،

أزمة سكن ضربت الرقم القياسى، عدم تمكن الشباب من الزواج، أزمة اقتصادية).

٢ – كراهية الجماهير للنظام الحاكم من (١٩٦٢ – ١٩٨٨) الذى امتص الشعب عن طريق القرارات الأفقية الأحادية.

٣ – وعود الأنظمة الثلاثة التى كانت توهم الشعب بإخراجه من الأزمة وتوفير الاحتياجات جعلت الشعب الجزائرى يبحث عن بديل مهما كان كعملية انتقام.

٤ – الحزب الوحيد الذى يحمل الشعار الإسلامى الذى دخل فى الانتخابات، من هنا لم يقع فى ١٢ جوان ١٩٩٠ انتخاب حول البلديات أو المجالس الولائية، إنما وقع استفتاء أنتم مع الإسلام أم ضده، فلاحظنا الذين جاءوا ووضعوا ورقتهم لصالح الجبهة الإسلامية للإنقاذ لا علاقة لهم بالصلاة، ممكن بنت كاسية عارية تبحث عن رقم (٦) كنوع من الانتقام من النظام، المهم فى هذه الفترة حاولت الجمعية آنذاك أن تبحث عن صيغة تلم شمل المسلمين خاصة كواجهات قانونية، فدعت بعد أن بدأ الكلام عن الانتخابات التشريعية، فلم تشارك فى الانتخابات المحلية أما المجلس التشريعى الوطنى فهو من مراكز اتخاذ القرار.

عرضنا أنفسنا على أننا نشارك فى الانتخابات التشريعية فقدمنا طلب التقدم بـ«التحالف الإسلامى الوطنى» فتجمع حولنا حوالى ٦٥٠ جمعية، ومن الأحزاب حركة النهضة التى يتزعمها الأخ الشيخ عبد الله جاب الله وحضر لهذا التجمع أزيد من ٨ أحزاب، أذكر أن هذه الأحزاب

جاءت تناقش وتبحث عن هذا التحالف فى قاعدته وأرضيته، فنحن وضعنا للتحالف ٩ نقاط على رأسها، القرآن الكريم هو المصدر الوحيد للتشريع، قلنا أى حزب قبل هذه الأرضية معناه أنه جاء ليعلن إسلاميته أمام الملأ، لكن عندما ناقشناهم وجدنا أن منهم من جاء ليطلع ومن جاء ليساوم فى هذه القاعدة عسانا أن نتنازل عن مبادئ أساسية، وهناك من جاء لينظر إلى حجمنا وأحد الأحزاب سألته فقال: جئت لأننى ما حركت حجرة فى جبال الجزائر إلا وجدت تحتها الإرشاد والإصلاح فالتحاقى بهذا التحالف قد يسمح لى بالحصول على بعض الكراسى بالبرلمان، صراحة وأقول كلاماً للتاريخ فقد ألتقى أو لا ألتقى معكم فالأعمار بيد الله، فالجهة التى ضايقتنا وآلمتنا أقولها مع الأسف بمرارة هى الجبهة الإسلامية للإنقاذ، فى التجمع سئلنا عن الجبهة الإسلامية للإنقاذ فقلت لا أعتقد أنها تخالف التحالف، فعدم مجيئها ممكن يكون موقفاً سياسياً ولها الحق فى ذلك.

قبل أن ننهى مجلسنا لأن اللقاء امتد طويلاً، فإذا بالتلفزة الجزائرية تعلن أنه وقع اتصال بالجبهة الإسلامية للإنقاذ مع الشيخ عباس مدنى وقال بالحرف الواحد: «لا حلف فى الإسلام» بلعناها فمهما يكن أخوك أخوك، تمنينا لو أن الشيخ عباس مدنى يجلس إلينا فى الرابطة ويناقشنا مناقشة شرعية دون أن يكشف عورتنا للأعداء والأحزاب تنتظر أن يقع صراع بين الفصائل الإسلامية، أصارحكم للتاريخ أيضاً لأول مرة نخرج من الصمت لأن الضغوط وقعت علينا فـ ٦٥٠ جمعية وحركة النهضة التى هى حركة

سياسية وافقت على التحالف وتأتى الجبهة الإسلامية للإنقاذ وتقول: لا حلف فى الإسلام، فاضطررنا إلى أن نحرك خلية التفكير فى الجماعة، فصدر بيان مطول فيه النصوص الشرعية من الكتاب والسنة وأقوال العلماء وأقوال من جريدة المنقذ بالرقم وبالصفحة والنص مصور الذى قال فيه عباسى مدنى بالحرف الواحد: نحن على استعداد لنتحالف مع بن بلة ولا نتحالف مع أحزاب أخرى، قال هذا قبل أن نعلن نحن عن التحالف، وكان من الضرورى الرد لأننا لم نجد طريقاً آخر، لأن إخواننا فى الجمعيات قالوا لابد أن تدافعوا عن أنفسكم وتظهروا الجانب الشرعى للتحالف الذى دعوتم إليه، وقلنا لإخواننا لما التقينا بهم على الأقل ناقشنا تعرفوننا ونعرفكم وتعلمون أننا لا نجلس إلى الفساق أو السفهاء من أجل أن نأخذ رأيا، فقبل أن نصدر أى بيان لنا رجالنا فى الدعوة من أهل العلم وأهل الشرع، أهل التقوى والورع نستشيرهم فى الأمر ثم بعد ذلك نصدر البيان بعدما ندرسه ولعلنا نتهم بالبطء فى إخراج البيانات لكن هذا البطء يعود إلى التروى وإلى وضع الكلمة فى مكانها.

لنضع قضية التحالف جانباً لأننا قلنا أن قضية التحالف بيننا وبين حركة النهضة، نحن جمعية ذات طابع غير سياسى وحركة النهضة ذات طابع سياسى، نحن قلنا على الأقل تكون الفصائل الثلاث معروفة، بحثنا عن خط آخر عند اقتراب موعد الانتخابات فطلبنا من إخواننا فى الجبهة الإسلامية للإنقاذ بحضور حركة النهضة وبحضور عناصر من الرابطة (بالمناسبة الرابطة بها ١٢ عضواً فى المكتب ٣ من حماس، ٣ من النهضة،

٣ من الجبهة الإسلامية للإنقاذ و٣ كأنهم لا ينتمون لأى فصيل إسلامى ويترأسهم الشيخ سحنون فالمجموع ١٣) فاجتمعنا فى الرابطة وطرحنا طريقة، قلنا بما أن التحالف مرفوض هناك طرق أخرى، طريقة القائمة الموحدة قلنا يا جماعة فى الجزائر هناك ناس لا تتفاهم مع الجبهة الإسلامية للإنقاذ، وهناك عناصر لا تتفاهم مع الإرشاد، وهناك عناصر لا تتفاهم مع النهضة حتى نجمع هؤلاء كلهم نضع القائمة الموحدة ونختار لهذه القائمة أى اسم، وكان معنا فى إبداء الرأى الأستاذ توفيق الشاوى واقترح علينا صورة وقبلناها وهى «الجبهة الإسلامية الموحدة» تخرج قائمة موحدة بهذا الاسم وفيها أسماء من الإرشاد ومن النهضة ومن الجبهة الإسلامية للإنقاذ – والقضايا مكتوبة ومفصلة ومضبوطة – قلنا لهم فلتكن لكم فى القائمة ٧٠٪ من عناصركم اتركوا لنا ٣٠٪ نتقاسمها مع النهضة ١٥٪ ونأخذ ١٥٪ معناه ٧٠٪ من المترشحين للبرلمان كلهم من الجبهة الإسلامية للإنقاذ، هذا الشرط الأول. الطريقة الثانية قلنا لهم لنحافظ على المصداقية نكون لجنة وطنية من الفصائل الثلاثة تسهر على إيجاد برنامج سياسى يعرض على البرلمان. الأمر الثالث نكون ما نسميه الكتلة البرلمانية وهذا بعد النجاح فى الانتخابات، هذه الكتلة البرلمانية تتفق مع المشروع فعندما يكون الاجتماع الرسمى للبرلمان فى ٣٠ من الشهر تجتمع الكتلة فى ٢٠ من الشهر مثلاً. نتفق على التصويت على مشروعنا فى البرلمان، ولا يهمنا بعد ذلك من هو صاحب المشروع، جاء من عند الجبهة الإسلامية أو من عند النهضة أو من عند حركة حماس، المهم أننا نتفق عليه ونكون نحن الذين نصنع القرار والذين نصنع الحدث، هذه القضية أعدت طرحها فى

تجمع بقاعة حرشة بالجزائر وهى تحتوى على أكثر من ٣٠٠٠٠ شخص، فالحاضرون تصوروا أن الموافقة قد تمت على هذا التصور المطروح فعلت أصوات التكبير والزغردة فخرج الناس وكأنهم فى عيد تم فيه الاتفاق بين الفصائل الثلاثة واتفقوا على القائمة الموحدة.

بعد ثلاثة أيام التقينا فى الرابطة وبالحرف الواحد أذكرها أيضًا بالحروف البارزة، وكان هذا قبل ١٠ نوفمبر، عرضنا على إخواننا فى الجبهة الإسلامية للإنقاذ هذا المشروع فقالوا نقترح عليكم خمس نقاط :

١ – أنكم تذوبون فى الجبهة الإسلامية للإنقاذ.

٢ – أن حركة النهضة تسحب ملف الاعتماد من وزارة الداخلية وتعود إلى جمعية ذات طابع ثقافى تربوى.

٣ – تلتحقون بالجبهة الإسلامية للإنقاذ فرادى.

٤ – تتعهدون على عدم الممارسة السياسية داخل الجبهة الإسلامية للإنقاذ.

٥ – تلتزمون بالبرنامج السياسى للجبهة الإسلامية للإنقاذ والقانون الداخلى، وتتعهد الجبهة بأن تسمح لكم بالنشاط التربوى والنشاط الثقافى.

وقال أحدهم عن طريق السخرية – سامحه الله – قضية إطعام الصائم وتزويج الأعزب.

قلنا: يا جماعة هل لكم رأى آخر، قالوا: لا، هذا قرار المجلس الشورى للإنقاذ، قلنا: أيناقش؟ قالوا: لا يناقش، وقد قيل هذا القول بحضور عباسي مدني، محمد السعيد (الذى التحق بالجبهة الإسلامية للإنقاذ) وعلى جدى، هذه العناصر من الجبهة الإسلامية للإنقاذ كانت حاضرة، بما أن هذا الاقتراح لا يقبل النقاش فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

انتظرنا فى حدود شهر واقتربت أيام الانتخابات، قلنا: يا جماعة ما اتفقنا على التحالف، قدمنا التحالف رفضتموه، قدمنا القائمة الموحدة رفضتموها، فها نحن نقدم لكم اقتراحًا آخر وهذا قلناه فى التلفزة أمام مرأى ومسمع جميع الجزائريين، وهو تقاسم الدوائر الانتخابية، توجد ٥٤٢ دائرة انتخابية أى ٥٤٢ مقعداً فى البرلمان، قلنا يا جماعة نتقاسم هذه الدوائر خذوا ٧٠٪ من الدوائر واتركوا لنا ٣٠٪ من الدوائر، فرفضت الجبهة الإسلامية للإنقاذ كل الاقتراحات والمجتمع ينظر فكان لابد أن نعطى البديل فدخلنا بحركة المجتمع الإسلامى (حماس) وقلنا لهم، ويكون تقاسم الدوائر بإعطاء الدوائر حسب التواجد والثقل فلتأخذ الجبهة الإسلامية للإنقاذ الدوائر التى ترى أن لها فيها الأغلبية، والدوائر التى يكون فيها التعادل نحاول أن نتفاهم فإن لم يحصل التفاهم بين الجبهة وحماس والنهضة نَكِل الأمر إلى سكان الدائرة عن طريق جمع مجموعة المجاهدين والأئمة وأصحاب الرأى والنفوذ، وهذا فى إطار توسيع دائرة الشورى، فإذا اختار هؤلاء شخصًا من الجبهة الإسلامية للإنقاذ نتعهد على أن نعطى أصواتنا لهذا الفرد ونسحب مرشحنا من الدائرة، وإذا اختار

هؤلاء المترشح من حماس فالجبهة الإسلامية للإنقاذ والنهضة أيضًا يتعهدان بذلك والعكس صحيح إلى درجة أننا قلنا إذا كان سكان الدائرة قالوا نختار مرشحًا من خارج الفصائل الثلاثة إذا توفرت فيه الشروط الشرعية الإيمانية وقدرة العطاء والتخصص فنحن مستعدون للموافقة عليه وإعطائه مصداقيتنا.

إخواننا فى حركة النهضة وافقوا على هذا الطرح أما الجبهة الإسلامية للإنقاذ فرفضت هذا الطرح وقالوا بالحرف الواحد عن طريق الشيخ عباسي مدني (أطلق الله سراحه) فى وهران بأن الشعب الجزائرى بايع الجبهة الإسلامية للإنقاذ بنسبة ٧٥٪، والقاعدة الشرعية تقول إذا بويع الأول فاقتلوا الثانى (والشريط موجود لمن أراد سماعه)، معنى هذا أنه حكم علينا بالإعدام بلغة المبايعة فاقتلوا الثانى، لما وصل الأمر إلى هذا ماذا نفعل؟

اتفقنا مع النهضة التى شاركت فى حوالى ١٣٠ دائرة وشاركنا نحن فى ٣٨١ دائرة وبذلنا كل جهودنا على أن هناك بعض الدوائر كولاية بجاية تركنا لهم حرية التصرف، فاتصل إخواننا بالجبهة الإسلامية للإنقاذ وقالوا لهم خذوا ١٧ دائرة من ولاية بجاية واتركوا لنا دائرتين (٢). فقالوا لهم الجبهة الإسلامية للإنقاذ تأخذ ١٧ دائرة، والدائرتان الأخريان تعطونا مترشحين يترشحان تحت اسم الجبهة الإسلامية للإنقاذ فدخل إخواننا فى دائرة واحدة وتنازلوا لهم عن ١٨ دائرة ولكنهم رشحوا عنصراً منهم حتى

فى هذه الدائرة الواحدة، فالقضية ليست قابلة للنقاش، ناقشنا أخانا عباسى مدنى فقال: الفيلة غير مستعدة لمنافسة الفئران.

يا شيخنا كلمة فيلة وفئران لا تقال لأخيك.

فى يوم سألوه (هذا بولاية تيسمسيلت) ألكم علاقة بجمعية الإرشاد والإصلاح (أقول هذه الكلمة وبالله الذى لا إله إلا هو لا أقصد إغارة الصدور وإنما هى حقائق تاريخية لتتضح مبررات مواقفنا) فقال: أولئك خنافيس ونحن عقارب سنأكلهم.

فتأزم الجو فتشاورنا للبحث عن بدائل رفض التحالف، رفض القائمة الموحدة، رفض تقاسم الدوائر الانتخابية، فانطلقت الواجهة الثانية للجماعة الواجهة السياسية على بركة الله على أساس المشاركة لا على أساس المغالبة، المشاركة أى نشارك الفصائل الإسلامية فى الوصول إلى البرلمان، بل بكلمة أدق حمل المشروع الإسلامى لأن يقف على أقدامه وتتحقق بعد ذلك الدولة الإسلامية، فحركة حماس لها مبادئ منها:

- المرحلية فى التحرك.
- الواقعية.
- الموضوعية.
- مع مراعاة سنن التغيير.

انطلقت هذه الواجهة السياسية ولاقت بفضل الله سبحانه وتعالى ولا أقول بفضل رجالها أبداً فى مدة ٤٠ يومًا استطعنا بتوفيق الله سبحانه

وتعالى أن نفتح حوالى ٩٣٠ مكتبًا على مستوى القطر، واستطعنا من خلالها أن نحصل على الرتبة الخامسة فى عدد المنضمين إلى الحركة، واستطعنا عقد المؤتمر التأسيسى لحركة المجتمع الإسلامى رغم أن هناك أحزابًا لها سنتان منذ حصولها على الاعتماد وما قامت بعقد مؤتمرها.

أنتقل الآن إلى النقطة الأخيرة وهى بوادر الأزمة، فالمشروع الديمقراطى فى الجزائر والتعددية الحزبية سائرة فى خط لعله أحسن من كثير من البلدان، النظام فى هدوء، الظاهر أنه راض على هذا، الخلفيات أن الأوامر تأتيه بضرورة نجاح المسار الديمقراطى لأنه يدخل من ضمن مخططات النظام العالمى الجديد، والطريق السائرة إلى دول الخليج لتقوم بهذا العمل فهو خطة بوشية من أجل التعددية الحزبية تصل إلى كل نظام من أجل أن تكون السيطرة والتبعية الاقتصادية لهذه البلدان؛ للغرب وعلى رأسهم أمريكا.

الذى حدث أنه عندما اجتمع المجلس الشعبى الوطنى لدراسة قانون الانتخابات، حدث فيه إجحاف، أولاً فيه إجحاف فى تقسيم الدوائر فمثلاً دائرة فيها ٨٠٠٠٠ نسمة يعطى لها مقعد ودائرة لها ٤٠٠٠٠ نسمة يعطى لها مقعد، فقانون تقسيم الدوائر أحدث طبقية، جزائرى رقم ١ وجزائرى رقم ٢ أو ٣. فجزائرى فى دائرة ما يساوى ١٠ جزائريين فى دائرة أخرى، فالجزائر العاصمة فيها أكثر من مليونين نسمة عدد مقاعدها ٢١ وولاية تيزى وزو عدد سكانها حوالى ٨٠٠ ألف نسمة عدد مقاعدها ٢١ فهذا غير معقول! فهذا الأمر جعل كثيراً من الأحزاب وحتى بعض

الأحزاب العلمانية ترفض هذا التقسيم، وشرط آخر هو بلوغ سن المترشح ٣٠ سنة معنى هذا أن أبناء الصحوة وأبناء الاستقلال (من ١٩٦٢ إلى ١٩٩٠) لا يبلغون سن ٣٠ سنة فلا يسمح لهم بأن يشاركوا فى صنع القرار كمترشحين للبرلمان، الجانب الثانى أن أبناء المدرسة الجزائرية لا يسمح لهم بصنع القرار.

قلنا من غير المعقول أن يحرم ١٧ مليون جزائرى من صنع القرار، فهو قانون مرفوض، المهم مجموعة من الأحزاب طالبت بإعادة صياغة قانون الانتخابات، لكن الجبهة الإسلامية للإنقاذ صعدت القضية لوحدها وهى أنها طالبت بإضراب ووضعت شرط توقيف الإضراب فى أمرين اثنين:

١ – تغيير قانونى الانتخابات وتقسيم الدوائر.

٢ – تزامن الانتخابات التشريعية والانتخابات الرئاسية فى يوم واحد.

لما سمعنا بقضية الإضراب المفتوح اتصلنا بالشيخ عباسى مدنى عن طريق الرابطة، وهذا بوجود الشيخ سحنون، إخواننا طرحوا تساؤلاً: ما هى الإجراءات فى حال نجاح أو فشل الإضراب؟ وإلى غير ذلك من التساؤلات.

قال: أنا لست مستعداً للإجابة.

طرحنا عليه السؤال الثانى وقلنا له: اطرح تصوراتك للإضراب ونتناقش حوله كأن يكون الإضراب محدود الأجل ونرى رد فعل المجتمع الجزائرى، وعوض أن يصدر البيان من الجبهة الإسلامية للإنقاذ فليصدر

من طرف الفصائل الثلاثة بما فى ذلك موافقة وتزكية الرابطة، فلما يرى الشعب الجزائرى أن هذا البيان من الفصائل الإسلامية كلها بما فى ذلك الرابطة يستجيب، فأخذ محفظته وقام وقال: أنا لست مستعد لأجلس إليكم ولست مستعد لأناقشكم فى هذا، والجبهة الإسلامية للإنقاذ اتخذت قرار الإضراب وستعلن عنه، فمن وافقها فهو معنا ومن رفض فإننا نحاكمه محاكمتنا للشاذلى، وخرج، أى من رفض الإضراب نعامله معاملتنا لرئيس الجمهورية.

فلما وصل الأمر إلى أننا خرجنا من أحادية حزبية إلى أحادية حزبية أخرى، قلنا هذا غير مقبول ولسنا مستعدين لأن ندفع بالمشروع الإسلامى فى متاهات لا نعرف ما هى نتائجها، قدمنا نصائح، كتبناها، سجلناها فى الرابطة وقلنا اللهم اشهد فإننا قد بلغنا، وقلنا داخل الرابطة نرفض هذا الأسلوب من الإضراب.

أعلن باليوم الثانى الإضراب وهذا يوم الخميس أى أن الإضراب يبتدئ يوم السبت، بالطبع اتصلت بنا وسائل الإعلام وسألتنا، فكنت أنا الذى أجبت وسائل الإعلام، قلت بالحرف الواحد: الإضراب هذا مطلب قانونى يقره الدستور ويقره القانون ولأى حزب أو هيئة تريد أن تضرب فلها ذلك، لكن نحن نشترط أو نقدم هذا البند أو هذا الحق قبل أن ينفذ لابد أن نراعى فيه:

– الأمر الأول: مراعاة حالة الجزائر الاقتصادية المتدهورة.

– الأمر الثانى: المحافظة على الاحتياجات الأولية والأساسية للمواطن.

ـ الأمر الثالث: علينا أن نأخذ احتياطاتنا بالنسبة للعدو الداخلى والعدو الخارجى الذى يتربص بالمشروع الإسلامى الدوائر. فتُلى كما هو فى التلفزة وكتب كما هو فى الجرائد الوطنية وأنزلناه بحرفيته إلى إخواننا (دوائر ساخنة أردت أن أضعها بين إخوانى للتاريخ وشهادة لله). يوم السبت المفروض أن يبدأ الإضراب ولكنه لم يتم لأن العمال ذهبوا إلى عملهم، الدكاكين مفتوحة، إخواننا سامحهم الله يصورون على السادسة صباحًا الدكاكين مغلقة ويبعثون بالشريط فيرى شباب الجبهة الإسلامية للإنقاذ الدكاكين مغلقة فيقولون انظروا المدينة الفلانية دكاكينها مغلقة حتى أعلن فى إحدى الساحات أن مارسيليا وصل فيها الإضراب إلى ٣٠٪ من دكاكينها.

يوم الأحد الإضراب لم ينجح فوقعت العملية التصعيدية التى تسمى «العصيان المدنى» خرجت مجموعات من الجبهة الإسلامية للإنقاذ تجوب الشوارع (وقد شاهدتهم فى وسائل الإعلام) بدأ العصيان المدنى الذى حدث كالآتى:

تجمعات فى الساحات، وضع خيم فى الساحات العمومية وقاموا باعتصام وفى حدود صلاة الظهر يتحركون فى الشوارع يحملون المصاحف ويهتفون بشعارات:

- لا ميثاق لا دستور قال الله قال الرسول.
- لا نهضة لا حماس الجبهة هى الأساس.

- مسمار جحا لازم يتنحى.

لأن الشيخ عباسى مدنى فى مقابلة تلفزيونية مع رئيس جبهة التحرير الوطنى سألوه أثناء الحديث قال: الشاذلى مسمار جحا، عملية تصعيد وتهديد لمن فتح دكانه بالاسم ودعوه لمقاطعته فيغلق الناس دكاكينهم اتقاء لهذا التشهير. لعل السائل يسأل: لماذا تركت السلطة هؤلاء أكثر من عشرين يومًا ولم تحرك ساكنًا، بالعكس بعثت برجال الشرطة يفسحون الطريق لشباب الجبهة الإسلامية للإنقاذ والناس يتساءلون: هل من وراء هذا شىء، هل هذه هى الديمقراطية؟ من ضمن الأسباب أن الحكومة الجزائرية فى سنة ١٩٨٨م فيما حدث وقع قتلى فاتهم النظام الجزائرى بأنه نظام عنف، نظام قتل، نظام ظالم (لا أقول بأنه برىء) والنظام يريد أن يظهر أمام أوروبا أنه نظام متحضر متقدم، فتح صدره للديمقراطية وغير ذلك، فتركوا هذه الفترة الزمنية عشرين يومًا أو أزيد حتى أصبحت الأحزاب تطالب من السلطة أن تتدخل لأن الإضراب تزامن مع الانتخابات، ثلاثة أيام قبل الانتخاب.

بدأ النداء بالإضراب، جاءت فترة الحملة الانتخابية، والحملة الانتخابية تتم فى الساحات، الأحزاب تطالب بإفراغ الساحات لتقوم بحملتها، إذًا الأحزاب تذمرت، أعطيت للسلطة الشرعية فى عقاب الجبهة حتى لا يتهم النظام بأنه قمعى، الشعب بدأ يتذمر، فرئيس البلدية المفروض أنه إذا أراد أن يضرب يأخذ محفظته ويراسل الوالى ويخبره بعدم تحمله للمسئولية، لكن إخواننا كان شيخ البلدية والمجموعة التى معه يأتون إلى البلدية

فيطردون العمال ويغلقون الأبواب ويجمعون الخواتم ويضعونها بجهة ويقولون للناس: لا تدخلون نحن فى إضراب، أريد ورقة وفاة عندى ميت ليدفن (فى ولاية ورقلة على ما أعتقد بقى رجل أربعة أيام ثم دفن بدون ورقة لأن البلدية مغلوقة) إذا التصعيد هذا وشتم وطعن ونعلن الجهاد وكلمات كثيرة ممكن أثناء الحوار أذكرها.

أنا أردت أن أذكر النقاط الحساسة، بعد عشرين يومًا ماذا حدث؟ تدخل الجيش بعدما وقع السطو والحرق لبعض المقرات التابعة للسلطة، وأعتقد أن الذى قام بهذا لا علاقة له بالجبهة الإسلامية للإنقاذ لأن الفترة الأولى عندما تدخلت الشرطة من أجل طرد المتظاهرين وقع نوع من الإغماء والجروح، أعطينا أوامر لشبابنا على مستوى حركة حماس وعلى مستوى جمعية الإرشاد والإصلاح أن تتحرك بالسيارات للإسعاف، فالشباب الذين نقلوهم إلى مراكز الإرشاد أو مراكز حماس عندما تبينوا منهم وجدوا فى ٣٤ من ٥٦ شباب يحملون المخدرات، معناه لا علاقة لهم بالجبهة الإسلامية، القاسم المشترك بين الجبهة وهؤلاء هو التذمر والغضب على السلطة (البطالة، السكن، ما لبيت مطالبهم فهم غاضبون على النظام) فالقاسم المشترك بينهم هو غضبهم وحقدهم على النظام.

تدخل بعد ذلك الجيش ووقعت حالة الحصار فى الولايات الساخنة وخاصة ولايات الوسط، وضرب حظر التجول من الساعة ١١ و٣٠ دقيقة ثم أعيد تقديمه ١٠ ليلاً إلى ٣ و٣٠ دقيقة صباحًا وأقيمت ما يسمى بالأحكام العرفية وبدأت عملية الاعتقالات.

الشيخ عباسى مدنى أعلن فى المسجد بأننا نعطى للسلطة فترة زمنية لا تتجاوز الشهر وإلا سأعلن الجهاد.

(وأنقل صورة لإخوانى الجزائريين والمغاربة والتونسيين وأما غيرهم فلا يستطيعون استيعاب هذا الأمر).

نحن عندنا من يمسك عنده سلاح له من ٥ إلى ١٥ سنة سجنًا، فظهرت عناصر تحمل السلاح وتتجول فى الطرقات ويتحركون كالكموندوس بكلمات نابية ومصطلحات غريبة للجو العام للرجل الجزائرى، تكفير الناس وتكفير الحكام ومصطلحات الانتقام من بعض المسئولين.

الأمر الثانى أن أخانا على بلحاج ألقى عليه القبض وهو متجه إلى مقر الإذاعة والتلفزيون مع مجموعة (حوالى ٥٠ شابًا معه) طلب من التلفزة عند وصوله إلى الباب الدخول لإلقاء كلمة للشعب الجزائرى، لأن التلفزة ليست ملكًا للشاذلى وإنما هى ملك الشعب، فبالطبع تدخل الجيش وألقى عليه القبض، وفى الليل ألقى القبض على الشيخ عباسى المدنى، وبعد ذلك استمرت الاعتقالات حتى وصلت ٣٠٠٠ معتقل، ثم أطلق سراح مجموعة وهو مستمر فى هذه الأيام لعل المتبقى حوالى ١٠٠ معتقل الذين ألقى عليهم القبض بلغة النظام الحاكم أنهم متلبسون بجرائم أحيلوا إلى المحاكم أما الباقون فاطلق سراحهم.

فى هذه الحالة أذكر بعض الأخطاء من وجهة نظرنا قد لا تراها الجبهة الإسلامية أخطاء فى هذه الفترة:

١ – نرى أن إخواننا فى الجبهة الإسلامية للإنقاذ تفننوا (كأشخاص أو كعناصر تنتمى إلى الجبهة الإسلامية للإنقاذ) تفننوا فى استعداء الغير أو فى كسب العداوة بينهم وبين السلطة .

٢ – وقعت قضية خطيرة جداً وهى الأحادية فى صنع القرار فى الجبهة الإسلامية للإنقاذ، لأن فى قضية الإضراب مجلس الشورى أصدر بياناً قال بالحرف الواحد أنه ابتداء من الآن أى بيان يصدر فهو مرفوض إلا إذا كان بإمضاء مجلس الشورى، بعد ستة أيام أو سبعة يعلن عباسى مدنى أن الناطق الرسمى باسم الجبهة الإسلامية للإنقاذ هو عباسى مدنى والثانى النائب على بلحاج، فكل قرار صدر باسم عباسى مدنى وعلى بلحاج فهو الذى يعبر عن الجبهة الإسلامية للإنقاذ، أما الباقى فلا علاقة لهم بالجبهة الإسلامية للإنقاذ . سئل فى التلفزة عن بيان مجلس الشورى (فقال : هؤلاء سذج) وبدأ الصراع داخل الجبهة الإسلامية للإنقاذ، للأسف أنقلها لإخوانى لنتعاون على جمع الشمل، فخرج أربعة أفراد من مجلس الشورى للإنقاذ إلى التلفزة وأعلنوا بالحرف الواحد أن الشيخ عباسى مدنى يشكل خطراً على الجبهة الإسلامية للإنقاذ وعلى الإسلام، وقال الآخر فى يدى ملفات، وقال ثان : لى شريط مسموع فإذا ما قتلت فيسمعه الشعب الجزائرى، فترك هذا الأمر إرباكاً داخل الفصائل الإسلامية وتعرض المشروع الإسلامى فى الجزائر إلى هزة عنيفة وانقسم الناس بين مؤيد ومعارض، بين متشكك ومهزوم ومنزوٍ، ووقع إرباك لازلنا ندفع ثمنه إلى يومنا هذا .

٣ – الاستخفاف بالنظام (الشاذلى مسمار جحا لازم يتنحى)، (٧٥٪ من الجيش معنا و٤ جنرالات)، (زوجة جنرال) هذه الأمور تركت تساؤلات ماذا يراد بها، مما أدى بالسلطة إلى اتخاذ مواقف صارمة من بعض الضباط ودفعت بهم إلى ولايات الجنوب .

هذا بكل إيجاز دون أن أذكر المستقبل لضيق الوقت بعض ما حدث من سنة ٨٨ إلى ١٩٩١ إلى يومنا هذا، ونحن فى هذا المجال أنزلنا مجموعة من البيانات ولعل بعض إخواننا اطلعوا على بعضها وأقرأ لكم بياناً منها :

(مثلاً البيان رقم ٩) :

– إن ما آل إليه المشروع الإسلامى والوحدة الوطنية وتشوه سمعة الجزائر مما جعلها مطمع الطامعين داخلياً وخارجياً، وبلوغ الحيرة عند أنصار الحل الإسلامى ليعرض على ما تبقى من رجال الجبهة الإسلامية للإنقاذ إلى أن يبادروا إلى اجتماع فورى استثنائى يحفظ عليهم حركتهم السياسية ليتمكنوا من القيام بواجبهم نحو الدعوة والدولة فى إطار منظم ودستورى، وبذلك تفوت الفرصة على من يعمل على إلغاء هذه الحركة الساسية (لأن بعض الأحزاب السياسية طلبت سحب الاعتماد من الجبهة الإسلامية للإنقاذ) التى ليس من حق أى جهة أن تنكر وجودها .

نداء الحفاظ على الوحدة الوطنية .

– الاحتكام إلى شرع الله فيما يتعلق بدماء المسلمين .

– مراجعة النفس والعودة إلى حق وقطع الطريق على الذين يسعون إلى تصعيد الوضع الذين يعملون على الإجهاز على المشروع الإسلامى.

– نداء للشعب الجزائرى المسلم للوقوف صفًا واحداً فى وجه الأعداء ودعاة التفرقة.

– تغليب روح المحبة على الحزبية.

– التفطن لمعرفة العدو من الصديق من خلال الممارسات السياسية اليومية.

– كشف العناصر الدخيلة التى تعمل على إجهاض المشروع الإسلامى.

– مناشدة المرأة المسلمة الجزائرية لتثبيت روح الأخوة والمحبة والتسامح بين أبنائها وكل أبناء الشعب الجزائرى، ورفض أن يكون أبناؤها ورقة سياسية للضغط.

– تجنيب أبنائها الانقياد وراء الصيحات والهتافات المجهولة.

– تذكر أنها مسئولة أمام الله.

ثم تعلن المرأة الجزائرية صرختها مدوية واضحة:

- لا لإراقة الدماء وإزهاق الأرواح.
- لا للفرقة والانشقاق.
- لا للقمع والعنف.

- لا لتصفية الحسابات على حساب الإسلام والشعب الجزائرى.
- لا للمناورة لا للمؤامرة.
- نعم للمشاورة نعم للمحاورة نعم للمثابرة.

هذا بعض الأسلوب الذى اتخذته الحركة محاولة جمع الشمل وآخر بيان نشرته حركة المجتمع الإسلامى باسم مجلس الشورى الموسع طالبت فيه بعقد لقاء للفصائل الثلاثة: حركة المجتمع الإسلامى، حركة النهضة، الجبهة الإسلامية للإنقاذ للبحث عن حل نتقارب فيه بالأفكار ونضع خطة مستقبلية للسماح للمشروع الإسلامى أن يستمر.

رغم هذه الأحداث ورغم ما عرضته على إخوانى وأخواتى من وقائع، لكن إلى الآن لم نصل إلى الخط الأحمر الذى يهدد المشروع الإسلامى. لازال فى أبناء الجزائر العقلاء، ولا زال فى أبناء الجزائر المخلصون، ولا زال فى أبناء الجزائر الإسلاميون، ولا زال فى أبناء الجزائر من يحمل على كاهله هذه الدعوة ويشق بها الطريق ليخرج إلى شاطىء السلام.

أسأل المولى سبحانه وتعالى لى ولكم التوفيق والرشاد والسداد، وأعتذر عن الخلل الذى وقع أثناء هذه الدردشة.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ملاحظة: الشريط متوافر على أقراص مضغوطة فى القسم السمعى البصرى بمقر الحركة لمن أراد الحصول عليه.

الشيخ محفوظ نحناح

الظاهرة الجزائرية التى فقدتها الأمة[1]

بقلم: وصفى عاشور أبو زيد

منذ أكثر من ستين سنة فى العالم ١٩٤٠م فقدت الجزائر مصلحها الثائر عبد الحمد بن باديس أحد رواد النهضة العربية والإسلامية، وفى عام ١٩٥٩م رحل عنها المصلح الجزائرى الفضيل الورتلانى، ومنذ ثلاثين سنة ١٩٧٣م فقدت مفكرها الأكبر ومصلحها الأعظم مالك بن نبى، وها هى اليوم تودع أبرز قادتها المعاصرين، وأحد رجالات العمل الإسلامى فيها وفى العالم الإسلامى كله الشيخ محفوظ نحناح عن عمر يناهز واحدا وستين عاماً، عليه رحمة الله.

لقد ودعت الجزائر هذا القائد المحنك وهى فى أشد الحاجة إلى حنكته السياسية، وفكره السامق، وأفقه الرحيب.

ولد الشيخ محفوظ نحناح فى يناير ١٩٤١م بمدينة البليدة – مدينة الورود – التى تبعد ٥٠ كيلو مترا جنوب الجزائر العاصمة حيث ترعرع ونشأ فى عائلة متدينة محافظة.

تعلم دروسه فى المدرسة الإصلاحية التى أنشأتها الحركة الوطنية،

(١) آفاق عربية: العدد ٦١٥ الخميس الموافق ١٠ من جمادى الأولى ١٤٢٤هـ – ١٠ من يوليو ٢٠٠٣م.

والتى كانت تمثل رمز المقاومة والدفاع عن الذات العربية والإسلامية للجزائر من الانسلاخ والتغريب.

وقد أكمل مراحل التعليم الابتدائية والثانوية والجامعية فى الجزائر، حتى حصل على الليسانس (الإجازة) فى الآداب وعلم النفس الصناعى بالجزائر، ثم اشتغل فى حقل الدعوة الإسلامية لأكثر من ٤٠ عاماً، فى مقابل المد الثورى الاشتراكى وفى مواجهة نشر الثقافة الفرنسية، حيث بدأ نشاطه الدعوى سنة ١٩٦٠م بمساجد العاصمة، وكان يُدرِّس فى الحلقات كتاب (ظلام من الغرب) للشيخ محمد الغزالى.

جهاده الإصلاحى:

يعتبر نحناح – رحمه الله – من أشد معارضى التوجه الماركسى فى وقته، كما كان يعمل على المحافظة على موروثات الشعب العقدية التى تخلى عنها من تبقى من رجال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بما جعله معارضاً لأصحاب العقائد الضالة المنتسبة إلى الإسلام من جهة، والعقائد الاشتراكية الوافدة من جهة أخرى.

وفى سنة ١٩٧٦م سجن بتهمة تدبير انقلاب ضد نظام الحكم آنذاك (هوارى بومدين) حيث عارض فرض النظام الاشتراكى بالقوة على المجتمع الجزائرى باعتباره خياراً لا يتماشى ومقومات الشعب الجزائرى العربى المسلم، ودعا إلى توسيع الحريات السياسية والاقتصادية وحكم عليه بـ ١٥ سنة سجناً، وقضى منها ٥ سنوات، كما حكم على مجموعة من أقرانه باعوام متفاوتة، وكان بسبب رفض حركته الإسلامية لمنحى الميثاق المكرس للاشتراكية، وكان السجن فرصة ثمينة للاستزادة من العلم من جهة

والمراجعة للأمور الفكرية والسياسية من جهة ثانية، وقد تحول على يديه خلق كثير من السجناء من الانحرافات السلوكية، وأصبحوا نماذج حسنة.

عمل الشيخ محفوظ نحناح على تأسيس رابطة الدعوة الإسلامية رغبة منه فى إيجاد مرجعية دينية للجزائريين تحفظ الشعب والبلد من كل انحراف، ثم أسس جمعية الإرشاد والإصلاح ١٩٨٩م هو ورفيقه الشيخ محمد بوسليمانى الذى اغتالته الجماعة المسلحة سنة ١٩٩٢م.

ثم بعد ذلك أنشأ حزبًا سياسيًا سمى «حركة المجتمع الإسلامى»، وانتخب أول رئيس له فى ٣٠ مايو/ أيار ١٩٩١م، وانتمى إليها كثير من أعضاء جمعية الإرشاد والإصلاح، وبعد صدور القانون الجزائرى الذى يحظر على الأحزاب استعمال وصف «الإسلامى» فى أسمائها غيرت حركة المجتمع الإسلامى اسمها إلى حركة مجتمع السلم (حمس)، كما شارك فى إنشاء رابطة الدعوة الإسلامية برئاسة الشيخ أحمد سحنون، وكان من بين أعضائها عباسى مدنى وغيره من الوجوه الإسلامية المشهورة.

وقد شارك نحناح فى عدة مؤتمرات وملتقيات دولية فى أوروبا وأمريكا وآسيا وأفريقيا تتعلق بقضايا الإسلام والغرب وحقوق الإنسان والديمقراطية – لا سيما عن فلسطين وأفغانستان – والتقى أثناء زيارته لهذه الدول زعماء وكبار مسئوليها فى كل من فرنسا، وإسبانيا، والسويد، والولايات المتحدة الأمريكية، وألمانيا، وبريطانيا، وإيطاليا، وسوريا، والأردن، والمملكة العربية السعودية، والسودان، وقطر، والكويت،

والمغرب، وليبيا، وغيرها من الدول، كما شارك بقوة فى صيانة الدولة الجزائرية من الانهيار ودافع عنها فى المحافل الدولة وقدم فى سبيل حمايتها واستعادة مؤسساتها والحفاظ عليها تنازلات كبيرة يعرفها الجميع.

حركة مجتمع السلم (حمس):

ومن الجدير بالذكر أن حركة مجتمع السلم تتبنى توجهًا إسلاميًا معتدلاً، كما تتبنى ثوابت الهوية الجزائرية (الإسلام والعروبة والتراث الأمازيغى)، وتسعى لإقامة السلم والوئام الوطنى فى الجزائر بشكل غير مشروط، وتحافظ على الظهور كحركة إسلامية ديمقراطية وطنية مسالمة، كما تركز فى خطابها على إعادة الأمن والاستقرار إلى الجزائر وعلى حماية حقوق الإنسان وكرامة الوطن.

وفى تقييمهم للحركة يعتقد الملاحظون أن خطابها يميل إلى النخبة باستنارة هذه الحركة عن غيرها من الحركات الإسلامية الجزائرية الأخرى، وأنها منذ البدء كانت ترفض المصطلحات التى تعتبر السلطة عسكرية قمعية تفتقر إلى الشرعية الدستورية، أو إسقاط السلطة بالحسم العسكرى أو تعديلها بالقوة الثورية، ومنذ نشأتها استطاعت الإفلات من أسر التداول العضوى لهذه المصطلحات التى كانت شائعة فى جو المعارضة المتشددة والتى خسرت الكثير من أعضائها ومن شعبيتها، إلا أن الحركة لها تباين فى الرأى داخل إطارها – وهذا دليل صحة وحياة – فهناك تيار محافظ يعتمد على الحذر الشديد من مبادرات السلطة ويتعامل معها على هذا الأساس، وآخر يحاول الاستفادة من كل المبادرات الإيجابية لا سيما

التى أتاحتها السلطة للحركة، فالمنهج السياسى للحركة منذ نشأتها يتجه نحو المرونة فى تصحيح الأوضاع وفق ثلاث قواعد : المشاركة، والمرحلية، والواقعية .

ولقد تمكنت الحركة التى يرأسها الشيخ محفوظ نحناح بقيادته من تحقيق مكاسب سياسية كبيرة، فاحتل نحناح المرتبة الثانية فى الانتخابات الرئاسية حيث كان أحد المرشحين الأربعة (زروال، وسعيد سعدى، ونور الدين بوكروح)، وحصل على أكثر من ثلاثة ملايين صوت حسب النتائج الرسمية المعلنة فى العام ١٩٩٥م، وتعتبر هذه الانتخابات أول انتخاب شارك فيه الإسلاميون فى العالم الإسلامى بمرشح يحمل هذا التوجه، لكنه منع من الترشيح مرة ثانية للانتخابات الرئاسية التى جرت عام ١٩٩٩م بحجة أنه لم يكن أحد مجاهدى حرب التحرير، حيث إن امتلاك « الشرعية الثورية » شرط قانونى للترشيح لانتخابات الرئاسة فى الجزائر، ولم يمنعه ذلك من مساندة ترشيح الرئيس الحالى عبد العزيز بوتفليقة فى تلك الانتخابات .

كما حصلت الحركة على المرتبة الثانية فى الانتخابات البرلمانية بمجموع ٧٠ نائبًا، والمرتبة الثالثة فى الانتخابات المحلية وشاركت بحقائب وزارية عديدة فى حكومات مختلفة .

توجهاته وآراؤه :

ينتمى الشيخ محفوظ نحناح إلى جماعة الإخوان المسلمين، ومن أهم توجهاته السياسية ومعتقداته الفكرية التى يُعلن بها، ويدافع عنها بقوة:

الشورى، والديمقراطية، والتطور، والتسامح، والتعددية، والتداول السلمى للسلطة، وتوسيع قاعدة الحكم، والتعايش مع الآخر، وأهمية حوار الحضارات، واحترام حقوق الإنسان، ومشاركة المرأة فى مجالات الحياة المختلفة التى تتناسب مع طبيعتها، واحترام حقوق الأقليات، واحترام الحريات الشخصية والأساسية، وتقوية أواصر العلاقة بين الحكم والمحكوم .

ويؤكد الشيخ نحناح دائمًا أهمية التداول السلمى للسلطة، وعلى الوسطية والاعتدال ونبذ العنف والغلو فى الدين .

وهو يدعو دائمًا إلى ضرورة تغليب المصلحة الوطنية على المصلحة الحزبية والشخصية، ويرى أن المشاركة فى قاعدة الحكم أولى من الروح الانسحابية أو المعارضة الراديكالية، وقد بينت الأحداث صدقية هذا الاختيار .

وكان – رحمة الله – يطالب حكام العرب والمسلمين بأمور إصلاحية عديدة أهمها :

- تجسيد المتفق عليه فى المواثيق التى تفرض حماية الأمن القومى من خلال معاهدات الدفاع المشترك، الذى لا يقبل العدوان على أية دولة عربية أو إسلامية من أى مكان، والإعلان عن حالة الاستنفار العام فيما إذا مسّ أى بلد عربى أو إسلامى فى المنطقة .

- إعادة تشكيل قوة عربية رادعة قادرة على التحرك السريع لا تهديد فيها لدول الجوار، أو تحضيراً لتفتيت الوحدة الوطنية لأى بلد كان، والمسارعة إلى حل المشاكل العالقة المعرقلة لذلك .

• وقف النهب المبرمج لثروات شعوبنا، والمعاقبة العلنية للمتورطين فى الفساد المالى والسلطوى والاستبعاد الفورى لهذه العناصر أفراداً أو أحزاباً أو جماعات.

• الكف الفورى عن سياسة مصادمة ثوابت وقيم مجتمعنا العربى الإسلامى، وتقليم أظافر العابثين والمنهزمين حضاريًا، المتموقعين فى مفاصل السلطة والثروة والإعلام.

• الشروع فى تقديم إعلام هادف وطنيًا وقوميًا بطريقة عقلانية ومشرفة لديننا وقيمنا وخصائصنا.

• وقف الحملات الإعلامية التى جعلت الإرهاب تكئة لضرب الإسلام نفسه وتشويه التدين والمتدينين.

• التعهد ببداية تشبيب أنظمة الحكم ديمقراطيًا فى بلادنا العربية، وتوفير الأجواء للمثقفين والعلماء وذوى السمعة الحسنة، ليكونوا فى مركز التوجيه وصناعة القرار.

وهى كلها مطالب تفتقر إليها الأمة العربية والإسلامية مما يُبرز الهوة التى ترزح فى أغلالها هذه الأمة، والتى كان المرحوم نحناح يخلع عليها قول الشاعر العربى:

كم تُظلَمونَ ولستم تشتكون وكم
تُستَغضَبُونَ فلا يبدو لكم غضبُ

ألفتُمُ الهَونَ حتى صار عندكمُ
طبعًا وبعض طباع المرء مكتسب
وفَارقَتْكُم لطول الذل نخوتُكم
وليس يؤلمكم خَسفٌ ولا عَطَبُ

لقد أُلِّفت عن الشيخ نحناح – رحمه الله – عدة كتابات تعبر عن أفكاره منها: رجل الحوار، خطوة نحو الرئاسة، بالإضافة إلى مساهماته الثقافية فى مختلف المجالات والجرائد العربية، والملتقيات الوطنية والدولية، والحوارات الإسلامية المسيحية فى إيطاليا والسويد.

والله هو المسئول أن يعوض الأمة فى مصابها بفقد هذا الداعية المصلح من يقوم بأداء الأمانة وتبليغ الرسالة، وأن يخلفها فيه خيراً، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

قصة زعيم إسلامى انتهج أسلوب الاعتدال[1]

ارتبط اسم الشيخ محفوظ نحناح زعيم حركة « حماس » سابقًا وحركة مجتمع السلم لاحقًا بالحركة الإسلامية الجزائرية منذ بروزها كامتداد لجمعية العلماء المسلمين التى أسسّها الشيخ عبد الحميد بن باديس، والتى قاومت الفرنسة والتغريب، واستطاعت أن تصون الشخصيّة الجزائريّة ذات البعدين العربى والإسلامى، وقد أتيح لمحفوظ نحناح أن يتعرّف على فكر الشيخين عبد الحميد بن باديس ورفيق دربه الشيخ البشير الإبراهيمى فى مقتبل عمره، بل إنّه تبنى نفس شعار الشيخ عبد الحميد بن باديس « الجزائر وطننا والعربية لغتنا والإسلام ديننا »، وعندما كان طالبًا فى جامعة الجزائر انفتح محفوظ نحناح على فكر سيّد قطب وحسن البنّا وأبو الأعلى المودودى، وأعجب بتجربة « الإخوان المسلمين » إلى درجة أنّه أصبح فى وقت لاحق ممثلاً للتنظيم العالمى للإخوان المسلمين فى الجزائر.

بدأ الشيخ محفوظ نحناح دعوته الإسلاميّة فى المساجد والثانويات التى كان يدرّس فيها ثمّ فى المعاهد الجامعيّة، وتعرف خلالها على رجالات الحركة الإسلامية فى الجزائر من أمثال الشيخ أحمد سحنون وعبد اللطيف سلطانى والدكتور عباسى مدنى، وفى الستينيّات والسبعينيّات لم تكن الحركة الإسلاميـة الجزائريّة منشطرة على نفسها، كان هناك مشروع إسلامى واحد ينادى به الجميع المثقف الإخوانى والمثقف السلفى

(١) الجزائر – الوطن: ٣٠/٦/٢٠٠٣م.

والمثقف الوطنى والمثقف الإسلامى عمومًا، وكثيراً ما كان محفوظ نحناح يلتقى بالدكتور عباسى مدنى أو عبد الله جاب الله أو على بلحاج بدون حرج، وكانت لمحفوظ نحناح تجربة فى النضال ضدّ سلطة هوارى بومدين وبعده نظام الشاذلى بن جديد قادته إلى السجن مع رجالات الحركة الإسلامية، غير أنّه أطلق سراحه فى عهد الشاذلى بن جديد ليواصل نضاله الإسلامى بدون إطار سياسى، فقد كانت الدعوة الإسلامية فى الجزائر تلقائية عفوية لا تخضع لأىّ تنظيم هرمى أو غيره، فقد كان محفوظ نحناح يجوب الجزائر شرقًا وغربًا وجنوبًا وشمالاً، ليقدم دروسًا ومحاضرات عن السيرة النبوية والإسلام فى أبعاده الحضارية والصراع الفكرى فى الجزائر بين الأصالة والمعاصرة، بين العروبة والفرانكفونية، بين حزب باديس وباريس، ومع بداية التعدديّة السياسيّة والإعلامية التى أطلقها الرئيس الجزائرى الأسبق الشاذلى بن جديد عقب أحداث خريف الغضب فى ٥ أكتوبر سنة ١٩٨٨م اجتمع رجالات الحركة الإسلامية فى الجزائر فى « مسجد الأرقم » الذى كان يؤمّه شيخ الحركة الإسلامية الجزائرية الشيخ أحمد سحنون للتفكير فى إنشاء حزب إسلامى يجمع كل القيادات الإسلامية فى الجزائر بمختلف توجهاتها، وهنا كان لمحفوظ نحناح موقف من المسألة، وفى الوقت الذى تأسّست فيه « الجبهة الإسلامية للإنقاذ » فى سبتمبر ١٩٨٩م بقيادة عباسى مدنى وعلى بلحاج، أسسّ محفوظ نحناح جمعية إسلامية هو ورفيق دربه محمّد بوسليمانى تحولّت فيما بعد إلى « حركة المجتمع الإسلامى » – حماس–، كان الشيخ محفوظ نحناح ضدّ التوجهات السياسيّة لعباسى مدنى وعلى بلحاج ونهج الجبهة

الإسلامية للإنقاذ بشكل عام، فقد عارض الإضراب السياسى الذى دعت إليه جبهة الإنقاذ فى يونيو ١٩٩١م، وبعد اعتقال قادة جبهة الإنقاذ وحلّها إداريًا فى شهر مارس ١٩٩٢م، أصبح محفوظ نحناح وحده فى الواجهة السياسية مع رفيقه عبد الله جاب الله الذى أسس حركة النهضة الإسلامية، وقد صنفّت السلطة السياسية الجزائرية حركتى نحناح وجاب الله فى خانة الحركات الإسلامية المعتدلة التى يمكن التحاور معها وإشراكها نسبيًا فى الحكم، وعبر هذه القناعة السلطوية أصبحت حركة نحناح حاضرة فى البرلمان واعتبر أهمّ حليف للسلطة، وكان محفوظ نحناح يبررّ ذلك بقوله: نحن نؤمن بالمرحليّة فى تحقيق مشروعنا الإسلامى، وقد جلب له تحالفه مع النظام سخط أنصار الجبهة الإسلامية للإنقاذ وسخط الجماعات الإسلامية المسلّحة التى كانت ترى فيه شخصًا انتهازيًا براغماتيًا نفعيًا، بينما هو وأنصاره وكثير منهم من حملة الشهادات العليا كان لهم وجهة نظر أخرى تنص على جواز التغيير من الداخل أى التسلل إلى مواقع النظام لتغييره من الداخل.

غير أن آخرين يرون أن محفوظ نحناح أعطى السلطة منذ انقلابها على خيار الشعب وإلغائها الانتخابات التى فازت فيها الجبهة الإسلامية للإنقاذ فى – ديسمبر ١٩٩١م– أكثر مما أعطته السلطة السياسية التى غدرت به وحرمته من المشاركة فى الانتخابات الرئاسية بحجة أنه لم يشارك فى الثورة الجزائرية – ١٩٥٤م وإلى ١٩٦٢م – وهو الشرط الذى كان يجب توفره دستوريًا فيمن يرغب للترشيح للانتخابات الرئاسية، كما أن نحناح وقف بقوة إلى جانب الرئيس عبد العزيز بوتفليقة وطالب أنصاره بمنح

أصواتهم لبوتفليقة وليس لأحمد طالب الإبراهيمى نجل الشيخ البشير الإبراهيمى والذى كان يعدّ أبًا روحيًا وفكريًا لنحناح، ومرّت الأيام فإذا بنحناح يوجّه توبيخه لبوتفليقة الذى يحرص على الحديث باللغة الفرنسية حتى مع الفلاحين وطالب بوتفليقة بالامتثال للدستور والتحدث باللغة العربية فقط.

لقد كان محفوظ نحناح يؤمن بمشروع الدولة الإسلامية، لكن ليس عن طريق العنف والمواجهة بل عن طريق النضال السياسى وخصوصًا فى المجتمع الجزائرى الشديد التعقيد والإرباكات، ولم يكن يرى حرجًا فى التعامل مع الانقلابيين الجزائريين إذا كان ذلك يدعو إلى تحصين المشروع الإسلامى من الانهيار وثمرات الدعوة الإسلامية من الذبول، وهذا ما جلب له الكثير من السخط من كل الدوائر الإسلامية جزائريًا وعربيًا وإسلاميًا، وشئنا أو أبينا فإنّ محفوظ نحناح كان هو حركة حماس وحماس هى محفوظ نحناح، وقد تشهد هذه الحركة تراجعًا كبيرًا فى ظلّ غيّاب نحناح.

وتشاء الأقدار أن يفارق نحناح الحياة بمرض قبل أيام من إطلاق سراح زعيمى الإنقاذ عباسى مدنى وعلى بلحاج اللذين قضيّا اثنتى عشرة سنة كاملة فى سجن البليدة العسكرى، واللذين كانا فى أمسّ الحاجة إلى نصرة نحناح الذى كان يتجنب الحديث عنهما خصوصًا أنّ المؤسسّة العسكريّة كانت تتحسسّ من أى شخص يورد فى حديثه اسم عباسى مدنى وعلى بلحاج.

رحم الله محفوظ نحناح فقد كان دائم الحركة من أجل الإسلام.

الشيخ محفوظ نحناح: تجربة «ثرية» ومسيرة مضطربة![١]

انتقل إلى رحمة الله الشيخ محفوظ نحناح رئيس حركة حمس (حركة مجتمع السلم) والمراقب العام للإخوان المسلمين فى الجزائر، يوم الخميس الماضى عن عمر يناهز الستين، بعدما أقعده المرض لمدة سنة كاملة، والأستاذ النحناح من الشخصيات الإسلامية فى الجزائر التى أثارت جدلاً واسعًا فى الداخل والخارج، بما عُرف عنه من وضوح فى التعامل مع جماعات العنف المسلح، وتقلب فى المواقف وشدة على إخوانه من التيارات الإسلامية الأخرى (خاصة الجبهة الإسلامية للإنقاذ) ودفاع مستميت عن الدولة الجزائرية وتبنٍ لخيار المشاركة «اللامشروطة» فى نظام الحكم منذ انقلاب العسكر فى يناير ١٩٩٢م، ودشن عهده الجديد آنذاك بمقولته المشهورة التى عززت خيار النظام الأمنى فى مواجهة ظاهرة العنف المسلح: «أفتى بجواز نزول الدبابات لحماية الديمقراطية»، وكان هذا إيذانًا بتحول نوعى من مرحلة الدعوة إلى عهد الدولة، أو ما يعرف بالنضال السياسى من خلال تأسيس حركة مجتمع السلم، بعد طول مراس وتجربة فى العمل الدعوى والحركى.

وقد كان للأستاذ محفوظ حضور مكثف فى مؤتمرات المنظمات الإسلامية فى أوروبا (خاصة فرنسا وألمانيا) وأمريكا (مؤتمرات رابطة

(١) مجلة العصر: تحليلية سياسية يومية تصدر على الإنترنت: ٢٢/٦/٢٠٠٣م.

الشباب العربى المسلم) ومهرجان الجنادرية فى السعودية، طيلة عقد من الزمن، يعرض من خلالها وجهة نظره فى الأزمة، محملاً الجبهة الإسلامية للإنقاذ وما تمخض عنها من جماعات مسلحة النصيب الأكبر من الأزمة الدموية التى عاشتها الجزائر فى العشرية الأخيرة.

ومهما اختلفت الآراء حول شخصية النحناح، يبقى أنه ساهم فى ترشيد الصحوة فى الثمانينيات، وأسس له خطًا سياسيًا خاصًا ارتبط باسمه فى عهد التعددية الحزبية، وهكذا هى المجتمعات فى كل حقبة من حقب التاريخ، إنما هى انعكاس للشخصيات التى تقود الأجيال أكثر مما هى انعكاس للقوانين المقررة التى تنظم الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، ومرد هذه الظاهرة لسببين: أن المفاهيم والأخلاق والطباع توغل فى الأثر النفسى المعنوى أبعد وأعمق من التسلط المفروض القائم على القهر والغلبة، وتملك من معانى التأثير ما لا تحوزه القوة، وأن النفس بفطرتها تنجذب إلى اللين الهين ومن يضرب على أوتار الحجج والعقول والعواطف، وليس يقوى جمود الصرامة ولا لغة الحديد والنار على كسب القلوب وإقناع العقول، ولم يزل البشر يتعلقون بالأشخاص محاكاة وتأسيًا.

وما يهمنا الآن، بعد أن أفضى الرجل إلى ربه، هو استعراض أهم ما يمكن استفادته من تجربة الشيخ فى مختلف مراحل مسيرته الدعوية والسياسية، خاصة ما تعلق منها بأدائه وخياراته واجتهاداته فى التعامل مع مختلف أطراف الأزمة فى الجزائر، فثمة قواسم مشاركة لا تخطئها عين

الراصد والمتابع بين تجربته وبعض التجارب السياسية أو الإصلاحية فى الخليج والمشرق، شاركت فى كل مواعيد السلطة الانتخابية وكانت حاضرة فى كل جولات الحوار مع الرئاسة، كما أنه ساهم بشكل فعال وقوى فى إنقاذ النظام يوم أن كان معرضًا للانهيار بفعل الهزات الداخلية والخارجية (خاصة فى عام ١٩٩٤م)، ودافع عن الدولة الجزائرية أمام المحافل الدولية، وقد أدى بهذا خدمة نوعية للكيان السياسى لم يُتنكر لها (سواء أكان هذا حقًا أو لا)، ونسج علاقات استراتيجية مع العسكر وبعض الدوائر النافذة فى الحكم، مكنته من حماية حركته من التصفية أو القمع الحكومى، وجعلت منه أحد رهانات نظام الحكم فى خيار الاستئصال الأمنى الذى طغى على الخيار السياسى والعلمى فى التعامل مع ملف العنف المسلح. وقد لخص المنشقون عن الأستاذ محفوظ نحناح رحمه الله انتقاداتهم وأسباب انسحابهم فى جملة نقاط نذكر منها: « التنازل التدريجى إلى درجة التخلى النهائى عن قرارات وتوصيات الحركة سنة ١٩٩١م، تغييب الشورى فى قضايا جوهرية، ومواقف سياسية، سيطرة الذهنية الأحادية، وفرض الرأى الواحد، مما أفقد الحركة كثيراً من قدراتها وكفاءتها، فكان الشرخ الذى تسربت منه الوصولية والانتهازية، الخط السياسى المكرس وازدواجية الخطاب فيه، زعزعة ثقة الرأى العام الوطنى.. وبالتالى استعدى كل الحساسيات الوطنية بمختلف توجهاته..».

– ابتداء، ما ينبغى ذكره وعدم الإغفال عنه، لأنه مسألة محورية فى بروز شخصية النحناح وتألقه، هو طبيعة الحاشية التى التفت حوله منذ

بدايات النشاط. إذ ما كان للأستاذ محفوظ نحناح أن يبرز ويتصدر المجالس لولا ضعف الحاشية، واضطراب موازين الاختيار، وسيادة أجواء الهالة والقداسة على الفصحاء البلغاء ممن نأمنهم ثراء لغويًا، ونسند لهم المهام لما تلوكه ألسنتهم من معانى التطوير، والجرأة فى الطرح، والقدرة على التنميق وزخرفة الألفاظ؛ لينسحب هذا التأهيل اللغوى على مجالات أُخر دعوية وشرعية – وسياسية طبعاً – فى غياب شروط الانتقاء والأهلية.. وقد نعذر فى هذا البطانة الأولى التى جعلت منه – بشكل أو بآخر – زعيماً منذ بداية السبعينيات، وخاصة بعد خروجه من السجن فى مستهل الثمانينيات، وهذا باعتبار الظروف القائمة آنذاك، إلى جانب بلوغ العصبية التنظيمية ذروتها، لكن لا أظن أننا يمكن أن نغض الطرف عنهم فى النصف الأول من التسعينيات؛ حيث نما الوعى، وتراكمت أنماط التسلط القيادى، وحصل الاستئثار القيادى بمراكز القوى السياسية والتنظيمية. وإن الذين هتفوا لزعامة الشيخ محفوظ نحناح وحملوه على كواهلهم ليتقدموا به، ويعيشوا بأفكاره ولأفكاره، أو ما يمكن تسميتهم بأصحاب الثقة، هم الذين انقلبوا عنه فى منتصف التسعينيات عندما انسدت قنوات الحوار والإصلاح الداخلى. إن كثيراً من الدعاة وطلبة العلم من أهل الثقة وأحيانًا من أهل الخبرة يرضى بالذوبان فى شخصية القائد أو الشيخ إما افتتانا به، أو مخافة « المخاطرة » بالنقد الصريح والوجيه، أو لأن القوالب التنظيمية تملى عليه الاستكانة إلى « عقلية المريد » والزهد فى إشغال الذهن، فيركن إلى المحاكاة طلبًا للسلامة والعافية من التفكير والنظر والرأى الحر المستقل!. ويغلب على العناصر المشكلة للبطانة الهشة طابع

التلقى للتنفيذ دون مساءلة ولا تروٍّ. وإن كثيراً من المشايخ افتتنا بهم فى مرحلة معينة ووهبنا لهم عقولنا وعطلنا معهم حواسنا، لنفيق بعدها على تراكمات وطباع مهلكة لا قبل لنا بمعالجتها وإعادة النظر فيها أو حتى مراجعتها. كما أن على الشيخ أو المصلح أو القائد، أن يخضع اجتهاده للمؤسسة أو للقيادة الجماعية، ولا يرضى بتبريكات وموافقات الحاشية من أهل الثقة، بل لابد من أهل الخبرة والعلم معًا، ولا يقبل بتدليس البطانة ولا بضعفها، فقوتها من قوته، وضعفها من ضعفه.

– لقد كان الشيخ نحناح رحمه الله واضحًا وجريئًا فى موقفه من العنف الذى تبنته مجموعات إسلامية مسلحة، خرج عدد منها من عباءة الجبهة الإسلامية للإنقاذ، وإن لم تتبن (الإنقاذ) النهج المسلح سبيلاً للتغيير، وهذا منذ بداياته. فقد مالت تطورات الأوضاع السياسية والأمنية باتجاه الانسداد والتأزم منذ انقلاب يناير ١٩٩٢م، لتعزز حينها حركة حماس (حركة مجتمع السلم «حمس» لاحقًا، الواجهة السياسية للإخوان فى الجزائر) بقيادة الأستاذ محفوظ نحناح مواقعها داخل المؤسسات الانتقالية (خمسة أعضاء فى المجلس الانتقالى الوطنى) التى شكلها النظام الحاكم كبديل للمؤسسات المنتخبة الملغاة، رافضة بهذا التغيير بقوة السلاح، كما رفضت البقاء فى النظام بقوة العسكر، سالكة بهذا الخيار السلمى فى إصلاح الأوضاع، وبالمقابل تفاقمت حدة الخلافات الداخلية بين قيادات الحركة حول فعالية ومشروعية ومصداقية هذه المسلكية المتبعة فى إثر المشاركة فى ندوة الوفاق الوطنى سنة ١٩٩٤م.

هذا فى الوقت الذى تبنى فيه عدد من قيادات وإطارات الجبهة الإسلامية للإنقاذ خارج السجن، خيار العمل السرى، لتخوض بعدها مغامرة الصدام المسلح ضد النظام القائم على ما بينها من خلافات فى الرؤية والخطة، لترتكب بهذا خطأ استراتيجيا مكلفا ومستنزفا (وليس هذا أوان الحديث عنه، ويكفى النظر فى مآلات هذا الخيار من مفاسد وأضرار وحصيلة ثقيلة من القتلى والدمار والخراب والمشردين والتضييق على العمل الإسلامى، لنحكم عليه).

– إن استئثار الأستاذ محفوظ نحناح رحمه الله بالقيادة السياسية والدعوية والحركية، ونسجه لعلاقات استراتيجية واتخاذه لمواقف مصيرية، بعيداً عن أجواء الحوار الناقد والمؤسسات الشورية (الشورى الفعلية لا الصورية) أفرز مظاهر مرضية، لعل بعض صورها تتضح أكثر عند إخواننا فى بلاد الجزيرة، وهو غياب القيادة المؤسسة: صحيح أنه قد يتسنى للقيادى الواحد من الإمكانات والقدرات ما لا يُتاح للمجموعة لأداء دور مميز فى مسيرة الحركة، غير أن ما يمكن اعتباره إنجازاً فريداً من نوعه – قد يتحول إلى عنصر تآكُل وتجاذب، يعيق سير الفصائل بل الأمم والتجارب، وهذا من خلال الاستئثار القيادى التاريخى والاحتكار المزمن للمواقع السياسية والتنظيمية، ومن ثم يصبح الحراك المؤسسى والسير اليومى مرتهناً لهذه المواقع، وبهذا تغيب مقاييس الكفاءة والأهلية، وتضطرب موازين الشورى والحوار الناقد والقيادة الجماعية؛ ويتراجع الحوار الداخلى والتنسيق الفعال أمام زحف مظاهر الاعتداد بالزعيم والتمحور

حوله – ظالمًا أو مظلومًا – ونصبه – من خلال تجربته وقدراته – حجة على المشورة، ومن هنا كان خطأ التجارب الإسلامية التى تربط مصيرها بمصير قائد واحد مهما كان فذًا بارعًا. وقد ييسر الله تعالى لاحقًا للحديث أكثر حول ما يمكن الاستفادة من تجربة الشيخ محفوظ نحناح رحمه الله سواء من توفيقاته أو أخطائه. وأجدنى مضطرًا لأن أسجل هذه الوقفات ردًا على تحفظات البعض ممن يرى فى هذا النقد تجريحًا وحطًا.

«الوقفة الأولى: الأصل فى منهجية النقد والتقويم أن يفصل الشخص عن التيار؛ فالجماعة لا يحتكرها اختيارات شخص أو تجربة رائد من الرواد، ولا يهيمن عليها مجموعة أفراد أو تكتل رهط مهما بلغ قدرهم، وتميزت مواهبهم، لكن ماذا لو أصبح الشخص – قائدًا كان أو مفكرًا أو.. – هو الجماعة؟!، ليس لكونه على الحق، وإنما لسطوه على الرأى، وإحكام قبضته على الحاشية، واختلال موازين الانتقاء والاختيار، وتنامى التورية، ووأد القناعات، ودسها فى التراب اتقاء للفتنة، وحماية للرصيد، ويورى كل من الشيخ والمريد عن الآخر!، ويحصل اتفاق – بشكل أو بآخر – على طمس العيوب والتغاضى عن الزلات، ووأد الاستدراك، وإرجاء التصحيح – فى أحسن الأحوال – وكل يهادن الآخر، ويحابيه على حساب الديانة والقناعة، فلا المريد يعترض، ولا الشيخ يأبه بتزلف التابع، وإغراقه فى التبرك!، وقد يؤثر الصمت فى تدليس خفى إذا ما نسب له الرواج والذيوع، وأضيفت عليه الهالات الدعوية والشرعية والسياسية، بل ويستمرئ الإمعان فى «المغالاة» و«التعظيم» له، فهذا ما لا يستسيغه أولو

الألباب والإنصاف، وعندما تفوح رائحة فضائح التقية والتورية من مجالسهم يسارعون للإصلاح على نظرية «اسكتوا نسكت»! – لكن ليس على طرية الإمام أحمد مع مبتدعة عصره من دعاة خلق القرآن – ويتواطؤون على حماية الضعف والهزال وتأمين التبرك والتمرير، ويتواصون على أن «لا توغروا صدر الشيخ بالمساءلة والمراجعة، ولا تؤلبوا صفوة المريدين على الحجة بإشاعة فقه التمرد والمناصحة، وأوغلوا فى التواطؤ برفق؛ فإنه أدوم للعشرة والمودة!. وفى الاصطلاح والافتتان من تفويت لفرص إنضاج الآراء ووقفات التأمل وترتيب الأولويات ما نشاهد تبعاته ونتجرع تركته فى الحراك اليومى، ومن شأن هذا وذاك استنساخ أنماط التفكير وطرائق السير إلى حد تضيع معه احتمالات النبوغ والتنويع والإثراء والتعديل والتهذيب. وماذا لو فكر الداعية وقدر، وأبدى رأيه بدل التفكير بعقل غيره!، وماذا لو اقتحم بنفسه ودق على صدره، وقال: أنا للإصلاح ومواصلة الدرب، بدل العيش على رصيد الغير، والاعتماد شبه الكلى على تركاتهم ومخلفاتهم!، إن الافتتان بالأشياخ قد لا نجد له مرادفًا فى القاموس العام غير البطالة؛ فإن النفس جبُلت على حب البطالة، والتطلع إلى ما فى أيدى الغير. فنحن – إذن – أمام ظاهرة تضخم الشخص وتغوله على حساب المجموعة، وتسليم الحاشية للزعيم فى المنشط والمكره، أليس هذا واقع فتنة؟!.

الوقفة الثانية: أما قضية الخيارات السياسية وترجيح هذا على ذاك كترجيح المشاركة على المغالبة أو العكس، فهذا خاضع للموازنة بين .

المفاسد والمصالح واعتبار المآل، وما يصلح فى مرحلة قد لا يليق فى مرحلة أخرى وهكذا، وإنما الذى نعيبه فى ظاهرة استئثار القائد، أن تُحدد الخيارات – بغض النظر عن طبيعتها – وأن تُرتهن الجماعة أو المؤسسة وتعلق مصيرها الدعوى والسياسى على رؤى القائد ونظراته دون مساءلة ولا مراجعة ولا شراكة فى الرأى ولا مَأسسة للقيادة. ثم هناك تمايز وتباين بين نوعين من العمل السياسى: نوع قوامه إدارة الشئون المشتركة بمقتضى الحكمة والمشورة، ونوع آخر يرتكز على التصرف فى الشئون المشتركة بمقتضى المزاج وإملاءات جماعات الضغط – بغض النظر عن طبيعتها – وفرق بين التصرف والإدارة، وبين مقتضى الحكمة، وإملاءات الدوائر أو على الأقل ضغوطها.

الوقفة الثالثة: لو أننا – ابتداءً – أنصفنا «الرمز»، وأنه يعتريه ما يعترى «الأتباع» من أنواع الضعف والفتور، ففى النفوس – كل النفوس – قابلية للطيش فى أوقات الغفلة، فتنزل إلى مستوى العوام، وإن استقام صاحبها على دين الخواص ردحًا من الزمن، أو حاز على أعلى شهادة وأرقى منصب، بل وإن ابيضت لحيته، وشاب رأسه فى هذه الدعوة المباركة، وقد ينحرف ويزل، ويطغى على حياته الدعوية الطابع التنظيرى التحفيزى على الجانب العملى الممارساتى، فتجذبك نظرياته واجتهاداته بينما ينفرك واقعه المسلكى، وطرائق عمله، وأساليب إدارته لشئون المؤسسة، وقد ينقلب على قناعاته بشكل لا يستمرئه حتى «الأتباع»، لأمكننا تفادى الصعق والصدمات جراء ما قد يطرأ على الرواد والزعامات من نكوص أو

تبدل للرؤى أو تعديل الوجهة، وما إلى ذلك مما عرفته الدعوة الإسلامية من صنوف النخر الداخلى والتآكل القيادى. فهناك ثبات نسبى فى خصائص الأشخاص، والنفوس تتغير، والمواصفات تتبدل؛ ولهذا يُنصح بأن تُراجع عملية التقويم بين فترة وأخرى.

الوقفة الرابعة: قد اشتط البعض فى التباهى والتعسف فى تقدير «الإنجازات» التى حققها جراء تبنى مسار سياسى معين بفعل التجاوب الظرفى الذى لقيه، أو «التمكين» النسبى الذى بدا له، دون النظر فى التبعات والعواقب على الخط الخلقى التربوى والتأصيلى، وكذا تماسك الصف الإسلامى قيادة وقاعدة، فأى قيمة لهذا «الإنجاز» السياسى أو ذاك إذا كان على حساب قناعات المجموعة ورصيد الجماعة؟! وأى «مكسب» هذا الذى يترتب عنه نزيف قيادى وقاعدى لا تخطئه عيون المارة فضلاً عن أهل الدار؟!، وأى «نباهة وفطنة» هذه التى تُقصى هذا، وتخذل ذاك، وتجمد زيداً، وتشن حملة على عمرو؛ لتصفو لها الأجواء، وتخلو لها الساحة؟!، وأى اختراق للسلطة هذا الذى يفضى إلى أن ترتد عليك الخطة، وتأتى بخلاف استشرافك وتطلعاتك؟!.

الإخوان المسلمون فى ليبيا ينعون

بسم الله الرحمن الرحيم

الإخوة فى المكتب الوطنى لحركة مجتمع السلم – الجزائر.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

بقلوب ملؤها الرضا بقضاء الله وقدره، تلقينا وبكل حزن خبر وفاة الشيخ محفوظ نحناح الذى هو بحق أحد أعمدة الحركة الإسلامية فى هذا العصر. إن الشيخ محفوظ رحمه الله بصلابة انحيازه لنبذ العنف، وتصميمه على السير باعتدال ووسطية قد أرسى أهم دعائم العمل الإسلامى الرشيد الذى ستبقى آثاره عبر الأجيال.

إننا إذ نسمع بوفاة شيخنا الفاضل رحمه الله لنتذكر تلك الأعمال الجليلة التى أسداها شيخنا الفاضل إلى الحركة الإسلامية فى ليبيا، فلقد كان للشيخ رحمه الله بتجربته المتميزة وفهمه المعتدل الفضل الأكبر فى توجيه العمل الإسلامى فى ليبيا عندما كنا فى أشد الحاجة إلى الناصح الأمين.

إننا اليوم لنتذكر تلك اللقاءات التى جمعتنا بشيخنا الفاضل فكان فيها الموجه الخبير، والمعلم المتقن، والمربى الحنون.

تقبل الله الشيخ محفوظ نحناح فى الصالحين المصلحين، وجعله الله مع

الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا، وأخلف شعب الجزائر والأمة الإسلامية فيه خيرًا، وألهم أهله وذويه وأحبابه الصبر والاحتساب.

و«إنا لله وإنا إليه راجعون».

الإخوان المسلمون – ليبيا

الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين تعزى[١]

بعث الرفيق نايف حواتمه الأمين العام للجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين رسالة إلى قيادة حركة مجتمع السلم فى الجزائر يعزيهم فيها برحيل محفوظ نحناح رئيس الحركة. جاء فى الرسالة:

«نعزيكم ونعزى أنفسنا شعب فلسطين المظلوم برحيل الأخ الصديق محفوظ نحناح.. لكم الصبر الجميل والنضال الطويل على طريق بناء الجزائر لشعبها.. جزائر الحداثة والعصرنة والديمقراطية والسلم الأهلى والتقدم».

عنهم الرفيق نايف حواتمه

الأمين العام للجبهة

(١) جريدة الحرية: العدد: (٩٤٥) – ٢٩ يناير ٢٠٠٣م، «الحرية» – الجزائر.

الصحوة اليمنية تنعى الشيخ محفوظ نحناح رحمه الله

بقلم: سعيد ثابت من صحيفة الصحوة اليمنية

فضيلة الشيخ محفوظ نحناح شخصية جزائرية معروفة فى الأوساط العربية والإسلامية والدولية، من مواليد ١٩٤٢م بمدينة البليدة فى الجزائر، ومن عائلة محافظة عاشت للمحافظة على اللغة العربية والإسلام وخدمة المجتمع. درس على أساتذة وعلماء فضلاء فى المدرسة التى كانت رمز الصمود أمام محاولات التذويب الغربى، التى أسستها الحركة الوطنية الجزائرية – حركة انتصار الحريات الديمقراطية – المدرسة المسماة «مدرسة الإرشاد» بالبليدة، وهى المدرسة التى قدمت ثلة من شبابها فداء للحرية والاستشهاد، وثلة أخرى من أبنائها مكافحين عن اللغة العربية، لغة القرآن والإسلام، وعاش المأساة والمعاناة التى مرت بالمجتمع الجزائرى خلال الأربعينيات والخمسينيات إلى أن قامت الثورة الجزائرية، إذ التحق بسلك التدريس والتعليم للمرحلة الابتدائية على جبهة صناعة عقلية الإنسان الجزائرى المسلم.

التحق بمعهد الآداب واللغة العربية بجامعة الجزائر فى الموسم الدراسى لعامى ١٩٦٦م – ١٩٦٧م وخاض معارك شرسة فى الجامعة مع أنصار الفرنسة، والتغريب. تعرض لمحن وابتلاءات فى مسألة الثورة الزراعية، وقانون الأسرة، ثم مع إخوانه أثناء مناقشة الميثاق الوطنى والدستور عام ١٩٧٦م فاعتقل وحكم عليه بالسجن مدة خمس عشرة سنة، بتهمة

المعارضة، ومحاولة قلب نظام الحكم، قضى فى السجن حوالى خمس سنوات، إذ أطلق سراحه مع بقية إخوانه بعد تغيير النظام الحاكم.

عمل أستاذًا فى جامعة الجزائر التى تخرج فيها، حيث درس فيها مادتى التفسير والسيرة النبوية، بمعهد العلوم الإسلامية. عاش الشيخ محفوظ نحناح التجربة الدعوية منذ نعومة أظفاره، ووفقه الله فى صناعة جيل إسلامى معتدل، وخاض مع إخوانه تجارب عدة تجاوزوا فيها عقابيل البومدينية وما بعدها.

مع إعلان التعددية السياسية والحزبية فى الجزائر عقب أحداث أكتوبر ١٩٨٨م عمل على مستويين، **الأول**: أسهم بفعالية كبيرة فى تأسيس رابطة الدعوة الإسلامية لتكون بمثابة رابطة توحيد وتجميع لجهود وقوى العلماء الجزائريين، **والمستوى الثانى**: أسس جمعية الإرشاد والإصلاح لتكون إطارًا للحركة الإسلامية الجزائرية المعتدلة والراشدة، رغم هويتها كجمعية خيرية وحملت أهدافًا ثقافية وتربوية واجتماعية وعمالية، وقدمت نفسها كإطار حركى يعبر عن مدرسة الإخوان المسلمين، وشاركت فى أول انتخابات على أساس حزبى فى الجزائر عام ١٩٩١م، وأعلن عن تأسيس إطار سياسى باسم حركة المجتمع الإسلامى ثم تم تغيير اسم هذا الإطار إلى حركة مجتمع السلم الجزائرى.

إثر تصاعد موجات العنف التى اجتاحت الجزائر عقب إلغاء نتائج الانتخابات وحل الجبهة الإسلامية للإنقاذ، وسلوك بعض فصائلها طريق

العنف للرد على انقلاب جنرالات الجيش على الديمقراطية، لكن نحناح وقف موقفًا معارضًا للعنف، ودعا إلى اعتماد العمل السلمى، وتبنى الخيار التربوى والهادئ المتدرج، واستطاع أن يقود حركة مجتمع السلم الجزائرى، ومعها التيار الإسلامى إلى بر الأمان.

ونجح فى الخروج من دوامة العنف والإرهاب التى عانت الجزائر منها، رغم أنه دفع وبقية إخوانه فى حركته ثمنًا باهظًا، وتعرض عدد منهم لحوادث اغتيالات من قبل عناصر إرهابية ومتطرفة، كان أبرز شهداء الحركة إبان تلك الفتنة فضيلة العالم الشيخ الشهيد محمد بوسليمانى، كما تعرض نحناح لأكثر من محاولة اغتيال من أطراف كثيرة، إذ عبرت تلك الأطراف التى تتوزع بين اليمين واليسار عن تذمرها وقلقها من طريقة وأداء نحناح السياسى، وعدم انزلاقه إلى حمام الدم الجزائرى، واعتماده العمل السلمى والهادىء والمتدرج.

خاض نحناح الانتخابات الرئاسية، واستطاع أن يحصد مئات الآلاف من أصوات الجزائريين، ووصل إلى المرحلة الثانية بعد خروج بقية المنافسين، وتنافس فى المرحلة الأخيرة مع منافسه الرئيس عبد العزيز بوتفليقة الذى استطاع أن يفوز بمنصب الرئاسة.

الشيخ المرحوم بإذن الله محفوظ نحناح متزوج وأب لعشرة أولاد، وظل مقيمًا فى مدينة البليدة الواقعة على بعد ٥٠ كيلو مترًا تقريبًا غرب العاصمة. ويحظى نحناح رحمه الله باحترام كبير فى جميع الأوساط

السياسية الجزائرية، فى السلطة والمعارضة، كما يتمتع بحضور كبير فى المحافل العربية والدولية. ويعد الشيخ نحناح رحمه الله صاحب مدرسة فكرية وحركية متميزة فى الجزائر لها أنصار ومريدون وعاملون.

وأصبح كثير ممن حاربه وهاجمه من أتباع بعض الجماعات الإسلامية يعترفون أنه كان أبعد نظراً، وأصوب رأياً فى تقييمه وموقفه تجاه فتنة ما بعد انتخابات نهاية عام ١٩٩١م.

تجمع العلماء ينعى الشيخ «محفوظ نحناح»

بمناسبة إعلان وفاة رئيس حركة مجتمع السلم الإسلامى فى الجزائر سماحة الشيخ محفوظ نحناح، أصدر تجمع العلماء المسلمين فى لبنان واللجنة المتابعة لمقررات مؤتمر علماء الإسلام البيان التالى:

بمزيد من الأسى واللوعة والتسليم بقضاء الله تلقينا نبأ وفاة العالم الكبير الشيخ محفوظ نحناح رئيس حركة مجتمع السلم الإسلامى فى الجزائر، وقد كان هذا العالم أحد كبار العلماء المجاهدين والعاملين فى سبيل خدمة الإسلام فى الجزائر خاصة فى وقت تصاعدت فيه الفتنة هناك، فانبرى سماحته لمواجهتها وإنقاذ الحركة الإسلامية من مؤامرات التصفية وتضييع الإنجازات. لقد كان سماحته رائداً من رواد الوحدة الإسلامية وقد شاركنا كتجمع فى أكثر من مؤتمر ولقاء، وكان له الدور البارز والرأى السديد الذى ساهم فى إنجاح هذه المؤتمرات واللقاءات، وقد كان لمشاركته الفاعلة فى المؤتمر الذى عقد أخيراً بعنوان: «مؤتمر علماء الإسلام» دور بارز فى الخروج بمقررات وتوصيات، كنا نتمنى أن يدرك ثمارها التى نأمل أن تتحقق قريباً وأهمها إنشاء «الاتحاد العالمى لعلماء الإسلام».

ونحن فى تجمع العلماء المسلمين واللجنة المتابعة لمقررات مؤتمر علماء الإسلام، إذ ننعى إلى الأمة الإسلامية وفاة هذا العالم الكبير، ندعو الله عز وجل أن يوفقنا لتنفيذ ما اتفقنا عليه معه فى أقرب وقت ممكن، وأن يوفق

إخوانه فى قيادة الحركة إلى المضى قدمًا فى سبيل تنفيذ الأهداف النبيلة لحركته والتمسك بالنهج الإسلامى الأصيل، وأن يسكنه فسيح جناته ويلهم أهله وأنصاره ومؤيديه الصبر والسلوان.

«وإنا لله وإنا إليه راجعون».

تعزية الإخوان السوريين المقيمين فى المدينة المنورة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى لا يحمد على مكروه سواه، وكل مصيبة بعد رسول الله ﷺ جلل، إن القلب ليحزن، وإن العين لتدمع وإنا على فراقك يا شيخنا لمحزونون، ولا نقول إلا ما يرضى ربنا: إنا لله وإنا إليه راجعون ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

الإخوة الأحباب فى حركة مجتمع السلم: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

عظم الله أجركم فى فقيدنا الغالى الشيخ محفوظ نحناح يرحمه الله، ونسأل الله تعالى أن يتغمده برحمته ويسكنه فسيح جناته مع الأنبياء والصديقين والشهداء وحسن أولئك رفيقًا. وأن يلهمنا الصبر والسلوان وأن يعيننا على فقده، ويرص صفنًا ويوحد كلمتنا وأن يعوضنا عنه.

وإنا لله وإنا إليه راجعون، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

إخوانكم السوريون فى المدينة المنورة

عنهم أخوكم: أبو ثائر، أحد إخوان الشيخ ومحبيه، ومن بين من ساهم معه فى نشر الدعوة فى المراحل الصعبة فى مرحلة السبعينيات.

جماعة الإخوان المسلمين
تنعى فضيلة الشيخ محفوظ نحناح[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله تعالى المحمود دائمًا وعلى كل حال، القائل فى كتابه الكريم **﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾** [آل عمران: ١٨٥] والصلاة والسلام على رسوله الصادق الأمين الذى خاطبه ربه فقال: **﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ (٣٠) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾** [الزمر: ٣٠، ٣١].

وبعد .. فإن جماعة الإخوان المسلمين ليؤسفها أن تنعى لجميع أبناء حركتها الإسلامية وجميع مسلمى العالم رجلاً ممن نحسبهم – ولا نزكى على الله أحداً – من أصدق رجال الدعوة إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة، ومن الذين تميزوا بالشجاعة والإقدام، وبالجهاد بالنفس والمال فى سبيل إعلاء كلمة الله، وإقامة شريعته على هدى وبصيرة، هو العالم الجليل فضيلة الشيخ «محفوظ نحناح» رئيس حزب حركة السلم بالجزائر.

وافاه الأجل المحتوم بعد أحقاب وأحقاب من الكفاح تخللتها أحداث جسام وخطوب عظام تقبلها بصبر وثبات، وتعامل معها بحنكة وبصيرة،

(١) حقائق مصرية: ١٩ من ربيع الآخر ١٤٢٤هـ - ١٩/٦/٢٠٠٣م.

فكان نعم الأخ والقائد فى السراء والضراء.

نسأل الله تعالى أن يسبغ عليه واسع رحمته وعظيم غفرانه، وأن ينزله منازل الأبرار الأطهار مع الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

وإن جماعة الإخوان المسلمين إذ تنعى قائداً من قادتها الأبرار فإنها تتقدم للجزائر شعبًا وقيادة وحكومة، وإلى حزب حركة السلم بالجزائر، وإلى آل الفقيد بخالص عزائها، وتدعو أن يخلفها ربها فى مصيبتها بخير.

وسبحان الحى الذى لا يموت، وإنا لله وإنا إليه راجعون، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

الإخوان المسلمون

القاهرة فى ١٩ من ربيع الآخر ١٤٢٤هـ - ١٩ من يونيو ٢٠٠٣م

حركة التوحيد والإصلاح تعزى فى وفاة الشيخ محفوظ النحناح رئيس حركة مجتمع السلم

على إثر وفاة الشيخ محفوظ النحناح، رئيس حركة مجتمع السلم الجزائرية، أرسل رئيس حركة التوحيد والإصلاح الأستاذ محمد الحمداوى برقية التعزية التالية إلى قيادة مجتمع السلم جاء فيها :

إلى الإخوة فى قيادة حركة مجتمع السلم الجزائرية :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

بقلوب مؤمنة بقدر الله وقضائه تلقينا نبأ وفاة أخينا الشيخ محفوظ النحناح، وهى الوفاة التى اعتبرناها خسارة لنا جميعاً ولتيار الاعتدال داخل الحركة الاسلامية المغاربية خاصة، ونحن نستحضر الدور الذى اضطلع به الراحل فى دعم السلم فى الجزائر والسعى الحثيث إلى تجاوز المحنة التى حلت بالقطر الشقيق فى العقد الأخير.

وبهذه المناسبة الأليمة أطلب منكم أصالة عن نفسى ونيابة عن جميع أعضاء حركة التوحيد والإصلاح إبلاغ تعازينا إلى أسرة الفقيد وذويه وإخوانه فى حركة مجتمع السلم الجزائرية، سائلين المولى أن يتغمد الفقيد بواسع رحمته ومغفرته . وإنا لله وإنا إليه راجعون .

عن المكتب التنفيذى - رئيس حركة التوحيد والإصلاح

الأستاذ محمد الحمداوى

نعى الهيئة الإسلامية العالمية بالكويت

نعت الهيئة الداعية الإسلامى الكبير محفوظ نحناح الذى وافته المنية عن عمر يناهز ٦١ عاماً وجاء فى بيانها ما يلى : قال تعالى : ﴿ **مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً** ﴾ [الأحزاب : ٢٣]، بقلوب مؤمنة بقضاء الله وقدره تنعى الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية فقيد العالم الإسلامى الداعية الوسطى الجزائرى محفوظ نحناح عضو الجمعية العامة بالهيئة وصاحب الموقف الحازم من الاحتلال العراقى وزعيم حركة المجتمع السلمى والذى عرف بوسطيته واعتداله . وقد وافته المنية فى يوم الخميس ١٩ربيع الآخر ١٤٢٤هـ الموافق ١٩/٦/٢٠٠٣م عن عمر يناهز ٦١ عاما بعد صراع مرير مع المرض . والفقيد نموذج يحتذى فى الاعتدال السياسى وقد جاهد طيلة حياته لنشر رسالة الإسلام ودفع مسيرة المجتمع المدنى إلى آفاق السلام والرخاء بعيداً عن الغلو والتطرف . ويذكر أن محفوظ نحناح عضو فاعل فى الجمعية العمومية للهيئة وزعيم جزائرى مرموق له دوره فى مركز الصدارة فى الحركة الإسلامية التى تعمل فى الجزائر، وله دوره المؤثر فى الأحداث الإسلامية . والهيئة الخيرية الإسلامية العالمية تتقدم إلى حكومة وشعب الجزائر بأحر التعازى لفقدان هذا الزعيم الداعية الوسطى .

« وإنا لله وإنا إليه راجعون » .

تعزية بفقيد الإسلام فضيلة الشيخ محفوظ نحناح

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً ﴾ [الأحزاب : ٢٣] .

مجمع الشيخ أحمد كفتارو ينعى رحيل فقيد الإسلام فضيلة الشيخ محفوظ نحناح مؤسس ورئيس حركة مجتمع السلم الذى لبى نداء ربه بعد ظهر يوم الخميس ١٩ /٦ /٢٠٠٣م بالعاصمة الجزائرية .

ويعتبر الشيخ الراحل أحد أبرز العلماء والدعاة فى العالم الإسلامى المتسمين بالوسطية والاعتدال وصمام الأمان للحركة الإسلامية فى الجزائر.

الرسول الأعظم محمدﷺ يقول : «**موت العالم مصيبة لاتجبر ، وثلمة لا تُسد ، وهو نجم طمث**» رواه الطبرانى .

نرجو الله تبارك وتعالى أن يتغمد فقيد الأمة بالرحمة والمغفرة، وأن يلهمنا الصبر والسلوان وأن يستمر أبناء الشيخ الراحل فى الجزائر على نهجه .. إنه مجيب الدعاء .

﴿ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ [البقرة:١٥٦].

صدق الله العظيم

رحيل الأستاذ محفوظ النحناح[1]

فى التاسع عشر من يونيو ٢٠٠٣م، غيب الموت أحد أبرز قيادات العمل الإسلامى فى الجزائر، وهو الأستاذ محفوظ النحناح – يرحمه الله – الذى حفلت حياته بالعديد من المعارك السياسية والفكرية والتحولات التى جعلته من أكثر رموز العمل الإسلامى إثارة للجدل فى العقدين الأخيرين.

ولد الأستاذ نحناح فى ٢٨ يونيو عام ١٩٤٢م فى مدينة البليدة جنوبى العاصمة الجزائر، وأكمل تعليمه فى الجزائر وحصل على شهادة الليسانس فى الآداب وعلم النفس، وعمل مديراً لمركز التعريب بالجامعة المركزية بالجزائر، وقد تأثر الأستاذ محفوظ نحناح بدعوة الإخوان المسلمين وانتمى إليها وأصبح ممثلاً لها فى الجزائر، وفى منتصف السبعينيات اعتقل وحكم عليه بالسجن خمس عشرة سنة قضى منها أربع سنوات ثم أطلق سراحه، بتهمة ارتكاب أعمال شغب والتآمر على نظام الحكم، شارك فى تأسيس رابطة الدعوة الإسلامية برئاسة الشيخ أحمد سحنون مع مجموعة من الإسلاميين مثل الشيخ عباسى مدنى ومحمد السعيد وعبد الله جاب الله وغيرهم، لحماية الدعوة وضبط مسارها، ثم أسس جمعية الإرشاد والصلاح مع الأستاذ محمد بوسليمانى الذى قتل غدراً – يرحمه الله – وكانت فرعا للإخوان المسلمين فى الجزائر، فى العام ١٩٩١م أسس حزب «حركة المجتمع الإسلامى» واختير أول رئيس للحزب، ثم تعدل الاسم بعد

(١) الحياة الثقافية .

ذلك لتعديلات قانونية طرأت إلى «حركة مجتمع السلم»، وفى العام ١٩٩٥م شارك فى الانتخابات الرئاسية ضد الرئيس الأمين زروال، وزعم أنه لم يفز إلا أنه حقق نتيجة طيبة وفاز بأكثر من خمسة وعشرين فى المائة من مجموع أصوات الناخبين، وقد كانت مرحلة السبعينيات والثمانينيات أخصب مراحل العطاء للفقيد الراحل على صعيد الدعوة إلى الإسلام والمحافظة على عروبة الجزائر، وكان إحدى الشخصيات البارزة التى نشطت فى أتون المد الاشتراكى التغريبى الخطير فى الجزائر، فأجرى الله على أيديهم خيراً كثيراً بحماية الجزائر من الضياع والتأسيس للإحياء الإسلامى الكبير الذى استمد عنفوانه فيما بعد من مؤثرات الصحوة الإسلامية فى المشرق العربى.

وقد مثلت الانتخابات النيابية الجزائرية فى مطلع ١٩٩٢ الميلادية نقطة تحول فى مسيرة الأستاذ محفوظ نحناح، حيث وقع صدام نفسى وسياسى عنيف بينه وبين الجبهة الإسلامية للإنقاذ، وخاصة بعد أن خسر حزبه خسارة مدوية فى الانتخابات النيابية لصالح فوز الجبهة الإسلامية الكبير، ولذلك سارع – وتسرع – فور وقوع الانقلاب العسكرى ونزول الدبابات لسحق خيار الشعب الجزائرى والانقلاب على المسار الديمقراطى بإعلان قولته التى أرخت لتحول خطير فى مسيرته السياسية والدعوية: أفتى بجواز نزول الدبابات لحماية الديمقراطية!، بطبيعة الحال الدبابات لم تنزل لحماية الديمقراطية، وإنما العالم كله رأى وسمع وعلم أنها نزلت للانقلاب على الديمقراطية وقطع المسار الديمقراطى، ومنذ ذلك البيان الخطير وقد

حسم الرجل خياره فى طريق واحد باتجاه واحد، وهو الولاء المطلق للطغمة العسكرية التى انقلبت على الديمقراطية وأدخلت الجزائر فى نفق مظلم خلَّف أكثر من مائة ألف قتيل ولم تخرج منه البلاد حتى الآن بعد أكثر من عشر سنوات من العنف المروع، وكان خطأ بالغًا من الأستاذ نحناح -يرحمه الله- فى هذا الخيار أنه حشر نفسه فى زاوية لا خروج منها، فأصبح فى نظر العالم الخارجى والمواطن الجزائرى قطبًا من أقطاب السلطة، يدافع عنها باندفاع عجيب فى المحافل الدولية، ويهاجم الإسلاميين الآخرين ويصفهم بأنهم خطر على الجزائر، وأن العسكر هم الذين أنقذوا البلاد من «الإرهاب» الإسلامى، وبينما كان هناك من القوى السياسية الأخرى بمن فيهم الشيوعيون الجزائريون من يدافعون عن حقوق الجبهة الإسلامية للإنقاذ السياسية والإفراج عن قادتها، كان السيد نحناح يدعو إلى استئصال الجبهة من العمل السياسى والتحذير من عودتها، بل بالغ جداً فى الحديث عن أن الدستور يمنع عودة الجبهة لأنها تخلط الدين بالسياسة، وعندما وقعت المصالحة بين السلطة والجناح السياسى للجبهة وهو الحدث الذى مثل حصاراً مهمًا لدوامات العنف وقلل من خطرها، اتخذ موقف الحذر والخوف من هذا العمل وراح يهدد هؤلاء العائدين من الشباب الإسلامى بأنهم لن يفلتوا من العقاب ويهيج القوى العسكرية عليهم.

تجربة الأستاذ محفوظ النحناح مهمة للغاية بالنسبة لمستقبل العمل الإسلامى، ويخطئ من يتوقف عند نقد خيارات الرجل لمجرد إثبات

الأخطاء أو الرغبة فى الإدانة، وإنما الأهم هى الدروس التى يمكن للعمل الإسلامى أن يفيد منها فى هذه التجربة النموذجية، ولعل أول الدروس هو الضرورة القصوى لتأسيس البنية التنظيمية للعمل الإسلامى وفق شورى حقيقية ومتوازنة، مهما كانت جاذبية القائد أو تاريخه، لقطع الطريق على أية نزعات شطط يمكن أن تعترى القيادة، وأيضًا لإمكانية تطوير الخطاب والموقف الإسلامى بما يتلاءم مع الأحداث، وحتى يتم تهميش المؤثر «النفسى» قدر الإمكان عن خيارات الموقف الدعوى والسياسى، والدرس الآخر هو حاجة حركات الإحياء الإسلامى إلى تربية سياسية وإدارية من نوع جديد لا يعتمد فقط على «الإرث التاريخى» من صبر على محنة أو قضاء عمر فى السجون، فهذا بلاء شخصى وحسابه عند ربه، وأما القيادة والرؤية والوعى والأفق المستقبلى فلها شروط أخرى ومقاييس أخرى، ولذلك كثيراً ما رأينا من يصبر فى محنة البلاء ولا يصبر فى محنة الرخاء، ومن يكون صلبًا فى ثباته عند الشدة وفقدان الخيارات، ثم يكون هو هو من يأتى بالكوارث والحماقات عندما توكل إليه مهمة اتخاذ قرار بإرادة حرة وباختيار من عدة خيارات، الدرس الثالث فى طبيعة العمل السياسى وخاصة فى علاقات الأحزاب الإسلامية الشرعية وغيرها بالحكومات والسلطات الرسمية، إذ أن معيار النجاح لا يتمثل أبداً فى قدرتك على مجرد الوجود ولا قدرتك على تحقيق المشاركة فى السلطة فى لحظة ما بأى قدر ولا تحقيق امتيازات معينة فى البنية الإدارية والنقابية والسياسية للدولة، وإنما الشرط الجوهرى فى صحة هذا العمل أو فساده هو مدى تحقيقه للرسالة التى قمت أصلاً من أجلها، وعندما تغيب هذه

الرسالة أو تطمر فإنك فى المحصلة قد خسرت خسرانًا مبينًا، ويكون هؤلاء الذين ربحوا سياسيًا فى لحظة تاريخية هم كيانات أخرى مختلفة عن الكيان الأصلى السابق، بما لهذه المفارقة من مخاطر على خسارة القواعد وخسارة المصداقية أمام الأنصار والآخرين، وتتحول إلى نسخة جديدة من النموذج التقليدى للسياسى بكل ما يتصف به من انتهازية ومراوغة ودجل، وهذه ظاهرة – للحقيقة – لا تعانى منها الحركات الإسلامية وحدها، وإنما هى خبرات إنسانية متعددة فى نماذج من الحركات النضالية العقائدية، ومن يتأمل نماذج من الشخصيات اليسارية المصرية الشهيرة فى الأحزاب الرسمية أو غيرها يجد الملاحظة واضحة جلية، وفى النهاية، وحسب نظرية «الليمونة» بعد اعتصارها إلى آخر نقطة فيها يكون مصير ما تبقى منها فى سلال المهملات دون أن يأسى عليها أحد .

الدرس الرابع فى هذه التجربة، هو خطورة العصبية التنظيمية على مسارات الدعوة وتصويب مساراتها وإغراء بعض المغامرين بالمضى قدمًا فى مشروعات خطيرة ومدمرة طالما احتفظوا بعلاقات ود ومجاملات وإظهار ولاءات ولو شكلية مع الآخرين، إن الكارثة وقعت عندما عاد مبدأ «انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا» إلى صيغته الجاهلية القديمة قبل الإسلام، وقبل أن يصوبه الرسول الكريم بأن نصرته ظالمًا تكون برده عن ظلمه، لم يعد أحد يرد أحداً عن ظلمه، وإنما يبارك خطاه ويروج لاستبداده ويلمح فى صورته وينصره على من يظلمهم، كل ذلك لمجرد إظهاره الولاء لأهل العصبية التنظيمية، فتتراكم الأخطاء وتعظم ويتباعد الطريق وتصعب معه العودة

إلى الجادة وتتعقد معه فرص الإصلاح، إن الولاء ينبغى أن يكون للإسلام أولاً وأخيراً، ويبقى كل ولاء دونه مكمل له وداعم ولا يكون العكس أبداً.

يرحم الله الأستاذ محفوظ النحناح، فإن أى تحفظ على اجتهاداته لا يمكن أن يمحو من ذاكرة الصحوة الإسلامية جهوده الكبيرة فى التأسيس للإحياء الإسلامى فى الجزائر والعمل على حماية عروبة البلاد وهويتها، نسأل الله أن يجزيه خيراً على ما قدم من خير وبلاء فى الإحياء الإسلامى فى الجزائر، وأن يعفو عنه ويغفر له ما عساه أساء فيه أو أخطأ، وأن يلهم أهله ومحبيه الصبر والسلوان.

أسرة تحرير جريدة الحياة الثقافية

أحمد سيف الإسلام حسن البنا فى حوار لحقائق مصرية

بعد زيارته الأخيرة إلى الجزائر وأداء واجب العزاء(١)

عاد إلى مصر نجل الإمام الشهيد والأمين العام لنقابة محامى مصر والقيادى البارز بجماعة الإخوان المسلمين «سيف الإسلام حسن البنا» من الجزائر بعد أداء واجب العزاء على رأس وفد جماعة الإخوان المسلمين فى فضيلة المرحوم الشيخ «محفوظ نحناح» والتقوا بالسيد «عبدالعزيز بوتفليقة» الرئيس الجزائرى، وبوزير الخارجية الجزائرى، ولقوا ترحيباً خلال زيارتهم كما تم استقبالهم، وعوملوا معاملة كبار الزوار، وقدالتقت به «حقائق مصرية» وكان هذا الحوار.

● فى البداية نود منكم أن تحدثنا عن رحلتكم إلى الجزائر موفداً من قبل الإخوان المسلمين بالقاهرة لأداء واجب العزاء فى فقيد الجزائر والأمة الإسلامية «محفوظ نحناح»؟

●● لقد توجهْت لأداء هذا الواجب فى وفاة فضيلة الشيخ الجليل «محفوظ نحناح» رئيس حركة مجتمع السلم فى الجزائر، وفى هذه الظروف العصيبة التى نشعر أننا جميعاً فى أمسِّ الحاجة إلى وجوده، والجزائر أيضاً فى أمسِّ الحاجة إليه، بل الأمة كلها، ولكنه قدر الله سبحانه وتعالى الذى لا نملك إلا أن ننحنى أمامه إجلالاً، ونقول رضينا بقضاء الله

(١) وذلك بتاريخ: ٤ من جمادى الأولى ١٤٢٤هـ - ٤/٧/٢٠٠٣م.

وقدره ونقول: «اللهم أجرنا فى مصيبتنا واخلف لنا خيراً منها».

● كيف شاهدتم وقع هذا الحادث على الشعب الجزائرى؟

●● وقع هذا الحادث على الشعب الجزائرى كما شاهدت بنفسى كان مؤثراً للغاية، وكان هذا التأثير يشمل جميع الجزائريين بمختلف انتمائهم وطوائفهم.. الجميع كان يأسى ويحزن لغياب فضيلة المرحوم الشيخ «محفوظ نحناح»، والجميع تكلموا عنه كلامًا طيبًا بصدق؛ خصومه وأحباؤه، وأكدوا على أنه رجل الاعتدال والوسطية والتسامح والتعاون مع الغير والحرص على مصلحة الجزائر كوطن له، والحرص على مصلحة الأمة العربية، وعلى قضايا الأمة العربية خصوصًا قضية فلسطين والحرص على مصالح الأمة الإسلامية التى جابها من أقصاها إلى أقصاها.. وعبروا جميعاً عن مشاعرهم تجاه سماحته، وبسمته وتعاونه الجم، وبعد نظره فى تقدير المسائل، ومن أثره فى المجتمع، ومن تحقيقه نجاحًا سريعًا فى وقت قصير.. كل ذلك شاهدناه بعيوننا وسمعناه بآذاننا من جميع المسئولين على كل المستويات.. ولم أكن وحدى من مصر الذى شاركت فى أداء واجب العزاء، ولكن الكثيرين ذهبوا من مختلف الاتجاهات والتيارات، ومن مختلف البلاد العربية والإسلامية ووفود لجميع الحركات الإسلامية فى العالم الإسلامى، والذين كانت تربطهم علاقات طيبة بالإخوان فى الجزائر.

الحكومة الجزائرية إزاء هذا الحادث كان موقفها موقفا طيبا للغاية، وفتحت سفاراتها فى جميع الدول العربية لكل من يرغب فى زيارة الجزائر لأداء واجب العزاء فى فضيلة المرحوم الشيخ «محفوظ نحناح»، وشيعته

تشييعَ عُظمائها، ودفنته فى مقبرة العظماء بها، ومنحته وسام المجاهدين من أجل الجزائر، وأحاطت كل مظاهر تشييعه بقدر كبير من الإجلال والاحترام ورحبت بالمعزين فيه من جميع أنحاء العالم العربى والإسلامى.

وقد حضرنا حفل التأبين الذى أقيم فى مسقط رأسه مدينة البليدة،وفى الاستاد الرياضى الضخم الذى امتلأ عن آخره بعشرات الآلاف من المشيعين،وأُلقيت فيه كلمات من معظم المسئولين الجزائريين،ومن مختلف الطوائف الجزائرية،وكلمات للوفود المشاركة فى التعزية. وقد ألقيت كلمة فى هذا الحفل عزاء للأستاذ فضيلة المرحوم الشيخ «محفوظ نحناح»، وعزاء لحكومة الجزائر، وعزاء للشعب الجزائرى وللأمة العربية، وتحدثت بما أفاض الله علىَّ فى هذا الحشد الكبير، كما تحدث أخى الدكتور «محمد مرسى» الذى رافقنى فى هذه الرحلة إلى الجزائر، وكانت كلمته لها الأثر الطيب فى الحضور.. كما تشرفنا بلقاء وزير خارجية الجزائر، والذى استقبلنا فى مكتبه بمقر وزارة الخارجية، وجلسنا معه وقتاً ليس بالقصير، وهو ينتمى لجبهة التحرير الجزائرية، ومحب ومقدر لجهود فضيلة المرحوم الشيخ «محفوظ نحناح»، ولديه غيرة وحرص شديدان على الإسلام، وقد تحدثنا معه كثيراً عن كل مايدور بأذهاننا عن الموقف الحالى، وماذا ينبغى أن نفعل أفراداً وهيئات وحكومات.

●ماهو انطباعكم عن المقابلة التى تمت بينكم وبين الرئيس الجزائرى بوتفليقة؟

●● هذا اللقاء تم بعد انتهاء الحفل التأبينى مساء الاثنين الموافق

٢٣/٦/٢٠٠٣م وقد أدينا واجب العزاء للسيد رئيس الجمهورية «عبدالعزيز بوتفليقة»، وعبرنا له عن مشاعرنا تجاه التجربة الجزائرية، وعن أملنا فى أن تقوم الجزائر بما لها من ماضٍ مجيدٍ بدور مهم فى القضايا العربية المعاصرة.

وقد عبر سيادة الرئيس عن حزنه الشديد وأسفه لفقد الجزائر لقيادة إسلامية معتدلة وواعية مثل فضيلة المرحوم الشيخ «محفوظ نحناح»، وقال بالحرف الواحد: «الجزائر فى خطر بعد وفاة الشيخ محفوظ نحناح»، لأنه لم يكن يكتفى فقط كغيره بعدم ممارسة أساليب العنف، بل كان يهاجمها، ويدعو إلى الوفاق والوحدة الوطنية، حرصاً على مصلحة الجزائر، وأنه كان خير سفير للجزائر فى العالم الخارجى، مشيراً إلى زيارته الأخيرة إلى باريس.

نعم لقد التقينا بالرئيس الجزائرى «عبدالعزيز بوتفليقه» فى القصر الجمهورى عقب حفل التأبين، وجلسنا معه قرابة ثلاثة أرباع ساعة، وقد أثنى على فضيلة المرحم الشيخ «محفوظ نحناح» وتطرقنا فى حديث طويل عنه، وعن أحوال الجزائر وأحوال العالم العربى.

كما أدينا واجب العزاء لأسرة الفقيد فضيلة المرحوم الشيخ «محفوظ نحناح» كما زرنا مواقع الزلزال الذى دمر بعض المدن الجزائرية تدميراً عنيفاً، وشاهدنا الجهود الحثيثة الذى قام بها أعضاء حركة مجتمع السلم التى قاموا بها للتخفيف عن المواطنين، وأداء الكثير من الخدمات الاجتماعية والتعليمية للمواطنين المنكوبين فى الجزائر.. طبعاً كل هذا

كان بصحبة إخواننا الأجلاء أعضاء (حمس)، وبفضل جهودهم المثمرة تمت كل هذه اللقاءات والجهود.

● هل تعتقد أن غياب فضيلة المرحوم الشيخ «محفوظ نحناح» سيترك أثراً على أداء حركة مجتمع السلم بالجزائر؟

●● لاشك أن غيابه سيترك فراغا لأن معظم القادة فى الحركة شباب، ولكن يوجد فى هذه الحركة شخصيات ناضجة، ومتأثرة بشخصية الأستاذ «محفوظ نحناح» لأنه كان مدرسة نضج على يديه الكثيرون، وأعتقد أنه بتوفيق الله سبحانه وتعالى سيملأون الفراغ وسيحققون نصراً مؤزراً للدعوة الإسلامية فى هذا البلد الكريم.

● الأستاذ «سيف» كان له ذكريات قديمة مع فضيلة المرحوم الشيخ «محفوظ نحناح» نود منكم أن تحدثوا الأجيال الحالية عنها؟

●● فضيلة المرحوم الشيخ «محفوظ نحناح» فى مستهل شبابه، وعقب تخرجه من الجامعة كان له رغبة جامحة للدراسة فى جامعة القاهرة، وهو خريج كلية الآداب قسم اللغة العربية، وكان يريد تسجيل الدكتوراه فى جامعة القاهرة فعهد الإخوان به إلىّ واستضفته فى بيتى لفترة كان يحاول خلالها أن يلتحق بجامعة القاهرة للدراسات العليا، وهذه الفترة ظللنا نقضى العديد من الليالى الطويلة معاً، نتجاذب أطراف الحديث، وكان يرافقنا أيضاً الشيخ «راشد الغنوشى»، وكان له الهوايات الأدبية والشعرية فى كتابة الرواية، وكنا نسعد بالحديث وتبادل القفشات المرحة لفضيلة المرحوم الشيخ «محفوظ نحناح» وحديثه وروحه العذب

السلسال، ولما أتذكره أشعر بالحزن لفقده ولكن هذا قدر الله.. ثم التقينا عشرات المرات فى العديد من المؤتمرات والمناسبات فى معظم أرجاء العالم الإسلامى فكنت أركز على بعد نظره، وعلى مرونته، وعلى واقعيته وعلى صدقه وإخلاصه، لأنه كان رجلاً مخلصاً بحق لله سبحانه وتعالى ولأن سر هذا النجاح لفضيلة المرحوم الشيخ «محفوظ نحناح» هو الإخلاص لله سبحانه وتعالى ولدعوته، حيث لم يكن يحركه هوى ولا دنيا ولا مغنم يطمح فيه.

● كيف تناولت فى كلمتك فضيلة المرحوم الشيخ «محفوظ نحناح»؟

●● بدأت كلمتى بقول مأثور عن الوالد الإمام الشهيد –عليه رحمة الله– قالها فى وفاة الزعيم «مصطفى كامل».. فقلت: إن الزعماء ثلاثة.. زعيم صنع نفسه، وزعيم صنعته الظروف، وزعيم صنعه الله على عينه يحمل الراية، ويُوقظ الأمة، ويحمل راية الإسلام ويهتف بدعوة رسول الله – ﷺ – ويحمل رسالة السماء إلى الأرض، وفضيلة المرحوم الشيخ «محفوظ نحناح» من هؤلاء الصنف الأخير الذى يبعثه الله فى كل أمة، وفى كل وطن ليحملوا راية الإسلام،وذكرت قول الشاعر:

إذا القوم قالوا من فتًى خلت أننى   عُنيت فلم أكسلْ ولمْ أتبلد

إنه فهم الإسلام فهمًا شاملاً واسعًا عصريًا مستنيراً، وإنه مزج الإسلام بالوطنية والقومية، واهتم بقضايا وطنه والعالم الإسلامى، والأمة الإسلامية جمعاء من أقصاها إلى أقصاها، وإنه كان يؤدى هذه الرسالة بالحكمة والموعظة الحسنة، ولم يمل إلى العنف أبداً لأن معظم هذه

الحركات لا تميل إلى العنف، وليست فى حاجة إلى العنف، وكل مطالب الحركات الإسلامية الآن، وذكرت ماقاله الرسول ﷺ من قبل: «**خلوا بينى وبين الناس**» واتركونا إلى الرأى العام ونحتكم إلى صناديق الانتخاب، ونحن نقبل هذا وندعو إليه، وندرك أن الإسلام فى ضمير الشعب العربى فى كل مكان، وهو الجواد الرابح فى هذه الدعوات.. إلى غير ذلك من الكلمات التى قلناها فى هذا الميدان.

الكلمة التأبينية لوفاة الشيخ محفوظ نحناح[1]

الأستاذ محمد مغاربة الرئيس بالنيابة

الحمد لله رب العالمين، مالك الملك وإليه ترجعون ، والصلاة والسلام على الحبيب الأمين محمد ﷺ الذى أنزل الله عليه قوله تعالى : ﴿ **وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ** ﴾ [الأنبياء : ٣٤]، ﴿ **كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ** ﴾ [العنكبوت : ٥٧]، ﴿ **الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ** ﴾ [البقرة : ١٥٦]، وإنا إذ نقف اليوم ننعى فقيد الإسلام والجزائر بل شهيد الأمة الإسلامية لا ندرى من يعزى من، ولكن نعلم أن الجزائر ثكلى فى ابنها البار .

تبكيك الجزائر بسيول من الدموع الخالصة لأنها فقدت فيك المتحدث عن وحدتها المدافع عن شخصيتها وثوابتها وذاكرتها، المضمد لجراحها الململم الجامع لشملها . .

نعزيك أيها الشعب الجزائرى المسلم ونعزيك أيتها الأمة الإسلامية بل نعزى الإنسانية كلها بفقد رجل الفضائل والتسامح الشيخ العملاق « محفوظ نحناح » رحمات الله عليه، ونسأل الله أن يتقبله فى الصالحين وأبدله داراً خيراً من داره وأحسن مثواه فى النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا .

وعزاؤنا أن نتذكر معا ذلك المعنى السامى فى فهم الشيخ « محفوظ

---

(١) هذه الكلمة نُقلت من موقع الحركة.

نحناح » رحمه لله للحياة . .إننا نعيش بأفكارنا ولأفكارنا، ولذلك لا تنتهى حياة الدعاة والزعماء بشهادة الوفاة وإقامة العزاء، بل تبدأ مرحلة جديدة لم يكتشفها الكثير قبل الوفاة وتعلنها طبيعة الحضور معنا، وأطياف محبى الشيخ محفوظ نحناح رحمه الله الذى لم يعش لفئة ولا لزمن ولا لجهة بل عاش لله مع الجميع، ومن أجل الجزائر بعيدا عن كل حساب، يحمل الفهم الصحيح للإسلام والحياة يشحذ به الهمم . الله أكبر . . .

لقد عاش الشيخ محفوظ نحناح ليصنع مدرسة جديدة فى الوطنية الصادقة ويضحى من أجلها بكل مايملك إلى آخر لحظة من لحظات حياته، هذه الوطنية التى نأى بها عن المتاجرة ، والمزايدة والابتزاز حيث رضع لبانها من ثدى الحركة الوطنية ومن أفواه الراسخين فى العلم، وفى كل مراحل النضال من أجل الجزائر المنشودة بعد الاستقلال، الجزائر التى جسدها فى شخصه وسلوكه وموقفه وعلاقاته .

فرحمك الله يا من لقبت بالشيخ الرئيس فجمعت فى عملك وممارستك بين التربية والدعوة والسياسة؛ فربيت أجيالا صاعدة ودعوت إلى الله على بصيرة وحكمة، وأسست مدرسة الاعتدال والوسطية، ورفعت راية السلم خفاقة وخضت بها غمار المعارك الكبرى مع إخوانك وأحبابك الصادقين والمخلصين فى هذا الوطن لتطفىء نار الفتنة التى اشتعلت فى أرض الشهداء والإسلام .

رحمك الله يا من عشت لأمتك ولوطنك، فكنت القدوة الوطنية الصادقة وفى الدفاع عن حقوق المسلمين والمستضعفين فى العالم العربى

والإسلامى والمضطهدين فى العالم، فكان صوتك مدويا بالحق فى المحافل والمؤتمرات الدولية وكانت نداءاتك وتصريحاتك تقرع آذان السامعين فى كل وقت وحين ، وكنت دوما رجل الحوار الذى لا يمل وصاحب الصفح الذى لا يكل، فضحيت بالكثير من أجل ذلك خدمة لأمتك ووطنك فرسمت نهجا به يقتدى .

فرحمك الله يامن علمتنا كيف نقول للناس حسنا وندفع بالتى هى أحسن .

ورحمك الله ياقارىء القرآن وفارس المنبر وأمير الكلمة ومقيم الصلاة مهما كانت الظروف .

رحمك الله يارحيمًا بأبناء شعبه وكم قدت الوفود لمواساة المتألمين والمتضررين فى النكبات والفاجعات .

ورحمك الله أيها الحانى على المساكين والفقراء والضعفاء، كم من ثكلى ستبكيك الآن، وكم من يتيم سيفقد فيك الأب الذى لا يعوض .

رحمك الله يامن ستظل صدقاتك الجارية تشهد لك إلى يوم القيامة ونحن جزء من حسناتك التى لا تعد .

رحمك الله أيها المجاهد الصادق الذاكر فى كل الأحوال وكم ظُلمت لكن كان ردك : « حسبنا اللّه ونعم الوكيل » .

رحمك الله أيها الوالد المربى الداعى للذود عن المجتمع وكل مايتهدده فى نسيجه وانسجامه ووحدته وقيمه

اللّه أكبر . . .

رحمك الله أيها المحب لوطنه وشعبه فلقد تصدقت بعرضك دفاعا عن هذا الوطن العزيز، وتنازلت من أجله فخلدت اسمك فى ذروة التضحية .

رحمك الله أيها الأخ الحبيب والصديق العزيز والعالم الربانى، يا من أثريت ساحة السياسة بالمفردات المتميزة والمواقف المتوازنة، وملأت ساحة الدعوة بنبضات الإيمان الحية فحولتها إلى ربيع مزهر، يا من وقفت حصنا غائر الأصول عميق الجذور عالى الأسوار ضد السماسرة باسم الدين أو الوطن أو الجهة أو مسميات أخرى .

فالله الله أيها الشيخ الجليل أنت إن شاء الله مع الصديقين والشهداء والأنبياء والعلماء والأئمة المهديين وحسن أولئك رفيقا؛ لأنك عملت واجتهدت بإخلاص ووفاء لبلوغ مقامهم ونحن على ذلك من الشاهدين .

إننا أيها الوالد الفقيد بل أيها الوالد الشهيد نشهد أمام الله وأمام الأمة بأنك أديت الأمانة وغرست فينا روائع الإسلام وعلمتنا الحفاظ على الوحدة الوطنية وحب التماسك: عربا وأمازيغ، شرقا وغربا، شمالا وجنوبا، ورددت دائما الجزئر واحدة من التاء إلى التاء، فالله أكبر. . . . الله أكبر، وماجمعته يد الرحمن لا تفرقه يد الشيطان .

أيها الشيخ بماذا نرثيك وسيرتك كلها فضل وجهاد ومواقف؟ وماذا نردد من أقوالك وحكمك؟ وماذا نتذكر من مواقف الشهامة الخالدة؟ الله أكبر . . .الله أكبر. . . .

أثَرُكَ باقٍ، ونهجك مستمر، فهو كما قلت دائما شجرة ممتدة الجذور لا يمكن اقتلاعها، كما لا يمكن أن يمنع العالم من الاستظلال بظلها . . الله أكبر . . الله أكبر .

لقد عرفك العالم بأسره مدافعا عن دينك ووطنك ودولتك، حاورت الجميع فأقنعت واقتنعت ولم تَملَّ من توضيح الرؤى ولم تأبه أبدا بالخصوم ولا الحاقدين ولا المستخفين الذين حُجبت عنهم الرؤى والحقائق.

إننا أيها الشيخ إذ نوارى جثمانك الكريم، فإننا نعاهد الله على أن لا نبدل بعدك، بل الوفاء لديننا ووطننا ومنهجك الذى رسمت معالمه، وسنظل أوفياء للقضايا التى دافعت ورافعت عنها فى حلك وترحالك، سنبقى ندافع عن فلسطين وننصرها حتى يتم الله وعده، كما سنظل أوفياء للجزائر الواحدة الموحِّدَة والموحَّدَة على نهجك الذى رسمت (الجزائر حررها الجميع ويبنيها الجميع) .

وسنظل أوفياء للدفاع عن الإسلام والأمة الإسلامية والعربية .

سنظل دعاة الأمل، زُراع الرحمة، موزعى الابتسامات، واقفين ضد الفرقة بين الجزائريين .

سنظل أوفياء لنهجك الجامع والمعتدل، والقيم الكبرى التى عشت من أجلها .

سنظل أوفياء للإسلام عقيدة وشريعة، ولرموز الجزائر الأطهار والشهداء الأبرار والعلماء والدعاة ممن ساروا على درب البناء والاعتدال .

فاللهم إنا نسألك أن تتغمد فقيدنا وشهيدنا بواسع رحمتك، وأن تغفر له وترحمه وتكرمه بمقام صدق عند مليك مقتدر، وتسقيه من حوض نبيك عليه الصلاة والسلام، وترزقنا من بعده الصبر والاحتساب والثبات والاستمرار، ولا نقول لك اليوم: وداعا أيها الشيخ الرئيس، ولكن نقول لك: إلى لقاء كريم عند رب كريم .

قال الله تعالى: ﴿ **إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ** ﴾ [البقرة: ١٥٦]، وقال تعالى: ﴿ **مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً** ﴾ [الأحزاب: ٢٣] .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

كلمة الأمين العام لحزب جبهة التحرير الوطنى

فى تأبين المرحوم الشيخ محفوظ نحناح رحمه الله[١]

﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً (٢٨) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴾ [الفجر: ٢٧ – ٣٠] .

أيها الجمع الكريم ، أقف اليوم أمامكم فى هذه التأبينية لفقيدنا الشيخ الراحل محفوظ نحناح، رحمه الله وطيب ثراه، ممثلا للأستاذ على بن فليس الأمين العام لحزب جبهة التحرير الوطنى والذى حالت ظروف طارئة دون حضوره بينكم، ومشاركتكم هذا اللقاء.

إننا اليوم إذ نجتمع فى تأبينية الراحل فقيد الجزائر والعالم العربى والأمة الإسلامية تستوقفنا محطات ومعالم كثيرة تميزت بها الحياة المليئة بالمآثر للفقيد على امتداد عقود من الزمن .

لقد عرفناه مدافعا عن حمى الأمة، ذائدا عن حياضها، جامعا للكلمة، موحدا للصفوف، محاربا لبذور التشتت والفرقة والفتنة .

لقد حاول الفقيد الإسهام فى بناء جزائر متشبثة بأصالتها متجذرة فى أوساط شعبها، مرتبطة بواقع عصرها، مسايرة لمستلزمات التطور، متطلعة إلى آفاق الاستقرار والهدوء والسكينة والأمن.

لقد كان الشيخ مدافعا عن القيم الوطنية والإسلامية، صادحا بصوته

(١) ألقيت يوم ٢٣ جوان «يونيو» ٢٠٠٣م.

فى المحافل الوطنية والدولية، رافعا راية الوطنية والعروبة والإسلام، مدافعا عن مصلحة الجزائر، مؤثرا لها عن مصالح حزبه، أو مصلحته الشخصية فى عدة مراحل ومواقع يسجلها له التاريخ من ذهب .

لقد اختار (السلم) رمزًا للحركة التى ترأسها باقتدار وحكمة وتبصر، اعتمادا على الوسطية بعيدا عن التطرف والغوغائية، وعمل على محاورة الآخر، والاستماع إلى الرأى المخالف بكل إخلاص .

وسيحتفظ له التاريخ بما قدمه من إسهامات كبيرة تصب فى اتجاه نبذ بذور الفتنة والشقاق، والحفاظ على وحدة الشعب الجزائرى، وصون كرامته .

لقد كان المرحوم بصفته رئيسا لحركة مجتمع السلم متمسكا ببنود الائتلاف السياسى، وفى تنسيق مع حزب جبهة التحرير الوطنى سواء فى إطار العلاقات بين قياديى الحزبين، أو فى المستوى الحكومى أو فى البرلمان، وأسهم بذلك من خلال حركة مجتمع السلم فى وضع لبنات أساسية فى البناء الديمقراطى، وتعزيز مكاسب التعددية السياسية فى بلادنا .

لقد فقدت الجزائر فى شخص الراحل الشيخ نحناح رمزا من رموز النضال، ورجل حوار وإقناع، وسياسيا محنكا ومقتدرا، سيبقى شعاره (الجزائر حررها الجميع ويبنيها الجميع) نبراسا ينير دروب مناضلى حركته، وأسلوبا من شأنه أن يوحد جميع أبناء الشعب الجزائرى، حتى تتضافر جهودهم من أجل إخراج البلاد إلى شاطىء الأمن والاستقرار والسكينة .

وفى الأخير فإن الأمين العام لحزب جبهة التحرير الوطنى يتقدم أصالة عن نفسه ونيابة عن أعضاء المكتب السياسى وإطارات الحزب ومناضليه بأخلص عبارات التعازى وأصدق المواساة ، متضرعا إلى المولى عز وجل أن يتغمد الفقيد برحمته الواسعة، وأن يسكنه فسيح جناته رفقة الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا .

ألهمكم العلى القدير وإيانا جميل الصبر والسلوان ورزقنا القوة والقدرة على تجاوز هذا الابتلاء فى مصابنا الجلل .

﴿ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ [البقرة: ١٥٥].

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

محفوظ نحناح.. كلمات ومواقف(١)

المستشار الدكتور على جريشة

كان ذلك منذ حوالى عشرين عامًا حين دخل سكنى المتواضع التابع للمعهد العالى لإعداد الأئمة والدعاة فى مكة المكرمة.. كان يلبس لباسًا بسيطًا ويحمل معه مسجلاً ويصحب معه بعضًا من طلابى فى ذلك الحين.

وجلس مع الطلاب سأل ويسألون، وأجيب ويسجلون..

ثم جاء مرة، ومرة، ومرة..وفى كل مرة يجد عندى طلابا يسألون أو يراجعون، وسألنى رحمه الله: جئتك صباحا فوجدت عندك.. وجئتك ظهراً فوجدت عنك.. وجئت مساءً فوجدت عندك..فمتى تكتب كتبك التى نراها فى المكتبات؟

فأذكر أنى قلت:

هذه من بركة العمر، وبركة إنفاق العلم، يخلفه الله بركة فى الوقت.. والله أعلم. ومضت سنون..

وذهبت فى العام الأول من العقد الأخير من القرن العشرين أزور الجزائر فإذا بمحفوظ نحناح يتصدر صفوفًا من الشباب، وإذا بى فى اليوم التالى فى اجتماع (حرشه) بمناسبة ذكرى إعلان الجهاد ضد الفرنسيين فى الجزائر، وإذا بالجمع يصل إلى أربعين ألفًا من الشباب.

---

(١) مجلة المجتمع: العدد (١٥٥٩) – ١٢/٧/٢٠٠٣م.

وتكلم قبلى (د. محمد فارس عن فلسطين فى أسلوب ساخن أثار حماس الشباب حتى تساقط فى حالة إغماء (من التأثر) حوالى عشرين شابًا وفتاة، وكان من حظى أن أكون الذى يليه .. فتحدثت حوالى ساعة وكتب مندوب جريدة (الشعب) شبه الحكومية فى اليوم التالى : وأمسك فلان (يقصدنى) بالخيط من بعد الحماس الغامر فاستطاع أن يوجه الجماهير توجيهًا عقليًا، وكان من أهم ما قاله : « إن الطريق إلى فلسطين لابد أن يمر بعواصم أربع أو خمس هى : القاهرة، وبغداد، ودمشق، وعمان » .

وصحبته أو صحبنى إلى الجنوب (غرداية) واستضافنا (حوالى عشرين) رجلاً كريمًا وفى الصباح أصر الأستاذ محفوظ نحناح، على أن يقدمنى إمامًا، فصليت الفجر، وبعد الصلاة قلت كلمة قصيرة .. فإذا بعيون الرجل تغرورق .. ويقول : أنا المقصود بذلك .. وأنا أقبل التوجيه .

وزارنى بعد عزمه الترشيح لرئاسة الجمهورية، ولم يكن قد أعلن بعد عن الترشيح، وكان يتلمس نصائح الأصدقاء .. ففتحت ذراعى قائلاً له : مرحبًا بفخامة الأخ الرئيس (!) فضحك .. وقال : لن أسأل إذن عن الرأى .

وكانت نسبة الأصوات التى حصل عليها (٢٥٪) وجاءنى متأثرًا يشكو من (التزوير) قلت له : احمد الله، غيرك مضى عليه أكثر من سبعين عامًا ولم يجاوز نسبة (١٤٪)!، وأوصيته بحسن الصلة بالرئيس المنتخب، وقبل النصيحة، وكان أحد العمد أو الأركان التى أسهمت فى مواجهة محنة الجزائر بعد أن صعّد بعض أبنائها الجهلة بحقيقة الدين

الحرب على السلطة إلى حرب على الشعب كله .. فكانت مجازر لم تشهدها الجزائر!

وفقد ذراعه اليمنى فى هذه المجازر (محمد أبو سليمانى) رحمه الله .. اختطفوه ونتفوا لحيته، وقطعوا ذراعه، ثم قتلوه!!

ومع ذلك ظل صامداً، يدافع عن المنهج الوسط، الذى اختاره الله لهذه الأمة الوسط : ﴿ **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا** ﴾ [البقرة : ١٤٣] .. هكذا .. بغير إفراط ولا تفريط، بغير مغالاة أو تسيب وتقصير .

ولقيته بعد ذلك مرات قليلة .. وكان دائما هو المتفضل بزيارتى فى مدينة رسول الله ﷺ .

ثم علمت بمرضه .

ثم وافتنا الأنباء بموته .. فكانت فجيعة ..

إن مصيبتنا فى نحناح أعظم وأجل ..

لكن لا نقول إلا ما يرضى الرب :

إنا لفراقك يا نحناح لمحزونون ..

وإنا لله وإنا إليه راجعون .

ورحم الله الفقيد، ونسأل الله أن يعوض الأمة الإسلامية كلها، والجزائر خاصة، عنه خيراً، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

الرئيس عبدالعزيز بوتفليقة يعزى الحركة في وفاة الشيخ محفوظ نحناح

أسرة الفقيد العزيز والأخ المناضل رفيق الدرب الشيخ محفوظ نحناح حفظها الله ورعاها، والإخوة أعضاء القيادة وإلى مناضلى حركة مجتمع السلم. اليوم نفض الشيخ محفوظ نحناح يديه من دنيانا، وأغمض عينيه عن سمائنا، وترك ما للتراب للتراب ، وأسلم الروح لبارئها .

اليوم وقف به الأجل دون الأمل وهو فى أوج الرجولة وقمة النشاط والأداء وذروة الإفادة والعطاء، وحال بينه وبين غاية لا تدركها إلا نفسه الكبيرة بما له من نشاط لا يحده جهد ولا ينال منه تعب، وبماله من صبر على المحن واقتدار على مواجهة الخطوب والتغلب على الشدائد .

مات الشيخ محفوظ نحناح وماتت معه البسمة التى لم تكن تفارق شفتيه، والبداهة التى سنت طرف لسانه الذرب، وذاكرة تنبو على الزمان، وقدرة على ابتكار تعابير سهلة ممتنعة اعتصرت أحداث الزمن واستخلصت منها الحكمة والعبرة .

مات من كان عدة رجال فى رجل ولكن ذكره لم يمت؛ لأنه جزء من تاريخ هذا الوطن؛ فما من مناسبة وطنية إلا وكان فيها حضوراً، ما من مشكل ألم بالجزائر إلا كان فى حله مساهما، وما من قضية إلا كان له فيها رأى أو اتخذ منها موقفا نابعا من حبه لوطنه ومراعيا فيه مقومات مجتمعه

وطموحات أبنائه النازعين إلى العيش الكريم فى مستقبل مأمون .

مات الشيخ محفوظ نحناح فمن يعزى فى فقدانه؟ أيعزى أبناؤه وأسرته؟ وأسرته هى أبناء الجزائر كلهم، أم تعزى الجزائر؟ إن وطنيته لم تقف عندها، بل حلق بجناحيها فى آفاق العالم العربى والإسلامى والذى طاف به كخير سفير لبلاده وأحسن معبر ومحافظ عن مثله وقيمه وتسامحه، أم يعزى العالم العربى والإسلامى؟ وبما يعزى فيه؟ كيف والعزاء فى كبار الوطنيين العصاميين ليس فى عبارات المواساة وتهوين المصاب ولكن فى التأسى بسيرتهم والاقتداء بهم فى عملهم والاحتفاظ بهم نبراسا للسائرين فى دروب الوطنية والعاملين على تنمية بلادهم وتطويرها، الساعين إلى إسماع كلمة شعبهم وإعلانها .

سيقف المشيعون على رأسه وهو مسجى فى قبره مطرقين برؤوسهم خاشعين بعضهم يمسح الدمع فى عينه، وبعضهم يمسك الغصة فى حلقه، وبعضهم يكتم آهة فى صدره، وكلهم فى حسرة وأسى يستمعون إلى المؤبن وهو يتلو شيئا من سيرته ونضاله وأعماله من لدن أن ولد فى البليدة سنة ١٩٤٢م إلى أن وافاه الأجل المحتوم ثم يهال على جثمانه التراب ويعودون من حيث أتوا، ولكن هل حقا تركوه وراءهم ولم يعد معهم ؟

إن الشيخ محفوظ نحناح لم يعش لحياته ساعات وأياما وشهورا وأعواما حتى ينتهى بانتهاء الـ٦٢ من السنين، ولكنه عاشها وطنا فى وجدانه، وضميرا حيا لمجتمعه، وتفاعلا مع آمال وطموحات شعبه، ووعيا صادقا لقضايا عصره، ومثل هذه الحياة لا تحتوى بلفظ، ولا تقاس بزمن ولا تمتد

فى حياة بنيه كما تمتد فى حياة الناس العاديين فى أنسالهم اسما ودما فحسب، بل تمتد فى القلب عاطفة، وفى العقل رأيا، وفى السياسة موقفا، وفى المجتمع سلوكا ومثالا، خاصة لدى المقربين منه المؤمنين بفكره السائرين على نهجه المتابعين لنضاله .

وإن أنس لفقيد الجزائر الشيخ محفوظ نحناح من شيء فلن أنسى البشاشة التى تنطق بها قسمات وجهه، والأنس واللطف اللذين تتحدث بهما عيناه، وحلاوة اللفظ وطلاوته مع محاوريه حتى فى أشد القضايا خلافًا، وعفة اللسان فى أحاديثه وخطبه، وذلك التسامح السمح فى معاملاته لأصدقائه كما لخصومه، ومواقفه الموفقة بين معتقده ومقتضيات عصره، ونبذه للتطرف أيا كان مصدره، وفوق هذا كله وطنيته الصادقة العالية التى كانت تظهر أكثر ماتظهر حين تشتد بوطنه أزمة، فيحمل الجزائر ويطير بها فى الآفاق شارحا بالقول الحق أسباب الأزمة ومدى وقعها وتأثيرها مبددا من حولها الإشاعات والأغراض السيئة، مبديا الصورة الحقيقية لشعبه فى عزيمته وكفاحه وطموحه وفى سمو مثله وقيمه وقدرته على المواجهة والصمود والتغلب على التحديات، فكان بحق ممثل الجزائر الذى لا يجارى ولا يبارى فى بيانه وكان رجلها الأمين، يعز علىّ فى هذا الوقت الذى تفتقر فيه الجزائر لجهد ينفعها مهما كان ضئيلا من أبنائها أن يغيب عنها ابنها البار عن محافلها ومنتدياتها، وأن يترجل عن فرس الحياة الذى كان بها سباقا إلى خيرها ورخائها، وأن لا يكون كما كان دائما فى الجموع العاملة على تنميتها وتطويرها .

ولكنها إرادة الله، وإنا لإرادتك اللهم لخاضعون، وللطفك مفتقرون، ولرحمتك سائلون ومنتظرون ، فأمطر اللهم شآبيبها على فقيدنا الغالى عبدك الشيخ محفوظ نحناح بما أطاعك، وجاهد فى سبيلك وسبيل وطنه،وبما أدى من جلائل الأعمال لم يخرج بها عن الإيمان بك وبوطنه وحب الوطن من الإيمان ، وأنزله اللهم فى جنات النعيم منزلا مباركا بين الصديقين المقربين من عبادك ، وأكرمه اللهم بحبك فى الباقية كما أكرمته فى الفانية بحب معاصريه ، ونسألك اللهم أن تهب الصبر والسلوان لأبنائه وأسرته وكل مواطنيه ، وأن تعوضهم فيه خيرا ، وتعظم لهم أجرا ، إنك أنت السميع المجيب .

السابقون إلى الجنة (١)

بقلم د. السيد عبدالستار المليجى

اختار الله إلى جواره من بين الذين عاشوا لله وماتوا على ذلك وحقت لهم مكانة الأسوة الحسنة الأخ الفاضل الأستاذ الشيخ محفوظ نحناح.. وكنت كلما التقيت به هنا أو هناك أقول له: أنت أشبه الأحياء بالشهيد حسن البنا.. فكان يبتسم قائلا: شكلا فقط؟ فأقول له: بل شكلاً وموضوعاً بإذن الله.. فيقول فى تواضع: ياريت ياريت!

والأستاذ محفوظ نحناح هو مؤسس حركة حمس الجزائرية وهو الاسم المميز لجماعة الإخوان المسلمين فى الجزائر، والحمد لله أن الشجرة التى غرسها مع إخوانه لا تزال خضراء مورقة تدعو له بالخير وتترحم عليه إلى يوم الدين. وطوبى لمن ترك بعد رحيله إلى الدار الآخرة صدقة جارية أو علما ينتفع به أو ولداً صالحاً يدعو له، وأحسب أن أخانا محفوظ نحناح من الذين تتواصل حسناتهم حتى بعد رحيلهم، اللهم أبدله داراً خيراً من داره، واغسله من خطاياه بالماء والثلج والبرد، واجعل الجنة مستقره ومثواه.

---

(١) جزء من مقال بعنوان: «تحرير فلسطين» – جريدة آفاق عربية، العدد (٦١٧)، الخميس الموافق ٢٤ من جمادى الأولى ١٤٢٤هـ – ٢٤ من يوليو ٢٠٠٣م.

كلمة عزاء من الشيخ فيصل مولوى

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾ [الأحزاب: ٢٣].

فجعت الحركة الإسلامية فى الجزائر بوفاة أحد كبار رموزها الشيخ محفوظ النحناح، رئيس حركة مجتمع السلم والذى كان من أبرز القيادات الشعبية بعد قيام التعددية السياسية.

بدأ الفقيد الكبير عمله الإسلامى عام ١٩٧٠م، فى ظل نظام الحزب الواحد فى عهد الرئيس بومدين، الذى كان يحاول (فرض النظام الاشتراكى) فانضمّ إلى الحركة الإسلامية المسلحة، وراح يوزع مع إخوانه «المنشورات التحريضية الداعية للجهاد» حتى تمّ اعتقاله عام ١٩٧٦م، وحكم عليه بالسجن خمسة عشر عاماً، لكن أطلق سراحه عام ١٩٨٠م بعد وفاة بومدين.

ومع انفتاح أجواء الحريات فى عهد الشاذلى بن جديد، راح الأستاذ محفوظ نحناح يراجع نفسه، وبدأت صلاته مع جماعة الإخوان المسلمين، وتبلورت أفكاره الإصلاحية، فكان يجوب الجزائر يخطب فى المساجد ويحاضر فى المنتديات داعية إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة، رافعاً لواء الخير، محرضاً الشباب على أن يكونوا كالشجرة (يرميها الناس بالحجر، وترميهم بالثمر).

وفى أواخر الثمانينات أسس (جمعية الإرشاد والإصلاح) مع رفيق دربه الشيخ محمّد بوسليمانى رحمه الله، وفى عام ١٩٨٩م ساهم فى تأسيس رابطة الدعوة الإسلامية التى يرأسها الشيخ أحمد سحنون لتكون مرجعية للعمل الإسلامى فى الجزائر، وفى عام ١٩٩١م أعلن تأسيس (حركة المجتمع الإسلامى)، ثم اضطر إلى تغيير هذا الاسم إلى (حركة مجتمع السلم) بسبب صدور قانون الأحزاب عام ١٩٩٧م الذى منع تسمية أى حزب سياسى باسم إسلامى .

وفى هذه الفترة المليئة بالنشاط والحيوية والعمل، أصبح الأستاذ النحناح رجل (الوسطية والاعتدال والتسامح). وشهدت الجزائر أسوأ مراحل تاريخها المعاصر، عندما ألغى الجيش النتائج الأولية للانتخابات النيابية عام ١٩٩١م، والتى أشارت إلى فوز الجبهة الإسلامية للإنقاذ، وحلّ هذه الجبهة، واعتقل قياداتها فى السجون ، وهرب كثير من الشباب إلى الجبال وأعلنوا الثورة المسلحة، فبدأت حرب أهلية لم تنته فصولها حتى الآن، رغم انحسار العمل المسلح، خاصة بعد أن رفعت الجبهة عنه الغطاء، وأعلنت إيقاف أعمالها القتالية فى ضوء الجرائم البشعة التى طالت النساء والأطفال والأبرياء، وبعد الاقتناع بخُطورة هذه الممارسات على الجزائر، واستحالة تحقيقها لأهدافها، وقد تركزت القضايا المثارة فى هذه المرحلة على مسألتين كان للأستاذ النحناح موقف واضح فى كل منهما :

الأولى: ضرورة التواصل بين مختلف شرائح الشعب الجزائرى، واعتماد الحوار والانفتاح والتعاون، ورفض فكرة الاستئصال لأى جماعة مهما كان

فكرها. وكان الأستاذ النحناح رائداً فى هذا المجال، وهو كان يعتبر الإسلام جامعاً أساسياً لأبناء الشعب الجزائرى، ثم كان ممن طرحوا اعتبار (الإسلام– العروبة – الأمازيغية) ثوابت وطنية، وأضاف إلى ذلك التواصل والحوار حتى مع غير الإسلاميين (من اليساريين أو المتفرنسين) فى مسعى واضح لإشاعة أجواء السلم الأهلى، وإعادة بناء الجزائر وطنًا لجميع أبنائها .

الثانية: ضرورة بناء الدولة، ورفض الخروج عليها. والدعوة إلى إصلاح المجتمع لا إلى تخريبه وتمزيقه . ومن أجل ذلك فقد خاض الأستاذ النحناح حرباً شعواء ضد الفكر المتطرف الذى يرفع الإسلام شعاراً له، ويستبيح القتل والتدمير. وتعرض إلى الاتهام بأنه يعمل مع (النظام الجاهلى) ضد (الحركة الإسلامية). بل وأقدمت (الجماعة المسلحة) على قتل عددكبير من أنصاره على رأسهم الشيخ محمد بوسليمانى رحمه الله، لأنه رفض أن يفتى لهم بصحة ما ارتكبوه من أعمال، ولم يغير ذلك من قناعته، لأنه كان ينطلق من الإسلام، دين الهداية والرحمة، ويجيد قراءة الواقع المحلى والإقليمى والدولى، ويؤمن بالعمل الإيجابى البناء وبالتدرج الطبيعى فى الإصلاح والتغيير.

أيها الفقيد الحبيب: يافارسًا ترجل وهو فى ذروة العطاء. ياقائداً أخلى الساحة اليوم لكنه ترك وراءه نخبًا من القيادات، قادرة على ملء الفراغ ومتابعة المسيرة. يارجلا صدق ما عاهد الله عليه، وظل يجاهد بأعز ما عنده حتى توفاه الله . لقد خالفناك فى بعض اجتهاداتك السياسية، لكننا نشهد اليوم أمام الله وأمام الناس، أنك كنت مثالاً فى الصدق والالتزام

والعمل، تضع الإسلام فى ميزانك قبل الحركة، وتعتبر مصالح الأمة قبل مصلحة الجماعة، بل وترفض التعارض فى هذا المجال، وتصرّ على التكامل وتجعل نفسك وجماعتك فى خدمة الأمة وقضاياها .

طبت حيًا وميتًا، تغمدك الله بواسع رحمته، ولأهلك ومحبيك أحر العزاء، وإنا لله وإنا إليه راجعون .

الشيخ فيصل مولوى

الأمين العام للجماعة الإسلامية فى لبنان

مناقب محفوظ وكتلته الجمالية

بقلم : الشيخ محمد أحمد الراشد

بسم الله الرحمن الرحيم

مضى واثقًا، بعد أن ضرب مثلاً للقيادة الناجحة التى تستوعب جيداً موازين الفقه الدعوى التى تحكم المواقف المشتبهة .

هذا هو موجز وصف شخصية أخى فى الله، الفقيد الغالى، الهُمام الثابت على الدرب المستقيم، الأستاذ محفوظ نحناح رحمه الله .

رسخ.... يوم هبت العواصف . وفصُح.... حين تلعثم المترددون . وجَسَر وأقدم ....لما هاب الواجفون . وصرخ بالحق.... حين تخافَتَ بها الهامسون . وفاصَلَ على بينة من الأمر يوم جنح الغَبَشُ بأهله نحول الحلول الضبابية .

وقد راقبت صدورَ الدعوة على مدى نصف قرن، وصعدت عواطفى ونزلت مع سِيَر أجيال من القادة والزعماء ورجال الفكر الإسلامى، فأقنعتنى مراقبتى الدقيقة أن وتيرة من الفقه الشرعى الموزون الممتزج بدروس تجريبية مقتَبسة كانت تُحرك النحناح، حتى استوى فى النهاية منتصباً شامخاً ضِمن الرموز الكبرى التى نُباهى بها ونفخر، ونجعلها عناوين للدعوة الإسلامية الحديثة والمعاصرة، التى بها نقتدى،وإلى أفعالها نحتكم، وبحبها نرجو أن نلقى الله .

إنه مؤسس دعوة، وسابق، وصاحب إبداع، وليقل فيه القائل ما يشاء من عمق التجرد، وكثرة البذل، مع التواضع، والسكينة، إلاّ أن جميع ذلك يجعله مجرد شريك فى هذه المناقب، وفى غيره من أهل الجزائر بركة، وقد نالوا من هذه الخيرات مثل ما نال، ولكن ميزة محفوظ الكبرى تكمن فى إيمانه الشديد الذى أبداه بوجوب الحفاظ على الشروط الدعوية المتكاملة وعلى الطبيعة التدريجية التربوية للعمل الإسلامى حين أهدرها عن عمد أو نسيان مَن استحوذ على إعجابهم الصعود المفاجىء للصوت الإسلامى فى الشارع الجزائرى خلال موسم واحد، لما حدث الفراغ السياسى فملأته الخدمات الإسلامية .

كان المفترض فى الدعاة أن يلوذوا بحقائق فقه الدعوة، وأن يميزوا أن كل توسع يتجاوز إتمام عملية تربية وتطوير الجيل الدعوى التأسيسى الأول سيكون توسعاً خطراً يحمل فى ثناياه احتمالات الاستعجال، بل والانحراف والإرهاق وإعنات الناس لو أرادوا الريث، وإحراج الحكومة إذا نوتَ توبة، وقد كان هذا المعنى واضحًا لدى محفوظ، فاستمسك به، وأفتى إخوانه باللبث مع مفاد الوعى وأن لا تستفزهم المكاسب الأولية السريعة، فإنها ربما تأتى سهلة، ولكن يكون من بعدها دفع ضريبة كبيرة، ولات حين استئناف تربية واستدراك على قفص المراحل، وقد أبديت له تأييداً فى ذلك، وصوّبت منحاه، وثنّيتُ على اختياره، وعضدتُه، فى قلائل آخرين، ولكن الكثير من الدعاة غرّتهم الصورة الظاهرة، فذهلوا عن « الشروط المتكاملة » الضامنة لاعتدال السياسة الدعوية، فطفقوا مع الحلم

الوردى باختصار الزمن، ولم يدركوا المجازفة الكامنة فى دخول مرحلة العمل المتقدمة من دون تربية كافية وبناء وتنظيم مكافىء لها، وحاولوا تحريك قدم محفوظ عن موضعها الثابت، فكان كالطود الثقيل، وأبدى عناداً واعياً، واستمسك بالذى انتهت إليه الموازنات العقلية والمذاهب التجريبية، غير آبه بهتاف العواطف، ثم انتظر حتى صدقته الأيام والحوادث، وأخذت قصته مكانها المميز فى التاريخ الإسلامى، وشهد له الفقه، وأذعن له الناشز، ويوم زرته فى المستشفى بالعاصمة الفرنسية قبل موته بأسبوعين، بعد غيبة عنه طالت سنوات قال لمن حوله مِن أعوانه وأركان جماعته: هذا الأخ الراشد أول من فهم موقفنا وأيدنا وشد أزرنا ولمح الخفى الذى غاب عن غيره .

وما كانت غير سنة واحدة بعد ذلك الموقف واللبث مع الثوابت الدعوية، حتى أظهرت الأقدار الميزة الكبرى الثانية لمحفوظ، يوم حصل الاختلاط، وصيحت صيحات الثأر والهدم والدم، وأصاب الناسَ الرعبُ، فأبى محفوظ التورط، ولاذ بالعفاف والبراءة من الدم، والتمس أسباب السكينة والطمأنينة ليشيعها بين جماعته وعموم الناس، وآمن بالحوار، والسلام، وثبت عند الرؤية الحضارية، ونَبَذَ العنف، وأدرك أن تراكم مفردات العمل الحضارى، المنطلق من المعايير الإيمانية هو الكفيل بإنقاذ الجزائر من وهدتها، فى خطة طويلة الأمد، لكنها مأمونة العواقب، وجازفت عناصر الغوغاء بذبح بوسليمانى رحمه الله، مستفزة له محاصرة له فى الزاوية الضيقة، لينفجر ويكون شريكاً فى الخطأ، فكان رحيماً

بالدعوة وبالجزائر وبمنافسيه الذين أبقوا الخنجر محمولاً فى كفوفهم يقطر منه الدم، وأنزل الله تعالى السكينة على قلبه، وتحالم، وكبت، ولعن الشيطان، واعتصم بالرحمن، وعارض بكفه العاصفة، فتكسرت ريحها العاتية، وبقيت تتناقص حدتها، وحافظ على جماعته أن يبددها جهل وردود فعل انتقامية، وكَتَب التاريخ الإسلامى قصة ثانية من قصص محفوظ يلقى به ربه واثقاً معتداً .

ثم يأتى متبطر ظالم لنفسه وللناس ليقول: أخطأ محفوظ فى خطبته يوم كذا، وصرح بما لا نرضاه فى الصحيفة الفلانية، وصدق المعترض، وأنا على ذلك من الشاهدين ، ورصدتُ لمحفوظ زلات لسان وتعابير مفضولة وكلمات مرجوحة، ولكن أين هذه الصغائر من تلك « الكبائر الخيرية الإيمانية الواعية » التى وُفق لها وألهمها الله إياها إلهامًا ؟.

لقد كان محفوظاً بحفظ الرحمن، و بشريته التى وقف عندها الناقدون تجاوزتها ملائكيته التى حلق بها فى السماء .

هذا ، مع روح بدوية أصيلة يلتذ بها المتعامل معه حين يقترب منه، فينفتح ، وكرم وعزة نفس وشمم ، وفهم عربى أصيل رصين لمعانى الشرع المبين ، مكنه منه تخصصه فى اللغة العربية، أضاف جمالاً إلى مناقبه الحسنى، رحمه الله رحمة واسعة، والأمل أن يلحظ أعوانه وخلفاؤه تلك الكتلة الجمالية لرجل من المؤمنين سُمى فى الناس بمحفوظ النحناح ، فيراعوها ولا يخدشوها ، بأن يلتزموا وحدة الكلمة من بعده، وتقديم حق الجماعة على حقوقهم الفردية ، فإن الجمال قد ندر .

نعى الدكتور القرضاوى للمرحوم الشيخ محفوظ نحناح(١)

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، و العاقبة للمتقين ، و لا عدوان إلا على الظالمين ، وأزكى صلوات الله وتسليماته على المبعوث رحمة للعالمين وحجة على الناس أجمعين، سيدنا و إمامنا وأسوتنا ومعلمنا وحبيبنا محمد وعلى آله وصحبه، ومن دعا بدعوته واهتدى بسنته إلى يوم الدين .

أود أن أقول كلمة على ما جرت به عادتنا فى هذا البرنامج فى وداع الراحلين من كبار العلماء و الدعاة الذين خدموا هذه الأمة و عملوا لها، أقول هذا بمناسبة وداع أخينا و صديقنا العزيز علينا الحبيب إلينا الشيخ محفوظ نحناح رحمه الله رحمة واسعة ، هذا الرجل الذى عرفته فى الجزائر وعرفته خارج الجزائر، وعرفته منذ زمن طويل داعياً إلى الله على بصيرة ، جنَّد نفسه منذ أدرك لخدمة الإسلام والدفاع عن حياض الإسلام والذود عن حرمات أمة الإسلام ، عاش حياته كلها داعياً إلى الله داعيًا إلى هذا الدين بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتى هى أحسن متبنيًا تيار الوسطية والاعتدال والرفق والرحمة والحكمة والتدرج ، هذا الرجل الذى شاء له ربه أن يعيش أواخر حياته مريضاً ، وهذا ليكفر الله من سيئاته ويزيد من حسناته ويرفع من درجاته حتى توفاه الله منذ أيام، الشيخ

(١) برنامج الشريعة و الحياة بعنوان : العلاقة مع غير المسلمين ، بتاريخ : ٢٢/٦/٢٠٠٣م.

محفوظ نحناح (رئيس حركة مجتمع السلم فى الجزائر، وأحد الدعاة الجزائريين) مهما اختلف مع الناس هناك، ومهما اختلف مع إخوان له هناك فسيظل الشيخ محفوظ نحناح علامة من العلامات ورمزاً من الرموز، وشيخًا من الشيوخ الذين نذروا شبابهم وشيخوختهم للدعوة إلى هذا الدين وترك وراءه آثاراً طيبة و صالحة ، فلا نملك إلا أن ندعو الله – تبارك وتعالى – له أن يتغمده برحمته وبمغفرته وأن يسكنه الفردوس الأعلى وأن يخلفه فى ذريته وإخوانه بخير ما يخلف به عباده الصالحين، وأن يتقبله فى عباده المؤمنين و يجزيه عن الدين و الوطن و الأمة خير ما يجزى به الأئمة والعلماء العاملين والدعاة الصادقين، ونقدم عزاءنا لإخوتنا فى الجزائر ، لآل نحناح و لإخوتنا فى حركة مجتمع السلم ، وللإخوة العاملين للإسلام هناك و للجزائر كلها و للداعين إلى الله فى أنحاء الأرض نعزيهم ونعزى أنفسنا، فقد فقدت الأمة رجلاً من رجالاتها، نسأل الله سبحانه وتعالى أن يغفر له ويرحمه، وأن يعوضنا فيه خيراً .

الشيخ نحناح ودعوة الشباب (١)

الفضيل بن السعيد (كاتب جزائرى)

مازالت أذكر وأنا طالب فى جامعة هوارى بومدين بباب الزوار–إحدى ضواحى العاصمة الجزائر– يوم أقام الشيخ محفوظ نحناح رحمه الله أول محاضرة عامة فى بهو الجامعة عام ١٩٨٩م. كان الحضور غفيراً ..كلهم من الشباب ومن طلاب الجامعة وغيرهم ممن قدموا لسماع المحاضرة .

لا أذكر الآن الموضوع الرئيسى للمحاضرة، غير أنى أذكر موقفاً جرى بينه وبين أحد الشباب أثناء الإجابة على الأسئلة بطريقته «الفلاشية» المعروف بها (أى إجابات سريعة ومختصرة) حتى كناه بعضهم «أبوفلاش»، ووصفه آخرون بصاحب الإجابات «الفلاشية» .

أذكر أنه قال للشباب الحاضرين: أنتم أبنائى، فرد عليه أحدهم وكان بعيداً عن المنصة: أنت أبونا .. غير أن الشيخ رحمه الله لم يسمع كلام الشاب جيداً، فظن أنه يرفض أبوّته، فقال فيما معناه: إذا لم تكونوا تريدون فلا بأس، فرفع الشاب صوته عالياً وشاركه عدد من الحاضرين: «أنت أبونا!!!» .. وحينها رد عليهم مازحاً: عندى عشرة من الأولاد ولا أظن أن «المدام» (أى زوجته) ستقبل بأكثر من ذلك .

(١) إسلام أون لاين: ٢٨/٦/٢٠٠٣م.

أنتم أبنائى .. وأنت أبونا .. هذه خلاصة العلاقة الحميمة الصادقة التى كانت تجمع بين الشيخ محفوظ رحمه الله والشباب، ليس فى الجزائر فحسب، وإنما أيضاً فى بلدان كثيرة زارها الشيخ والتقى بشبابها، وهذا ما لمسته من خلال عدة لقاءات جمعتنى ببعض الشباب من غير الجزائريين.

هذه العلاقة جعلت الشباب يقبلون على محاضرات الشيخ ودروسه وخطبه أينما كانت، بل إن فصول محاضراته فى المعهد الوطنى العالى لأصول الدين التابع لجامعة الجزئر كانت تغص بالشباب من غير طلاب الفصل، بل ومن غير طلاب الجامعة، ولا أذكر – وأنا حينها طالب فى السنة الأولى بالمعهد بعدما انتقلت إليه من جامعة باب الزوار– أن محاضرة من محاضرات السيرة أو التفسير التى كان يلقيها على طلاب السنتين الأولى والثالثة على التوالى لم يحضرها هؤلاء الشباب .

وفى مقابل هذا الإقبال الشبابى المليء بالحب والتقدير كان هناك إقبال آخر من طرف الشيخ محفوظ رحمه الله بنفس الحب والتقدير – وربما أكثر– وبقدر كبير من العطف والحنان والرعاية، ممزوج بالأمل الكبير أن ينجح فى غرس بذور الخير فى نفوس الشباب، ويتمكن من ترشيد عقولهم وتوجيه طاقاتهم لما يخدم البلاد والعباد .

لم يألُ الشيخ المرحوم جهداً فى تعليم الشباب وتربيتهم ورعايتهم وحتى حل مشكلاتهم، وما اشتعل رأسه شيباً إلا من هذه المشكلات، وما أكثرها، غير أنه لا يرد من يأتيه راجياً حل مشكلة أو مستفتياً فى مسألة

استعصى عليه جوابها، حتى إنه رحمه الله لم يكن يَسْلَم بعدما يلقى محاضرته ويجيب على أسئلة الحاضرين من أن يحيط به الكثيرون، كل يطرح عليه مسألته، وهو يجيب هذا ويرد على ذاك، ويقول لثالث: راجعنى يوم كذا بعد محاضرة كذا فى مكان كذا .

ولم يكن – رحمه الله – يرد دعوة لإلقاء محاضرة أو خطبة جمعة أوكلمة فى افتتاح معرض أو تأسيس جمعية، ومازلت أذكر وأنا طالب فى المعهد العالى لأصول الدين يوم أسسنا نادياً علميًّا سميناه «النادى العلمى للشيخ الفضيل الورتلانى» وهو أحد كبار جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التى أسسها الشيخ الإمام عبدالحميد بن باديس رحمه الله .

وفى حفل الافتتاح دعونا نخبة من الأساتذة والدعاة، وكان من بينهم الشيخ محفوظ والشهيد الذبيح الشيخ محمد بوسليمانى رحمهما الله، غير أن الشيخ محفوظ تأخر بعض الشيء وعلمنا أنه فى المستشفى للعلاج، فقلنا: إذن لن يأتى، لكنه حضر، وعند استقبالنا له عند بوابة الجامعة سلم علينا، ثم اعتذر عن عدم المشاركة فى الحفل بسبب تعبه الشديد، وأطلعنا على ماكان يحمله فى يده، إنه كيس «السيروم» (سائل الجلوكوز الذى يحقن فى الوريد)، وكان المفروض أن يبقى فى المستشفى إلا أنه أصر على الحضور والاعتذار شخصيًّا .

وللمرأة نصيبها :

هذه العلاقة المتبادلة لم تكن محصورة بين الشيخ والذكور من الشباب، وإنما كانت تشمل الإناث أيضاً؛ فلم يكن يدع فرصة لمشاركتهن

فى محاضرة أو معرض عن المرأة المسلمة إلا اغتنمها ليعلمهن ويصحح مفاهيمهن عن الإسلام .

ومن ذلك أنه مرة ألقى محاضرة خاصة بالنساء، وفى نهايتها قدمت المشرفة على اللقاء طفلاً صغيراً ليلقى نشيداً، وعندما انتهى ناداه الشيخ رحمه الله وسأله عن اسمه فأجابه، ثم عن اسم والده فأجابه، ثم عن اسم أمه فاندهش الطفل من السؤال كما اندهشت الحاضرات! كيف يسأل الشيخ عن اسم أمه وهذا من «الحُرمة» كما يسمى فى الجزائر؟! أى أن هذا يدخل فى إطار المحرمات الاجتماعية؛ إذ يعتبر من العيب أن يذكر الرجل اسم أمه أو أخته أوزوجته أو حتى ابنته .

فاغتنم الشيخ هذه الفرصة، وقال لهن: ألا نعرف اسم أم النبى ﷺ؟ ألا نعرف أسماء زوجاته وبناته؟ بما يعنى أن هذه عادة اجتماعية لا غير، ومخالفتها ليست حراماً كما يظن البعض، وإن كان الاستمساك بها لا يضير فى غالب الأحيان، بل وينبع من صميم الخلق الإسلامى، لكن فى نفس الوقت يجب أن نضع كل شىء فى مكانه، فلا نخلط الشرع بغيره.

حب فلسطين :

ومما تعلمه الشباب من الشيخ محفوظ حب فلسطين، والاهتمام بقضية القدس التى يعتبرها عمق الجرح العربى والإسلامى، واشتهر على لسانه وصفه إياها بفلسطين الشاهدة على الناس، حتى لا تكاد تخلو منه خطبة من خطبه .

وأذكر أن أحد الشباب الفلسطينيين قال لى يوماً بأنه لم يسمع أحداً من الدعاة غير الفلسطينيين أو دعاة بلاد الشام يتكلم عن فلسطين كما يتكلم عنها الشيخ محفوظ ، وأيضاً بتلك الحرقة والاهتمام الكبيرين .

ولعل هذا الغرس قد آتى أُكُله حين أعلن القسم النسائى فى حركة المجتمع الإسلامى «حماس» (قبل تغيير اسمها إلى حركة مجتمع السلم حمس) عند تأسيس الحركة – فيما أذكر – أن الأخوات تبرعن بالكثير من حليهن لإخوانهن فى فلسطين .

ورغم ما مرت به الجزائر من عشرية «سوداء» كما وصفها البعض؛ فإن فلسطين وقضيتها بقيت فى أعماق الشيخ رحمه الله، حتى إنه فى آخر وصية له قبل وفاته أوصى بالوقوف إلى جانب «إخواننا فى فلسطين» .

الدعاء .. ولزوم الجماعة :

ومع هذا الإقبال الشديد من الشباب عليه فى ظل ضعف القدرة الاستيعابية بسبب قلة الكوادر التربوية المؤهلة .. ضاعف الشيخ محفوظ من جهده وعطائه.

ودروس السيرة للشيخ رحمه الله تجعلك تعيش أحداثها؛ فهو يجعل من وقائع السيرة منارات يضىء بها الواقع الذى نعيشه ويستنبط من أحداثها معالم السير بالدعوة والتغلب على المشكلات والعراقيل .

ومازلت أذكر عندما التقى الشيخ رحمه الله بالرئيس الأسبق الشاذلى بن جديد، وخاطبه بلفظة «فخامة الرئيس» فثار المرجفون وأدعياء العلم

الشرعى هنا وهناك : لا يجوز . . هذه مداهنة . . كيف يعظم الرئيس وهو لا يحكم بالشريعة؟! لكن الشيخ لم يعبأ بهم ، وعندما سئل عن ذلك أجاب بلسان العالم الواثق : إن النبى ﷺ خاطب كسرى وقيصر والمقوقس فى رسائله إليهم ، فقال : إلى كسرى عظيم الفرس ، وإلى قيصر عظيم الروم ، وإلى المقوقس عظيم القبط ، فانتبه الناس إلى ذلك وهدأت عاصفة المرجفين .

وقد صارحنا مرة ونحن نستمع إلى محاضرته فى السيرة النبوية معهد أصول الدين حين سئل : كيف العمل والمربون قلة والمقبلون على الصحوة الإسلامية يزداد عددهم يوماً بعد يوم؟ فقال : ماذا تريدون أن أقول لكم؟ هذا حالنا . . « الله غالب » (وهذه عبارة تقال لإبداء العجز بعد بذل جميع الأسباب)، ثم أضاف : لكنى أوصيكم باثنتين : ادعوا الله عز وجل ، والزموا الجماعة .

ولعل هاتين الوصيتين بعد وفاة الشيخ محفوظ رحمه الله هما أهم ما يحتاج إليه اليوم شباب حركة مجتمع السلم وجمعية الإرشاد والإصلاح، بل وكل محبيه فى الجزائر الحبيبة – كما يحب كثيراً أن يصفها – وفى خارج الجزائر . . فهل نحن فاعلون ؟

محفوظ نحناح الرجل والرجال قليل[١]

بقلم : د. توفيق الواعى

رحل عنا الأستاذ محفوظ نحناح ، رجل الفكرة والعقيدة ورجل المواقف الصعبة والأزمات الجسام ، صاحب العقل الناضج والفكر النابه ، والحجة البالغة ، والذاكرة الوهاجة ، والبصيرة النفاذة ، والرؤية الصادقة ، والعزيمة الخارقة ، والشخصية الفذة ، إذا جلست معه أحسست من أول وهلة أنك أمام قائد واسع المدارك عالى الأفق عميق المعرفة بحاله وزمانه ودعوته ، وإذا حادثته تبين لك صدق لهجته وسعة حجته وعمق نظرته وحجم فراسته وعظم إخلاصه ، وزخم حماسته ، يكلمك عن حال الأمة، فتشعر باللوعة فى صدره والمرارة فى حلقه ، ولكنك تلمح الأمل فى تحليله ونبرته ، ويحدثك عن المشكلات التى يشيب من هولها الولدان فى بلده . .ولكنه يستبعد اليأس فى خطته والوهن فى كفاحه وعزيمته، ويعرض عليك الواقع المؤلم فى حكومته والداء العضال فى مجتمعه . . ولكنك تلحظ قارورة الدواء فى جعبته وأضواء الهداية فى دعوته .

وإذا حاورته أحسست أنك أمام رجل صلب العريكة ، قوى الشكيمة، رابط الجأش ، ثابت الجنان ، غير هياب أمام الباطل ، ولا جازع فى مواجهة النكبات ، عارض قانون الثورة الزراعية الفاسد عام ١٩٧١م فى الجزائر واعتبره قتلاً لروح الإبداع والمبادرة الحرة ، وعارض ميثاق ودستور عام

(١) المجتمع: العدد (١٥٥٧) – ٢٨/٦/٢٠٠٣م.

١٩٧٦م لأنه جاء دون استشارة الشعب ، فضلاً عنه أنه جاء ليكرس الحرب على قيم المجتمع وأصالته وتراثه الثقافى والفكرى ، فاتهمه النظام الدكتاتورى الشمولى بمحاولة تحريض الشعب على العصيان ، ومحاولة قلب نظام الحكم ، فأُلقى القبض عليه ، وحُكم عليه بالسجن خمسة عشر عاماً وأُطلق سراحه عام ١٩٨٠م .

كان حريصاً على دينه ، ناصراً لإسلامه داعية إلى ربه ، لا يكل ولا يمل، فكان من بين المساهمين فى تنظيم التجمع الإسلامى الكبير بالجامعة المركزية عام ١٩٨٢م ،وصاغ بيان التجمع المذكور ، ودعا عام ١٩٨٩م إلى تأسيس رابطة الدعوة الإسلامية وكان أحد أعضائها ، وبعد الانفتاح السياسى ترأس جمعية الإرشاد والإصلاح الوطنى التى تأسست فى عام ١٩٨٩ م ، وبعد أقل من سنتين أسس حركة سياسية هى حركة المجتمع الإسلامى « حماس » التى تغير اسمها فيما بعد إلى حركة مجتمع السلم (حمس)، كان الرجل واسع المدارك كبير العقل ينتفع بالتجارب ويعتبر بالتاريخ ويفهم الأساليب والمتغيرات ، ويدرك قواعد العمل فى الدعوات ، وكان يعى دائماً ويتمثل قول الفيلسوف مالك بن نبى: « لا يكفى أن تملك فكرة ، ولو كانت أصيلة وصحيحة ، بل عليك أن تملكها وتملك وسائل تنفيذها وكذا الحفاظ عليها » .

فكان الرجل يضبط حركته بالوعى ، ودعوته بالموضوعية ، وأساليبه بالواقعية، فلا استعجال حتى تنبت البذرة وتعظم الشجرة وتنضج الثمرة ، ولا تقاعس عن العمل والإخلاص والحركة ، وهو بهذا كان تلميذاً نجيباً

لدعوة الإخوان المسلمين وللشيخ البنا رحمه الله إذ يقول : « لقد خاطبت المتحمسين منكم أن يتريثوا وينتظروا دورة الزمان ، وإنى لأخاطب المتقاعدين أن ينهضوا ويعملوا، فليس مع الجهاد راحة ﴿ **وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ** ﴾ [العنكبوت : ٦٩] .

ولهذا يقول الشيخ نحناح رحمه الله: « الحركة الواعية تنظر إلى الواقع بموضوعية، وتستعمل أدوات التغيير بوعى، وتدرك أنها أمام ألوان من النفسيات والأمزجة والمخلفات الجاهلية والتطلعات المستقبلية والتحولات التاريخية والتشكيلات السياسية، فلا تتبرم ببطء سقيم الفكر، ولا تنزعج من مستعجل عديم الفقه كثير الشبهات، لأنه: إما مستعجل يريد اللحاق بموكب التاريخ المشع قبل الأوان، أو مستعجل يريد قطف الثمار قبل اكتمال النضج، أو مستعجل يريد مزاحمة الأواهين والحزانى، أو مستعجل يريد تحقيق مآرب شخصية آنية، أو مستعجل يريد دفع الموكب نحو الهاوية، أو مستعجل يريد انطلاقاً مجنحًا بدعوى الخروج من الفتور واليأس، أو مستعجل لأمانته التى استؤمن عليها ويعمل على إفساد ذات البين يريد السير فوق أنقاض وجماجم من قبله .

وبعض المستعجلين يضعون صيغًا تبريرية لاستعجالهم بدافع الخوف على الحركة من التميع والتصدع ولكنك إذا أسندت إليهم أمرًا كانوا أعجز عن حمله، وإذا ولوا مسئولية كانوا لها أضيع، وإذا ما استؤمنوا كانوا لها أخون، ولا ينفى هذا أن ثمة مستعجلين يريدون الخير، كما لا ينفى أن يكون هناك من يخشى أن تفوت الفرصة، وهذا لا يغير من الضرر شيئًا .

ثم يبين الشيخ رحمه الله معالم الحركة الدعوية الواعية فيقول:

الحركة الواعية هى التى تكون مفتحة العيون والآذان والعقول لكل ما حصل من أحداث، أو ما يمكن أن يحدث، وتربط النتائج بالأسباب، غير مغفلة موازين القدر الإلهى، تقع عينها على الحياة من غير تجسس، وتتابع أذنها من غير تحسس، وتعمل عقلها من غير رجم بالغيب أو سوء ظن لأن بعض الظن إثم، وكم أدى ذلك إلى مزالق شرعية، أو مهالك حركية، أو سقطات حضارية، إلخ.

كل ذلك جعل عقلية الرجل عقلية عملاق فى الدعوة والإصلاح، كتب فى كل ما يعالج أمراض أمته، فكتب فى كثير من الموضوعات الشائكة من أمثال: «المنهج الدعوى والمنهج الدموى»، «الحركة الواعية بين الفجر الصادق والفجر الكاذب»، «الحركة الواعية وإرادة التغيير» كل ذلك جعل الرجل الفارس المعلم فى حل الأزمة فى بلاده على المستويين الداخلى والخارجى، فكانت مناقشاته مع الشخصيات والهيئات العالمية لحل أزمة بلاده، فنال بذلك تقدير أمته على المستوى الشعبى، ولما ترشح لرئاسة الجزائر،نال ثلثى الأصوات، فيما نال الرئيس اليمين زروال ثلث الأصوات، وتغيرت النتيجة ونجح زروال، فتبسم الرجل، وعرف من وراء ذلك فى الداخل والخارج، ورضى بكفاحه فى سبيل أمته ودعوته، ورحل الرجل وودعته الأمة بالدموع، وودعه إخوانه فى الدعوة بالصبر والدعاء والاحتساب بقلوب حزينة وعيون دامعة يقولون فيه ما يرضى الرب: إنا لله وإنا إليه راجعون، وإنا على فراقك يا محفوظ لمحزونون، وسلام عليك فى الأولين والآخرين. والحمد لله رب العالمين.

محفوظ النحناح(١)

بقلم: حافظ الشيخ صالح

بغياب الدكتور الشيخ محفوظ النحناح، الذى نعاهُ التليفزيون الجزائرىّ مساء أمس الأوّل. ووريَ الثرى بعد صلاة الجمعة أمس، من بعد مُعاناة شديدة مدّةَ سنتين مع «اللوكيميا» (سرطان الدم)، تكون الجزائر قد فقدتْ واحداً من ألمع وجوه الاعتدال والوسطيّة الإسلاميّة، الذى كان قد جاءتهُ من الأذيّة، من نهايات الثمانينيّات، من صوب أجنحة فى الحركة الإسلاميّة الواسعة مثلما جاءتهُ من المجموعة العسكريتاريّة القابضة على مُقدّرات البلاد.

كذلك بغياب النحناح تخسر حركة «الإخوان المسلمين» أحد أحسن مُفكّريها، فهو المراقب العام لـ «الإخوان» فى الجزائر، وكان من أنشط مَنْ عملَ على توثيق العلائق، على المستويات الإسلامية والقوميّة، مع المشرق العربى، وتضييق الغربة بين مغرب الوطن العربى ومشرقه، منذ كان فى جامعة كمبريدج، حتى إن خصومًا له كانوا آنفًا يتهمونه، زوراً وبهتانا، بـ«الهوى المَشرقىّ»، وأن انشغالاته بقضايا المشرق العربى كانت أغلبَ عليهِ من الاهتمام الحميم بالشأن الوطنىّ الجزائرىّ. طبعًا ثبتَ من بعد ذلك تهافتُ هذا الاتهام، وإنما كان الرجل وجماعتهُ فى انتظار الساعة المُناسبة، وهكذا نزَل النحناح وجماعة «الإخوان المُسلمين» فى الساحة

(١) صحيفة أخبار الخليج الصادرة يوم ٢١ يونيو «جوان» ٢٠٠٣م.

الجزائريّة السياسيّة،ووصلَ من جماعته إلى الهيئة التشريعيّة نوّاب، وصار منهم وزراء، وبرهن على قدرة كبيرة فى المُناورات والمُقايضات والتسويات، وعلى الرغم من أنهُ لم يقطَع الصّلات مع جبهة الإنقاذ إلا إنه بقى حريصًا، فى أمانة وطنيّة وإسلاميّة، على النصيحة الصريحة لهم، فى وجهِ صيحات كثيرٍ من الشباب المُتحمس.

ولقد اعتاد النحناح– رحمهُ الله– فى كل محاضرة أو ندوة، فى الجزائر أو فى الخارج، أن يملأ جيوبه بفصوص الحلويّات الصغيرة المُغّلفة، حتى إذا علا الصياحُ وهتافاتُ الاحتجاج ضدّه أخذ يمنة ويُسرةً يرمى الجمهور الشابّ بهذه الحلويّات، وهو يبتسم ابتسامته العريضة المُعتادة، المُتهلّلة بالتفاؤل، التى لم تفارقْ وجههُ حتى فى أشدّ الساعات.

فى وقتٍ باكرٍ، من النصف الأوّل من التسعينيّات، اكتشف النحناح حقيقة المُسلحين المعتصمين فى الجبال، الذين يذبحون الناس والنساء والأطفال ويخطفون الفتيات، فاعتبرهم مجرّد لصوص ومجرمين وقَتَلَة، تكسوهم كسوة الفكر الخوارجىّ والتكفيرى السقيم، ولم يجاملْ فى ذلك أحداً، وفى الوقت نفسه لم يبرىء المافيا السّلطويّة من جرائمها تجاه الجزائر والجزائريين. رحمَ الله محفوظ النحناح، لله ما أعطى ولهُ ما أخذ.

الشيخ محفوظ نحناح فارس آخر يترجل(١)

راشد الغنوشى – مفكر إسلامى مقيم فى لندن

رئيس حزب النهضة الإسلامى التونسى

بوفاة الشيخ محفوظ نحناح رحمه الله فقدت الساحة الإسلامية عامة والمغاربية خاصة رجلا من خيرة رجالاتها، لم تكد الساحة الإسلامية فى العالم ولا الساحة السياسية فى الجزائر تعرف خلال السنوات العشر الماضية فى الحد الأدنى مثل الأخ والصديق الفقيد محفوظ نحناح، شخصية اصطرع حول تقويم سياساتها ومواقفها كل المتابعين للشأن الجزائرى الذى هو بدوره ظل على نحو أو آخر فى صدارة أحداث العشرية المنصرمة، غير أنه مهما اختلف المرء مع فقيدنا فيما اجتهد واتخذ من مواقف كثيراً ما صادمت الرأى العام الإسلامى والسياسى فلن يملك إلا أن :

١– يعترف لهذا الرجل بسابقته فى خدمة دعوة الإسلام على كل الجبهات منذ كان طالبًا فى الآداب، فأستاذاً جامعيًا لمادة التفسير، ودأبه على نشر مبادئ وقيم التجديد الإسلامى فى الجزائر التى كانت يوم بدأ عمله قد استقلت حديثًا، وكان من شباب ثورتها الكبرى، وكانت الآمال وقتها معلقة فى استقلالها أن يحقق لها نقلة عظيمة إلى حياة إسلامية واعية باعتبار ثوراتها المتلاحقة منذ الأمير عبدالقادر الجزائرى إلى ثورتها التحريرية الأخيرة التى كان الإسلام مادة وقودها، ولا سيما بعد العمل

(١) جريدة «الشرق الأوسط» اللندنية: ٢٤/٦/٢٠٠٣م.

التأسيسى لجمعية العلماء.

غير أن صعود موجة العلمنة والاشتراكية والشيوعية فى العالم خلال الستينيات والسبعينيات وما حظيت به ثورة الجزائر فى مرحلتها الأخيرة من تأييد المعسكر الاشتراكى مقابل انحياز الحلف الأطلسى للمستعمر، جعل من الاستقلال نوعًا من النصر الاشتراكى والعلمانى، ومنطلقًا لتطبيقات اشتراكية فى المستوى الاقتصادى والسياسى وفرصة للنشاط اليسارى الشيوعى، وذلك رغم انطلاقة موجة التعريب التى سيكون المد الإسلامى واحداً من ثمارها، ويشكل أكبر تحدٍّ لتوجهها العلمانى الذى عاد فى النهاية يصب فى حوض التغريب تواصلا مع إرث الإدارة الفرنسية المنهزمة، ولكن فى حالة كمون.

وكان الشيخ محفوظ والشيخ عباسى مدنى والشيخ عبد الله جاب الله والشيخ محمد بوجلخة والشيخ محمد السعيد، ثم على بلحاج ومصطفى براهمى فى مرحلة تالية.. من أبرز رموز الشباب المغربى الذين قاموا منذ نهاية الستينيات،وفى أعقاب حل أول جمعية إسلامية بعد الاستقلال «جمعية القيم»، نهضوا تحت رعاية عدد ممن تبقى من شيوخ جمعية العلماء مثل الشيخ عبداللطيف سلطانى والشيخ سحنون والأستاذ مالك بن نبى يتصدون لانحراف الثورة عن إرثها الإسلامى وإيغالها فى نهج العلمنة والاشتراكية والحكم الفردى، وما تطورت إليه من تغرب ولائكية (علمانية)، لا سيما فى عهد الشاذلى.

لقد مثّل الشيخ محفوظ جسرًا مهمًّا جداً لنقل الأفكار الإصلاحية

المشرقية والمناهج التربوية التى مثلها فكر الإخوان المسلمين عامة إلى الجزائر والمغرب العربى على نحو ما، سواء عبر التدريس وسط طلاب الجامعة، أم كان فى عمق البلاد عبر شبكة المساجد، ولا سيما فى منطقة الوسط التى ينتسب الشيخ إلى واحدة من أهم المناطق «البليدة» التى عرف أهلها بالنجاح فى مجال الأعمال؛ فكان من أهم أركان بسط فكر الدعوة الإسلامية فى هذا القطر الإسلامى المهم.

٢– ليس الشيخ محفوظ مجرد داعية نشط وواعظ حيث أمكن لخطابه المتميز بالعمق الدينى، والهدوء والواقعية، والمستوى الأدبى الرفيع، وروح الدعابة، وإنما كان إلى ذلك مربيًا ومنظمًا ومؤسسًا لجماعة إسلامية «حركة المجتمع الإسلامى» (حماس) التى تحولت لاحقًا إلى حركة مجتمع السلم(حمس) انسجامًا مع قانون الأحزاب، انغرزت هذه الحركة بقوة فى المجتمع الجزائرى، ولا سيما فى الفئات الوسطى من الإداريين والإطار التعليمى والتجار والنساء والشباب.

ومرت بمرحلة السرية والتتلمذ على الفكر الإصلاحى المشرقى الذى قد يكون النقل الحرفى له فى المرحلة الأولى قاد إلى تصادم الحركة فى طور نشوئها فى النصف الثانى من السبعينيات مع حكم بومدين، فاعتقل الشيخ وثلة من إخوانه وتعرض لصنوف من التعذيب،وأمضى بضع سنوات فى غياهب السجون؛ حيث أمكن لى التخفى مع أسرته لزيارته بالمستشفى خلال تلك الفترة بمدينة «الأصنام» التى تعرضت خلال وجوده بسجنها إلى زلزال شديد ترك الشيخ فجأة فى العراء وقد تساقط

كل ما حوله، وفرّ من بقى على قيد الحياة، بينما ظل هو ساكنًا هادئًا فى انتظار عودة السجن والسجانين.

لقد مرت حركته من مرحلة النسخ عن المشرق إلى مرحلة التفاعل الجرىء مع البيئة الجزائرية، لا سيما وقد تعرضت الجزائر لزلزال سياسى ربما لا يزال يحكم مسيرتها حتى اليوم هو حدث ٥ أكتوبر ١٩٨٨م الذى دكت فيه انتفاضة شعبية عارمة الدولة دكًّا، فعمت البلاد فوضى عارمة،ومن هناك انطلقت مسيرتان إسلاميتان كبيرتان: مسيرة الشيخين عباسى مدنى وعلى بلحاج اللذين امتطيا الموج العارم ومضيا به يكسوانه شعارات الدولة الإسلامية وتطبيق الشريعة، المسيرة التى حاول الشاذلى مجاراتها بإجراءات ديمقراطية على أمل احتوائها نهاية.

وحتى بعد فوز الجبهة الإسلامية فى الانتخابات البلدية، ثم قرب فوزها فى الانتخابات التشريعية ظل الشاذلى يواكب المسيرة ثقة فى قدرته على احتوائها، بينما الجيش رفض تسليم مصيره ومصالحه إلى الشاذلى وعباسى، فتحركت الدبابات أولا لسحق جمهور عباسى المتحرك فى الشوارع، ثم تحركت لسحق صناديق الاقتراع وإلغاء الانتخابات وطرد الشاذلى، والرهان على الجيش بدل حيَل الشاذلى الديمقراطية لسحق الجبهة بأفق العودة بالجزائر إلى ما قبل زلزال ٥ أكتوبر بالقوة، أما الشيخ محفوظ رحمه الله فكان متوجسًا من الإبحار مع الموج الهادر ربما بحكم مزاجه الهادئ وعقله المنظم وتجربته فى الصدام، فمال إلى التهدئة، وحتى لما اضطر الشاذلى لفتح أبواب التعددية على مصراعيها وانطلقت الجبهة

كالصاروخ لتنزع من جبهة التحرير حزب السلطة قيادة أهم البلديات؛ فقد ظل الشيخ محفوظ ملازمًا موقف الحذر على تمام اليقين أن هذا الانفتاح مجرد خدعة لاحتواء الموقف وكشف حقيقة قوة ومواقع نفوذ الإسلاميين لتصفيتهم.

غيرأنه لم يملك وقد أخذ المسار يفرض نفسه من مسايرة الموجة ولكن بحذر؛ إذ عمل على القيام بنوع من التأمين على الدعوة؛ فاستحدث لها كيانًا مستقلا عن التنظيم السياسى هو جمعية الإصلاح والإرشاد، كما مدّ خيوط تواصله مع أصحاب السلطة الحقيقيين قادة الجيش لطمأنتهم على أن حركة مجتمع السلم تراهن على الإقناع بدل الإخضاع، وطرائق السلم وليس المغالبة، وأنه شديد الحرص على بقاء الدولة فى وجه التهديد المسلح من الجماعات الذى تتعرض له، وأن الجيش هو أهم ضمان لاستمرار الدولة والاجتماع الجزائرى.

ولم يتزحزح الشيخ عن هذه القناعات خلال أشد عنفوان الجماعات المسلحة وتغلغلها فى المدن والأرياف، وحتى فى العاصمة، فضلا عن الجبال، كان خطابه داخل الجزائر وخارجها يقارع تلك الجماعات وما تقوم عليه من تصورات فكرية وسياسية، مبينًا تباينها مع ما يؤمن به من إسلام ومصلحة دعوته والوطن الجزائرى، لم يرهبه ما تعرض له من حملات نقدية شديدة لنهجه ومن تهديدات لحياته، لا سيما وقد أمكن لهم أن يجهزوا على أقرب أعضائه وخليفته المنتظر الشيخ «بوسليمانى» رحمه الله.

ولا أزال أذكر صلاة الجمعة فى المسجد المركزى بلندن خلال عام ١٩٩٥م مع الشيخ وما راعنى – وقد تخلفت قليلا عن الشيخ لأسلم على بعض الأصدقاء – ونحن ندلف وسط جموع غفيرة من صحن المسجد إلى خارجه، إلا وجمع من الشباب يلتف حول الشيخ صارخًا فى وجهه، ثم ما لبث أن وجه إليه أحدهم لكمة كادت تفضى إلى كارثة، لولا تدخل بعض العقلاء للحد من غلواء أولئك المتطرفين، ولقد عجبت لمدى تماسك الشيخ وهدوئه، وسط الخطر الذى أحاط به، ولعله بعد ذلك فرض على نفسه وضع ترتيبات لتنقله.

إنسانية الدعوة والحركة:

٣- الثابت أن الجماعة التى أسسها الشيخ على عينه وصورته قد ثبتت بعد ثلث قرن من التقلب مع الموج الجزائرى العاتى رقمًا مهمًّا ومعطى ثقافيًّا وسياسيًّا واجتماعيًّا يمكن أن تتفق معه أو تختلف، لكن لا مناص من أن تقرأ له حسابًا؛ فقد وسع قاعدته فى مستوى الشباب الطلابى وفى مستوى العمل النسائى، ووسط فئات واسعة من الفئة الوسطى ومختلف قطاعات الدولة بما قدم من تصور هادئ متسامح يعطى مكانًا واسعًا فى الإسلام لكل ما هو إنسانى وجميل، وحديث من ديمقراطية وحقوق إنسان، وذوق جميل ومال وتجارة وترفيه حلال، وروح دعابة إلى حس عميق تجاه المساكين والأرامل والعوانس (وأحسب أن أكثر زعيم إسلامى تكلم عن ظاهرة العنوسة وأحس بمعاناة أعداد هائلة من هؤلاء الفتيات هو الشيخ محفوظ).

كما حفل خطابه بخصوصية نادرة فى حركات التغيير من الدفاع عن الدولة وضرورة المحافظة عليها والخشية من الانفلات والفوضى، والحقيقة أن هذا الخط مثّل خطابًا تليدًا فى تراث علماء أهل السنة زهدت فيه الحركة الإسلامية المعاصرة التى سادها خطاب التنوير والتغيير؛ بسبب ما نالها من بأس الدولة الحديثة حتى كرهتها لدرجة تمنى زوالها، ولربما هذا الخطاب الوسطى الجامع لئن أغضب من الشيخ فئات واسعة من الإسلاميين، ولا سيما فى وسط الشباب والسياسيين الجزائريين؛ فقد أمده بقاعدة مستقرة واسعة مضمونة ربما حتى فى وسط الجيش وقياداته، بما أفسح أمام الشيخ فرص الترشح إلى قمة الهرم السياسى؛ إذ ترشح فى انتخابات ١٩٩٥م لمنافسة الرئيس زروال، ورغم أنه لم يفز فإن كل المتابعين لحملته الإنتخابية يشهدون بتفوق مستوى خطابه وشعبيته بما جعل النتائج المعلنة موضع استفهام.

وحاول مرة أخرى الترشح فى مواجهة بوتفليقة إلا أنه أُقصى بطرق ملتوية، تشهد مرة أخرى على أن اللعبة ممسوكة من فوق مسكًا محكمًا، وأن هناك خطًّا أحمر لا ينبغى للإسلاميين تجاوزه، ومع ذلك صبر الشيخ وواصل الصمود فى مواجهة التيار الاستئصالى المتصاعد، لا سيما بعد فشل الرهانات العنيفة، وترجح كفة نهج المصابرة والتعقل الذى انتهجه الشيخ – مع ما يمكن أن يؤاخذ به من شطط فى هذا الصدد– وأمكن لصموده أن يفسح المجال أمام ما هو متاح دون الرئاسة من مواقع فى المجلس التشريعى ظلت محجوزة لحركة مجتمع السلم، ومواقع مهمة فى المستوى

النيابى والتنفيذى دربت كوادر مهمة لهذه الحركة نقلتها من مستوى الشعارات والعموميات إلى قلب العملية السياسة بما هو تفاعل بين المبادئ والواقع، وهى أقوم الطرق لتطوير فكرنا الإسلامى فى مجالات الاقتصاد والثقافة والتنمية والعلاقات الدولية، وهو ما يعانى فيه فكرنا الإسلامى فقراً شديداً نتيجة نأيه منذ زمن عن ميادين التطبيق.

جدل.. لما بعد الرحيل:

وإذا كان الموت قدر كل كائن حى فإنما تقاس حياة الرجال بما قدموا لأمتهم وللإنسانية وبما قدموا لربهم، ورغم أنى طالما اختلفت خلال العشرية المنصرمة مع الشيخ رحمه الله؛ فقد ظلَّ إعجابى كبيراً بثباته على ما يعتقد أنه حق ومصلحة، وبشجاعته فى الصدع برأيه مهما بلغ تباينه مع الجمهور، وقد خَبَرْتُه عن قرب خلال إقامتى بالجزائر مدة سنتين، ولمست عن قرب مدى امتدادات وتشعب علاقاته التى لم يضن بها عنا.

ولكن ومهما اختلف عنك ومهما اربدَّت الأجواء من حوله؛ فقد كانت الابتسامة العريضة لا تكاد تغادر محياه الجميل، ودعابته الحاضرة، واستحضاره الدائم للعواقب وموازين القوة، ومعية الرحمن الرحيم، تماماً بنفس الحرص على أناقة المظهر من مثل تهذيب ذقنه، وإحكام رباط عنقه، وبذلته الحديثة العهد بالمكواة.

كل ذلك جعل من الشيخ طرازاً متميزاً فى التنظيم الإسلامى تتفق معه أو تختلف، لكن لا يمكن لك إلا أن تقدر فيه الشجاعة، والثبات، والسماحة، والاعتدال، والمرونة السياسية لدرجة البراغماتية، والحس

العميق بهموم الناس ومكانة الدولة فى الجماعة، لاسيما الدولة الحديثة، والتعويل على الحوار والتفاوض والقبول نهاية بالممكن والمشاركة والامتناع مطلقًا عن ترك فرصة للخصوم للانفراد بالأمر العام.. مثل هذه الشخصية ما أحسب أن ما أثارته فى حياتها من جدل سينتهى بموت الجسد، ولكن سيتواصل ما تواصلت المشكلات التى طرحتها والحلول التى اقترحتها.

رحم الله الأخ الصديق الحبيب الشيخ محفوظ بقدر ما جدَّد وأشاع من قيم الإسلام العملية والتربوية والسياسية وحسن معاملة مما تحتاجه أمة وشعب ممزقان بالأحقاد ونزوعات التنافى، ورحمه الله بما حرَّك من سواكن العقول، وفجَّر من قضايا عملية للتفكير والتأمل، رحمه الله فى الأولين والآخرين، وعوض الله شعب الجزائر وإخوانه فى مجتمع السلم وأمة الإسلام خيراً، وأفرغ على ذويه وأحبابه جميل الصبر، وجمعنا الله به فى عليين مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

كلمة فى تأبين الشيخ محفوظ نحناح رحمه الله

بقلم : الشيخ راشد الغنوشي

إخوان الراحل الحبيب وأبناءه فى حركة مجتمع السلم وأصدقاءه وعامة أهلنا فى الجزائر الشقيقة . . السلام عليكم وعظّم الله أجركم فى أخينا الحبيب الشيخ محفوظ نحناح أبرز قيادات ومؤسسى مسيرة الدعوة الإسلامية، داعية السلم والرفق والتدرج والوحدة الوطنية والديمقراطية والحوار والمشاركة والرفق والذب الدائم عن الفئات المستضعفة وعن الشباب والنساء. كل ذلك ضمن اعتصامه وتذكيره الدائمين بثوابت الوطنية الجزائرية من عروبة وإسلام وتضامن وحفظ لكيان الدولة فى كل الأحوال، والتصدى لكل محاولة للنيل من هذه الثوابت، ومن ذلك رفعه بلا هوادة الغطاء الدينى عن كل تسويغ تحت أى ظرف لتصديع تلك الثوابت.

فقد ساح داعية السلم شرقا وغربًا عبر ارتياد المؤتمرات يحاور أرباب السياسة والفكر ذابا عن دعوته وطنه مشفقا على شباب الأمة أن تزج به حماقات الطيبين ومكايد الحاقدين فى مراحق مبرمجة وتصرفه عن قضايا أمته الحقيقية فى الحرية والعدل والوحدة والتضامن والتحرير، ولا سيما القضية الكبرى قضية فلسطين التى كانت هم الراحل الأعظم، حتى كانت مسك ختام مجاهداته، إذ أبى وهو يغالب الموت فى آخر جولاته معه إلا يكون مسك ختام مجاهداته تنظيم وقيادة مسيرة نصرة لفلسطين والعراق.

لقد كان الحبيب الراحل جمعًا من فطاحل الرجال متعددى الاهتمامات قد جمعتها قدرة الخلاق فى رجل بل وطنا وأمة اختزلا فى شخص.

وفى مثل هذ المناخات من الحزن والأسى التى تصاحب مصيبة الموت وليس أى موت وإنما موت العلماء والدعاة وهم ملح الأرض وزكاؤها كثيرا ما يرد على ألسنة المتحدثين ذكر آثار نبوية تعظّم من فاجعة فقدان الأمة لعلمائها حتى لكأن ذلك علامة على اتجاه الحياة إلى الذبول وشمسها إلى المغيب وبساط هنائها إلى انقباض من مثل قوله عليه السلام فيما رواه البخارى «**إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالما اتخذ الناس رؤوسا جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا**» أو كما ذهب بعض المفسرين إلى أن المقصود من إنقاص الأرض من أطرافها فى الآية الكريمة ﴿**أَفَلا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ**﴾ [الأنبياء: ٤٤]، هو موت العلماء.

وفى هذا الصدد يمكن تفهم بعض المقالات التى رددت بصدد هول الصدمة بفقدان الأخ الحبيب الراحل والفراغ الذى سيتركه على كل الساحات التى صال فيها وجال، المحلية والدولية، يطفىء الحرائق ويوقد شموع الأمل ويذكى روح المحبة والحوار والتضامن والتعاون وسعة الصدر، ولا سيما على صعيد الحركة التى أسسها وصاغها على صورته، فقيل إن حركة مجتمع السلم هى محفوظ ومحفوظ هو حركة مجتمع السلم،

وهى كلمة حق نرجو أن يكون أريد بها الحق وليس التلويح بأمارات الساعة كلما حلت بالأمة مصيبة. مع أن المصائب فى حياة الأمم والجماعات وحتى الأشخاص عندما تكون قوى الحياة راسخة متمكنة فيها تغدو باعث حيوية وتجدد، وليس نذير شؤم وانهيار.

تقديرنا أن البناء الذى شاده الشيخ الراحل هو من التمكن والرسوخ بحيث لن ينال – بحول الله– غيابه الجسدى من استمرار نهجه فى الفهم الوسطى المعتدل والحوار والمشاركة والقبول بأى هامش للحرية، مع العمل الدؤوب على توسيعه والحرص على الوحدة الوطنية ورهانه على الخيار الديمقراطى والسير به نحو التحرر من كل وصاية – كما شهدت بذلك نصوصه– كاهتمامه بقضايا المرأة والشباب والعنوسة والعزوبية وقضايا الأمة، ولا سيما فى فلسطين والحرص على وحدة صف الإسلاميين،ما أحسب أن الأيام ستأخذ من أطراف جماعة تأسست على مثل هذه الوسطية والمنهج الديناميكى المتفاعل بالإسلام والوطنية مع متغيرات الساحة الوطنية والدولية.

ولو أن نهج الوسطية الذى شقه الرسول الأعظم لهذه الأمة وعمل رواد الإصلاح فى العصر أمثال الشيخين عبده والأفغانى والشيخين ابن باديس والإبراهيمى والمجددين الكبيرين البنا والمودودى، وما الشيخ الراحل غير امتداد لهذه السلسلة المباركة، قلت لو أن مسيرة الجماعة يمكن أن تتوقف أو تنتقص بموت أحد لتوقفت أو انتقصت بموت النبى عليه السلام، وهو ما أفزع ابن الخطاب وهز كيانه هزا، حتى تداركه الصديق

بكلمة رشد إذ قال أيها الناس من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حى لا يموت وقرأ: **﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾** [آل عمران: ١٤٤] فاستعاد ابن الخطاب توازنه وشمر عن ساعد الجد ليرتفع بمستوى مسئوليته فى حمل أمانة ميراث النبوة، واستنفر الصحب الكرام طاقات البذل والفداء والتصدى صفا واحدا لدعوات الإرجاف والنكوص والتشقق، فذهبت أدراج الرياح كل محاولات المرتدين فى الإنقاص من أطراف الإسلام حتى قال الصديق: والله لو منعونى عقال بعير كانوا يؤدونه لرسول الله لقاتلتهم عليه.

أيها الأحباب إن مصابكم ومصاب الجزائر ومصابنا جميعا عظيم فى الراحل الكبير، وبقدر عظم المصاب بقدر عظم التبعة لا فقط فى الاحتفاظ بإرثه العظيم أن ينتقص من أطرافه، وإنما أيضا بالزيادة عليه فيكون لكل جيل من أجيال الدعوة كسبه المضاعف حفظا لإرث من سلف وزيادة تليق باستعداداته. ورجائى فى الله عظيم وثقتى فيكم ممتدة أن حركة مجتمع السلم هى الشيخ محفوظ نعم، وزيادة. فتثبتوا جيدا فى عناصر القوة فى هذه الحركة المباركة لتحفظوها ومنها وحدة صفكم واجتماعكم ولو على أدناكم ارتضيتموه قائدا لمسيرتكم على نهج الشورى والوفاق، وانظروا فيما بعد إلى مساركم الاجتهادى هل من إضافة تحسينية تزكيه أو من خلل معيق يتخلص منه أو استيعاب مجدد لبعض من ندّ عن الصف فى ظروف خاصة حافظ على استقامته وما زال متوفرا على حظ من العطاء والجهد، ممن يمكن كسبهم إلى الصف مجددا..

والله يحفظكم ويرعاكم من قبيل ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾
[الكهف: ٨٢]

أيها الإخوة الأحباب أيها الأبناء الأشاوس: لقد تركَكم الراحل العزيز فى قلب البوتقة الفاعلة فى الجزائر فاستوعبوا الكسب وسيروا به نحو مجد جديد حتى ينام الراحل الحبيب قرير العين مطمئن النفس أنه قد أودع عصارة جهده وجهاده فى أيد أمينة.

واسنحوا لى أيها الأحباب أن نتوجه إلى الرحمن الرحيم أن يلقّى أخانا البشرى ويهبه الزلفى وينزله الدرجات العلى؛ جوار النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا، فاللهم اخلف أخانا الحبيب فى أهله وإخوانه وأبنائه رجالا ونساء ووطنه الحبيب ومكانه فى الأمة والإنسانية خيرا. اللهم ولا تفتنا بعده ولا تحرمنا أجره وأفض عليه من شآبيب فضلك ما يليق بمقام أوليائك عندك. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وداعًا نحناح وقفة تربوية (١)

أبو خلاد عبدالحميد البلالى

ودَّعت الدنيا علمًا شامخًا من أعلام الحركة الإسلامية الحديثة، وعمودًا صلبًا من أعمدة الاعتدال فيها، ومجاهدًا من مجاهديها، إنه رائد الحركة الإسلامية فى الجزائر الأخ محفوظ نحناح يرحمه الله.

لم أعرفه من خلال الصحافة والكتب والمحطات الفضائية، ولم أعرفه من خلال الآخرين، بل عرفته احتكاكًا وجهًا لوجه لسنين طويلة، وأحببته وأحبنى فى الله، وأسأل الله أن يجمعنى وإياه إخوانًا على سرر متقابلين فى الجنة.

لا استطيع إحصاء مواقفه الأصيلة لكثرتها، ولكننى أنقل موقفًا واحدًا عنه لا يعلمه الكثيرون من الناس، فقد كنت فى غرفته فى فندق سفير فى الكويت عام ١٩٩٣م، فيما أتذكر، ورن الهاتف فى غرفته فحمل السماعة ليرد على مكالمة من الجزائر فأسمعه وهو يرد «الحمد لله إن كان على يد إخوانى فالحمد لله..»، فسألته بعد انتهاء المكالمة عن تلك العبارة فقال: لقد أبلغنى الإخوان فى الجزائر أن فتوى قد خرجت للتو تبيح دمى فرددت على الأخ المبلغ إن كان قتلى على يد إخوانى فالحمد لله.

إنه يعكس الأصالة وطيب المعدن وتحمل البلاء وحقن الدماء، وحب

(١) المجتمع: العدد (١٥٥٧).

المسلمين حتى وإن كانوا من مخالفيه.. لقد كان يرحمه الله بعيدا كل البعد عن المجاملات وأنصاف الحلول، وكان إذا رأى الحق التزمه وإن غضب عليه الجميع، وإن سار ضد التيار، وإن كان وحده ضد الأمواج العاتية..

وبسبب اعتداله، وصلابته نأى بجماعته عن الكثير من الفتن والصراعات، وخطا بهم خطوات كبيرة فى المجال السياسى والاجتماعى والدعوى، حتى غدت «حمس» أصلب الحركات الإسلامية وأقواها وأرسخها قدمًا فى الجزائر، بل فى المغرب العربى كله.. رَحم الله محفوظًا وجعله فى أعلى الجنان بإذنه، وصبَّر محبيه وإخوانه على فراقه.

كلمة حب فى أخ حبيب: الأخ محفوظ نحناح(١)

بقلم: أ.د. عبد الحميد الغزالى

أعتذر للقارئ العزيز عن تأجيل الكتابة فى إحدى قضايانا الوطنية والعربية والإسلامية، هذا الأسبوع، لأكتب فى قضية ليست بعيدة عن هذه القضايا، وإن كانت تتسم، بشكل أكثر، بالنسبة لى، باعتبارات شخصية. إنها قضية رحيل أخى الحبيب الشيخ محفوظ نحناح، ولعذرنى القارئ العزيز إذا اهتز القلم، واضطربت الكلمة، واختلت العبارة، وتشتت الفكر أمام هذا المصاب الأليم والحدث الجلل. فبرحيل هذا الأخ الحبيب، فقدت الأمة الإسلامية واحداً ممن أحسبهم، ولا أزكى على الله أحداً، من أبرز رجالاتها، ومن أخلص دعاتها العاملين، ومن أصدق المجاهدين فى سبيل إعلاء كلمة الله، ومن أشد أبناء مدرسة الإخوان المسلمين تفانيًا والتزامًا.

ولا نملك أمام هذه المصيبة إلا أن نحمد الله تعالى، المحمود سبحانه دائمًا،ونسترجع، صابرين محتسبين، وندعو لفقيدنا الحبيب بواسع الرحمة وعظيم المغفرة، وأن ينزله الله تعالى مع الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقًا، وأن يخلف أمته وأهله بخير. ولا نقول إلا ما علمنا إياه رسولنا وقائدنا ﷺ:

(١) آفاق عربية: العدد (٦١٥)، الخميس الموافق ١٠ من جمادى الأولى ١٤٢٤هـ - ١٠ من يوليو ٢٠٠٣م.

«إن العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يُرضى ربنا، وإنا لفراقك يا محفوظ **«لمحزونون»** و«إنا لله وإنا إليه راجعون».

ولد الأخ محفوظ فى ٢٨يونيو عام ١٩٤٢م، بمدينة «البليدة» جنوب الجزائر العاصمة، فى أسرة محافظة. وتعلم فى المدرسة الإصلاحية التى أنشأتها الحركة الوطنية لتمثل رمز المقاومة والدفاع عن الذات العربية الإسلامية للجزائر فى وجه التغريب والاستعمار الفرنسى. وأكمل –رحمه الله– مراحل التعليم الابتدائية والثانوية والجامعية فى الجزائر. وشارك فى ثورة التحرير المباركة فى ريعان شبابه. وبدأ اشتغاله فى حقل الدعوة الإسلامية مبكرًا، ليشكل امتدادًا طبيعيًا للبشير الإبراهيمى والفضيل الورتلانى ومالك بن نبى، بواكير مدرسة الإمام الشهيد حسن البنا فى الأرض الجزائرية.

وكان، رحمه الله، من أشد معارضى التوجه الماركسى والتلون الفرانكفونى والمد الاشتراكى والفكر الشمولى. وفى عام ١٩٧٥م، اتُّهم، رحمه الله، بتدبير انقلاب ضد نظام الحكم (فى عهد الرئيس هوارى بومدين)، حيث كان من أبرز معارضى فرض النظام الاشتراكى بالقوة على المجتمع الجزائرى، باعتباره خياراً لا يتفق مع مقومات الشعب الجزائرى العربى المسلم، ودعا إلى ضرورة توسيع الحريات السياسية والاقتصادية، خلال المناقشات الشعبية لمشروع الميثاق الوطنى آنذاك. وبسبب ذلك، حُكم عليه بالسجن خمسة عشر عامًا. وكابن بار من أبناء مدرسة حسن البنا، اعتبر السجن فرصة ثمينة للاستزادة من العلم والدرس والتحصيل

من ناحية، وللدعوة بين رفاق السجن، الذين تحولوا على يديه إلى نماذج طيبة من ناحية أخرى. وبتولى الشاذلى بن جديد الحكم بعد وفاة بومدين، بدأت الجزائر تتخلى تدريجيًا عن التطبيق الاشتراكى. ونتيجة لذلك، أُفرج عن الأخ محفوظ عام ١٩٨٠م، بعد أن قضى أربع سنوات من مدة الحكم،وبعد خروجه من السجن، استمر، رحمه الله، فى نهجه الدعوى، فشارك فى تأسيس «رابطة الدعوة الإسلامية» لإيجاد مرجعية دينية للجزائريين تحفظهم من أى انحراف أو تغريب، وكانت برئاسة الشيخ أحمد سحنون. وفى عام ١٩٨١م، أسس، مع أخيه الشيخ محمد بوسليمانى (الذى اغتالته الجماعة المسلحة عام ١٩٩٤م)، جمعية الإرشاد والإصلاح، لتمثل جماعة الإخوان المسلمين بالجزائر. وعليه، تولى الأخ محفوظ مسئولية التنظيم بالجزائر (أى المراقب العام)، وكان نائبه الشهيد بوسليمانى.

ومع دخول التعددية الحزبية فى الجزائر، ومشاركةً فى العمل السياسى العلنى، حوّل الأخ محفوظ الجمعية إلى حزب سياسى، تم إنشاؤه فى ديسمبر ١٩٩٠م، تحت اسم «حركة المجتمع الإسلامى» (حماس).

وأشار، رحمه الله، وقتها إلى أن اختيار اسم الحزب، والإعلان عنه، كان بمناسبة الذكرى الثالثة للانتفاضة الفلسطينية. وانتُخب أول رئيس للحزب عام ١٩٩١م. ومع صدور قانون الأحزاب السياسية الجديد فى الجزائر عام ١٩٩٧م، والذى بموجبه تم منع تسمية الأحزاب بعبارات إسلامية، غيَّرَ، رحمه الله، هو وإخوانه، تسمية الحزب لتصبح «حركة مجتمع السلم» (حمس).

ولعل هذا يشير إلى حرفية الأخ محفوظ فى نحت المصطلحات التى تعكس فقه الواقع، وتجسده بدقة، وتتجاوب معه بحنكة وبصيرة، تحقيقا لغاية الدعوة إلى الله ووفقًا لثوابتها، ولا عجب فى ذلك، فلقد كان متمكنا من لغتنا الجميلة، ومحبًا لها، وشغل لسنوات مديرًا لمركز التعريب بالجامعة المركزية بالجزائر العاصمة. ومن المصطلحات التى اشتهر بها، مصطلح: «الشورقراطية» للمزاوجة بين الديمقراطية كمفهوم غربى والشورى كمبدأ إسلامى، أو بمعنى أصح لتنقية الديمقراطية إسلاميًا من نقائصها وشوائبها الغربية. ومنها «الشاقوريون» أو «الشاقوريست» لوصف متشددى «جبهة الإنقاذ» الذين كانوا يهددون الناس فى أوائل التسعينيات من القرن الماضى باستعمال الشواقير والسواطير. فلقد تبنى، رحمه الله، خطابًا مناوئًا للتطرف بشتى صوره، وكان يهاجم، بحق، التيار المتشدد فى الجبهة وغيرها من الجماعات الإسلامية. بل إن نحته للصورة الثانية من هذا المصطلح كان يعنى تأكيده أن التشدد «غريب» عن ثقافتنا وقيمنا وسلوكياتنا الإسلامية.

ومن أهم القضايا والقيم والطروحات التى ظل يدافع عنها الأخ محفوظ نحناح على مدى أكثر من ثلاثين عامًا: الشورى، والديمقراطية، والتطور، والتنمية، والأخذ بأسباب العلم، والتطور التقنى، والتطور المعلوماتى، والتسامح، والتعايش، والتواصل، والاحترام المتبادل، وحقوق الإنسان، ومشاركة المرأة فى مجالات الحياة العامة، وحقوق الأقليات، وحوار الحضارات، وتوسيع قاعدة الحكم، والتداول السلمى ([illegible]).

للسلطة، والحريات الشخصية والأساسية، والوسطية والقوام والاعتدال، وتجسير العلاقة بين الحاكم والمحكوم، ومحاربة الإرهاب، ومحاربة مظاهر الغلو فى الدين والحياة، ومعالجة الفقر، ومحاربة التهميش الاجتماعى، ومحاربة التغريب، ونشر الثقافة الإسلامية والتربية الإسلامية الصحيحة.

وعلى أساس الوسطية فى الفكر والاعتدال فى السلوك، ووفقًا للنهج الإسلامى الصحيح القائم على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، تمكنت حركة السلم بقيادة الأخ محفوظ من أن تشارك بقوة فى صيانة الدولة الجزائرية من الانهيار، وتدافع عن وجودها فى الداخل والخارج، وتقدم فى سبيل حماية واستعادة مؤسسات الدولة والحفاظ عليها الكثير من التضحيات، لعل أهمها اغتيال أكثر من (٥٠٠) أخ من أعضاء الحركة، على رأسهم الشهيد بوسليمانى. كما حددت الحركة مواقفها والتى تتسق تمامًا مع مواقف الجماعة الأم، بوضوح شديد من: الاشتراكية والعلمانية والجهوية والرأسمالية والعولمة والصهيونية، ومن قضايا الأمة الكبرى، وعلى رأسها: قضية فلسطين، وقضية أفغانستان، وقضية العراق، وقضية كشمير، وقضية الشيشان. كما اهتمت بضرورة تفعيل العمل العربى والإسلامى المشترك على جميع المسارات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية، وصولاً إلى وحدة الأمة المبتغاة أمام التكتلات الإقليمية والدولية المعاصرة.

ووفقًا لهذا الوضوح فى الفكر والسلوك، استطاعت الحركة، بعون الله وتوفيقه، وبقيادة الأخ محفوظ، أن تحقق إنجازات سياسية كبيرة، فلقد

ترشح الأخ محفوظ، رحمه الله، للانتخابات الرئاسية التى جرت فى الجزائر عام ١٩٩٥م وحصل على أكثر من ثلاثة ملايين صوت، واحتل بذلك المرتبة الثانية، حسب النتائج الرسمية المعلنة. كما احتلت الحركة المرتبة الثانية فى الانتخابات البرلمانية عام ١٩٩٧م وحصلت على (٧٠) مقعداً (أى نائباً) وشاركت فى تشكيل الحكومة آنذاك بسبع حقائب وزارية. كما تشارك بعدد (٣٨) نائباً برلمانياً وثلاث حقائب وزارية فى الحكومة الحالية (وفقاً لانتخابات ٢٠٠٢م). وكان الأخ محفوظ، رحمه الله، يرى أن المشاركة فى الحكم أولى وأجدى، لإحداث التغيير المطلوب والمأمول، من الانسحاب أو المعارضة. كما كان يدعو إلى التمييز الواضح بين ضرورة وجود الدولة وتقويتها وبين معارضتها والمطالبة بخلعها عند إساءتها، وأن خطأ الحكومة لا يمكن أن يعالجَ بحمل السلاح، كما كان يشدد على ضرورة تغليب المصلحة الوطنية على المصلحة الحزبية والشخصية. ولقد بينت الأيام وأثبتت الأحداث صدق هذه الآراء، والنظرة الثاقبة لصاحبها، عليه رحمة الله. كما أظهرت الأداء المتميز والمسئول لوزراء الإخوان ونوابهم فى البرلمانات والحكومات المتعاقبة.

ولقد التقيت بالأخ محفوظ أكثر من عشر مرات خلال الفترة من منتصف الثمانينيات من القرن الماضى وحتى عام ٢٠٠٠م، معظمها فى الجزائر، وبعضها فى السعودية، حيث كنت أعمل،وبعضها فى مصر، وكان أول لقاء لى معه فى «تبسه» عند انعقاد المؤتمر السنوى للفكر الإسلامى، والذى كانت تنظمه وتشرف عليه وزارة الأوقاف والشئون

الإسلامية الجزائرية (١٩٨٦م). وتبادلنا أطراف الحديث حول شئون وشجون أمتنا وأخبار جماعتنا. وكان رأيه، رحمه الله، سديداً ثاقباً حول التيارات التى كانت تموج بها الجزائر فى ذلك الوقت، ومنها جبهة الإنقاذ، والتى كان رئيسها، الأخ عباسى مدنى، مشاركًا فى المؤتمر.

ولا يمكن أن تتسع مساحة هذا المقال القصير لكى أعدد بعضًا من مناقب وخصال هذا الرجل الصادق فى دعوته، الصادق فى إخوته، الصادق فى حبه، فهى بحق كثيرة، كثيرة. ولكن قبل أن أذكر النزر اليسير منها، أود أن أسجل كلمات صادقة قالها فى حقه رئيس الجمهورية الجزائرية، قال: «ما من مشكلة ألمت بالجزائر إلا وكانت له فى حلها مساهمة، وما من قضية إلا وكان له فيها رأى، أو اتخذ فيها موقفاً نابعاً من حبه لوطنه». ولا يتأتى ذلك إلا من رجل تحلى فكراً وسلوكاً، كما ذكر الناطق باسم حركة السلم، «بالوسطية والاعتدال والتسامح».

خلال لقاءاتى معه، كنت أرى نموذجاً حقيقياً للرجال الذين تربوا وتخرجوا فى مدرسة حسن البنا. كنت أحس من أول وهلة بأننى أعرفه منذ زمن طويل، بل أكاد أشك أننا افترقنا لحظة. كنت أتذوق فى لقائنا رائحة ولون بل طعم الأخوة الحقة فى الله، وأستشعر فعلاً لا مجازاً المعنى الحقيقى والراقى للحب فى الله.

ولا عجب، فقد كنت أتذكره يومياً فى ورد الرابطة. كان رحمه الله هاشاً باشاً، لا تفارقه الابتسامة، يتحدث بأسلوب رشيق، ويحاور بشكل هادئ ممتع، لا يصخب ولا يجهل ولا يتطاول، ولا يتعالم ولا يتقعر. كنت

أنظر إليه وأقول فى نفسى: لقد علمنا الإمام الشهيد أركان بيعتنا العشرة وهى: «الفهم، والإخلاص، والعمل، والجهاد، والتضحية، والطاعة، والثبات، والتجرد، والأخوة، والثقة»، وهأنذا أرى أركان البيعة مجسدة، تمشى على رجلين، فى شخص هذا الأخ الحبيب.

فاللهم أسبغ عليه واسع رحمتك وعظيم مغفرتك وأسكنه الفردوس الأعلى، واخلفنا فى مصيبتنا بخير، و«إنا لله وإنا إليه راجعون».

ذكريات مع الفقيد وتأملات فى رحلته الدعوية(١)

بقلم: د. عصام العريان

رحم الله الفقيد الكريم وأجزل مثوبته وعوّض الجزائر والمسلمين جميعاً عنه خيراً، وخالص العزاء إلى أسرته الصغيرة، كما إلى حركة «حمس» بل إلى الحركة الإسلامية الجزائرية التى عرفته مجاهداً فيها منذ السبعينيات وحتى اللحظات الأخيرة فى حياته، كما إلى الجزائر جميعا التى كانت عروبتها وإسلاميتها همه الرئيس وشغله الشاغل.

عرفت الفقيد الراحل منذ منتصف السبعينيات فى القاهرة أثناء زيارته لها مع الشيخ راشد الغنوشى، حيث جاءا للتعرف وتوثيق الصلات بقيادة الإخوان، وكان واسطة التعارف الأخ الكريم مصطفى الطحان، أمين عام الاتحاد الإسلامى العالمى للمنظمات الطلابية، وكنت وقتها فى نهاية دراستى الجامعية بكلية طب قصر العينى بالقاهرة، وقد حسمنا أمرنا فى اختيار منهج العمل الإخوانى، ومن وقتها التقت الأرواح وتآلفت وتقاربت الأفكار وامتزجت، وإن حدث خلاف فى وجهات النظر فهو فى إطار الحب والود والتقدير والاحترام.

لقيته مراراً خارج الجزائر فى ندوات ومؤتمرات ولقاءات، إلا أننى لم أسعد بلقائه فى زيارتى الوحيدة واليتيمة للجزائر نظراً لضيق الوقت ولوجوده خارج البلاد.

---

(١) المجتمع: العدد (١٥٥٧).

كان آخر لقاء بيننا فى القاهرة العام الماضى فى زيارته الثانية لها بعد انقطاع لمدة تزيد على ٢٥ عاماً، وكان فى السيارة بالطريق أثناء توجهه إلى لقاء فى حزب التجمع اليسارى للقاء قياداته وكان لقاءً حميماً لأنه أول تقارب بيننا بعد أن غيبتنى الأسوار والمنع من الأسفار لمدة تزيد على ٨ سنوات.

تعرض محفوظ نحناح خلال العقد الأخير أو أكثر لحملة شديدة شوهت مواقفه، قادها «إسلاميون» اختلف معهم فى المواقف السياسية بسبب أحداث الجزائر الدامية.

اجتهد خلال مسيرته فنجح أحياناً، ولم يكن -رحمه الله- يدَّعى العصمة لاجتهاداته، واختلفت معه وناقشته بود فى بعض المواقف، أقرَّ بصواب ما ذهبت إليه مع كثيرين قليلاً وتمسك باختياراته رغم الخطر الشديد على حياته كثيراً.

كان قرار تأخر المشاركة السياسية من القرارات التى تسببت فى كثير من المشكلات التى عانى منها الإخوان فى الجزائر ولا يزالون، واعترف بخطأ هذا الاجتهاد بعد فوات الأوان.

تمسك باختياراته التى ثبت بعد ذلك صوابها كثيراً فى أهمية الحوار مع المتنفذين والممسكين بالقرار وعدم الدخول فى مواجهات دامية، وأدان العنف مبكراً، وكان بصيراً بأن هذا النهج سيؤدى إلى دمار وهلاك، وتمسك بموقفه الحاسم رغم لوم الكثيرين وهجوم الأصدقاء وتردد بعض الأحباء.

سعى إلى وحدة الحركة الإسلامية فى الجزائر، وكان ذلك من همومه، وتحمل الكثير فى سبيل تحقيق هذا الأمل، لكنه فشل فى تحقيق الحلم وكانت الظروف والملابسات والخلافات أكبر من أن تُحتوى.

ترشح لمنصب رئاسة الجمهورية رغم اعتراض الكثير وحصل على قرابة الـ ٢٥٪ من الأصوات، فرسَّخ صورته كرجل دولة فى الساحة العربية والدولية.

سعى للحوار دائماً ووُصِف بأنه رجل الحوار، وكان محبباً فى حديثه وخطابه، لبقاً فى حواراته، لا يصل إلى صدام أو قطيعة، بل يحافظ على شعرة معاوية، حتى مع ألد الخصوم.

تعرض للعنف المادى والمعنوى من خصومه الإسلاميين فى الجزائر خلال مسيرته، أثناء الحملات الانتخابية الأولى لانتخابات ١٩٩١م الشهيرة، ثم بعد الصدام الدامى، بل تعرض لمحاولات اغتيال هو ورفاق دربه أودت بحياة البعض ومن أشهرهم نائبه الشهيد محمد بوسليمانى، لكن ذلك لم يمنعه من مواصلة السير على الدرب والإصرار على الموقف الذى اختاره ضد العنف، عن يقين ومعرفة.

كانت مشاركة حركة «حمس» فى الحكومات التى شكلها العسكر من أكبر نقاط الضعف فى المسيرة السياسية التى قادها «نحناح»، لم يشارك بنفسه فى الوزارات، لكنه دفع بالشباب من أبناء الحركة لتولى المناصب الوزارية، وتحتاج تلك التجربة إلى وقفة لمراجعة شاملة لجرد

حساب المكاسب والخسائر، خاصة أن السلطة تصيب كل من يحتك بها برذاذها المتطاير.

كان حلمه الأكبر توحيد جناحى الحركة الإسلامية التى تنهج الاعتدال «حركة حمس» بقيادة نحناح رحمه الله، وحركة الشيخ عبدالله جاب الله، ولا يزال ذلك الحلم قابلاً للتحقيق إذا خلصت النوايا وصدق العزم، ذلك لأن الجزائر فى أمسِّ الحاجة إلى وحدة الصف الإسلامى وإزالة ما علق بالإسلاميين من اتهامات تسبب فيها بعض الغلاة الذين تشددوا وأفرطوا على أنفسهم وكفَّروا المسلمين واستباحوا الدم الحرام بغير علم ولا بيِّنة ولا برهان.

فى الوقت الذى يغيب فيه نحناح عن الساحة بعد مرض عضال، يخرج بعد قليل الشيخان عباسى مدنى وعلى بلحاج إلى ساحة العمل من جديد، فلعل جرح الجزائر الدامى يجد من يداوية من أطباء الحركة الإسلامية؛ سواء الذين سيخلفون نحناح فى مسيرة حركة مجتمع السلم أو شيوخ الجبهة الإسلامية للإنقاذ، الذين استفادوا خبرة بعد مسيرة حافلة بالدروس ولم يفرطوا فى تمسكهم بحقهم فى الدعوة السلمية إلى الإسلام، وتسبُّب البعض فى تشويه صورة حركتهم، ولعلهم بعد خروجهم إلى الحرية يسارعون إلى تصحيح الصورة والنأى بحركاتهم عن نزعات التكفير والعنف الأعمى، وإذا كانوا بسبب السجن ترفعوا عن إدانة صريحة لهذه النزعات التكفيرية، فهم اليوم أمام استحقاقات ضخمة لعلهم أهل لها حتى يعود إلى الجزائر السلم والأمن والهدوء، ويهتف جميع الشعب

الجزائرى من جديد مع ابن باديس الأب الروحى للحركة الإسلامية:

«شعب الجزائر مسلم

وإلى العروبة ينتمى»

كانت جنازة نحناح مهيبة بحق، حضرها أكثر من ٨٠ ألفًا يتقدمهم كبار رجال الدولة وبمراسيم رئاسية استثنائية، وشهد له الجميع، المنافسون والخصوم قبل رفاق دربه بالحنكة والخبرة والاعتدال والتسامح، وكما قيل قديمًا «بيننا وبينكم الجنائز»، ففى بلد يشهد أوضاعًا أمنية استثنائية وعقب كارثة الزلزال التى لا تزال تخيم على النفوس، يخرج عشرات الآلاف لتشييع رجل تجرد لدعوته وجاهد فى سبيل رفعة الجزائر المسلمة وهويتها الإسلامية ضد محاولات الفرنسة والتغريب وضد العنف الأعمى الذى شوَّه صورة الإسلام، فاحتفظ بالبوصلة فى أدق الظروف وأحلكها، هذه شهادة له من هذه الجموع وشفاعة له عند الله تعالى إن شاء الله.

ولن تعدم حركة «حمس» رجالات يقودون المسيرة ويرفعون اللواء ويواصلون العمل، فخالص العزاء لهم مرة أخرى، وخالص الأسف أن حيل بيننا وبين المشاركة فى الجنازة، وتقديم واجب العزاء. ورحم الله محفوظ نحناح رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جناته، وعوضنا عنه خيراً.

وفاة الشيخ محفوظ نحناح خسارة للإسلام والمسلمين[١]

محمد المهدى ولد محمد البشير

لقد رحل الشيخ الفاضل محفوظ نحناح رجل الأمة العالم الأديب والمفكر الإسلامى الأصيل ، والمؤمن الصادق فى إيمانه والمحاور البارع والسياسى الفذ ذو البصيرة النافذة والحكمة الراسخة والنظرة الصائبة والعقل المتقد فطنة وذكاء ، والقدرة الفائقة على الاستقطاب والجمع والتكوين والتربية والإرشاد ، والموازنة بين المصالح والمفاسد، واستشراف المستقبل ، والشجاعة فى اتخاذ القرارات الجريئة والصدع بكلمة الحق أمام الجميع ، بعيدا عن الأفعال المتسرعة والانجراف خلف العواطف والانفعالات وردود الأفعال، والصبر على الأذى والصفح عن الخصوم .

لقد أفل البدر المنير الذى كانت تزدان به سماء الجزائر منذ ستين سنة، وانطفأ القبس المتلألىء الذى طالما أنار الطريق للسالكين واهتدى به الحيارى وثاب إليه المؤمنون، ليقتبسوا منه الإيمان والعلم والتقى، وانهد الطود الشامخ الذى كان المسلمون يلوذون به إذا ما ادلهمت الخطوب ، ونضب المعين الثر الذى لا تكدره الدلاء - رغم كثرة الواردين - فى صمت حزين بالنسبة إلى من عرفوه، ولكنه سعيد بالنسبة إليه ؛ لأنه رحل إلى العالم الذى ظل يشد رحاله منذ ستين سنة ليصل إليه؛ وانتقل إلى

---

(١) موقع الراية: ٢٠/٦/٢٠٠٣م.

الدار التى أمضى حياته كلها يبنيها لبنة لبنة، دار الآخرة وعالم الخلود الذى أعده الغفور الودود لعباده المؤمنين .

لقد توفى الشيخ محفوظ نحناح والأمة الإسلامية تائهة فى بيداء مقفرة تلفها حناديس الظلام، وتتقاذفها أمواج متلاطمة فى ليل بهيم، وأعداؤها يتربصون بها الدوائر يحوكون المؤامرات للانقضاض عليها عند أول سانحة بسبب وبدون سبب، وهى فى أمس الحاجة إلى كل ربان حاذق ودليل ماهر من علمائها الربانيين ودعاتها المخلصين وساستها العقلاء المجربين، الذين لا تهزهم العواصف الهوجاء، ولا تفزعهم التحديات الجسام، ولا تستدرجهم الاستفزازات المغرضة، ولا تستخفهم المكائد الخبيثة إلى معارك مدمرة لقدرات الأمة - ماديا أومعنويا - ولا يستعجلون قطف الثمار قبل نضجها، أو يقدمون على عمل غير مدروس دراسة متأنية، أوتصرف لم تحسب نتائجه حسابا دقيقا، ويخطط له تخطيطا عميقا،لأنهم يهتدون بالوحى ومقاصد الشرع ويستنيرون بالعقل، ويعتبرون بالتاريخ وتجارب الأمم، وقد كان الشيخ محفوظ نحناح من هذا الطراز النفيس من الرجال العظماء، الذين بدؤوا يرحلون عن عالمنا منذ عقد من الزمن وكأنهم جواهر كانت منتظمة فى عقد فانفرط سمطه فتهاوت كالشهب .

لقد رحل الشيخ محفوظ نحناح البطل الأشم الذى كان الجهاد بالفكر والقلم والمال والنفس وظيفته، والطبيب النطاسى الذى وهب نفسه لعلاج المسلمين، والحرب لما تضع أوزارها، وجراح الأمة الإسلامية تنزف دما،

والمسجد الأقصى مازال أسيرا، وفلسطين الحبيبة مازالت سليبة، رغم أنه كان واحدا من أكبر من حملوا هم الأمة الإسلامية، وعملوا على تضميد جراحها ورد البسمة إلى شفتيها، لا لأنه ألقى السلاح اختيارا أو مل الجهاد والكفاح ولكنه لبى نداء الله وانتقل ليجنى ثمار عمله الصالح .

لقد أحببت الشيخ محفوظ نحناح حبا كبيرا وذرفت عليه من الدموع ما لم أذرفه على أحد من أهلى لأننى ألفيته – رغم مايقول شانئوه – رجلا من رجال الإسلام العظام ذا مناقب جليلة لا تحصى وشمائل جميلة، وعلم غزير، وعقل مستنير، وإيمان بالله قوى، وثقة بأن المستقبل للإسلام، وحنكة سياسية نادرة ويقظة عالية وحس مرهف وتواضع جم «وقد رأيته سنة ٢٠٠٠م يؤذن لصلاة الجمعة ويقدم غيره ليصلى مكانه»، واعتزاز كبير بانتمائه الحضارى، وغيرة شديدة على مقدسات الإسلام، وخاصة فلسطين التى كانت نقطة ارتكاز عمله وقطب تحركه .

وقد جعل مقر حركته مسجدا للعبادة والذكر، ومدرسة للعلم والفكر، وملاذا للفقراء والمحتاجين، ومنبرا للسياسة، حيث اختط لنفسه منهجا سياسيا متميزا قوامه الموازنة بين المصالح والمفاسد . وإذا كان الشيخ محفوظ نحناح قد توفى إلا أن النور الذى بثه قد استقر فى هذه الأرض، والغرس الذى زرعه قد استوى على سوقه، ولم تذهب جهوده سدى بل أثمرت جيلا جديدا يؤمن بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد عليه الصلاة والسلام نبيا ورسولا، وسيحمل الراية ويسير على الدرب ويحفظ العهد والوعد، ولن يضيع الأمانة أو يفرط فى الوديعة حتى يحقق الأهداف التى

بعث الرسول ﷺ لتحقيقها .

نم أيها الشيخ الجليل قرير العين، فبلاد الإسلام والمسلمين من طهران إلى وهران، ومن جاكرتا إلى شنقيط، تثنى عليك وتشهد لك بما قدمته للإسلام والمسلمين من خير عميم، والمسجد الأقصى وكل صقع يرفع فيه الأذان يناجى ربه فى ضراعة وابتهال أن يغفر لك ويتجاوز عنك ويدخلك جنة الفردوس مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا .

بالمغرب . . ثم الجزائر . . وعندما أنهيت معاملة الوصول وخرجت، وجدت الأخ محفوظ يستقبلني فاتحًا ذراعيه . . لا أنسى حرارة ذلك اللقاء وأهميته وفائدته .

ذهبنا فى سيارته الصغيرة الفولكس فاجن إلى بلدته (البليدة) وهى على مسافة ٥٠ كيلو مترًا إلى الجنوب من العاصمة الجزائر، وأقمت عنده فى بيت العائلة الواسع الكبير . . كل من يصادفك فى هذا البيت يؤكد فى ذهنك التدين والتواضع والخلق الحسن . فى طريقنا إلى أحد مساجد العاصمة الكبيرة، لنستمع إلى أحد الدروس التى يلقيها محفوظ فى العديد من مساجد العاصمة ومساجد البليدة . . هناك جلست أمام النهر المتدفق . . كلمات واعية . . وإيماءات واضحة . . وتوجيه سليم . . وإخوة شباب يلتفون حولنا يسألون الشيخ عن درسه . . وعما بعد الدرس .

واستغربت أن يكون مثل هذا الطرح الجرىء . . والأيام أيام (أبو مدين) . . والتوجه اشتراكى علمانى . . ويظهر أن شيخنا قرر أن يقول كلمة الحق واضحة، ويعتصم بالصبر مهما تكن النتائج .

— وذهبنا معًا إلى مسجد الطلبة فى الجامعة المركزية . . وكانت بداية التحول فى البلد كله . . فهى النواة التى تفرعت عنها جميع الاتجاهات الطلابية . . وانتقلت من العاصمة إلى المدن الأخرى . . ومن سكن الطلاب إلى التجمعات المهنية، فأصبح الطلاب أطباء ومهندسين ومحامين . . شغلوا معظم فراغ المجتمع المدنى .

الأخ محفوظ (رحمه الله) هو من ساهم فى فتح مسجد الجامعة، وهو

أول من أدى صلاة الجمعة فيه . . فى المسجد التقيت بالأخ الدكتور مصطفى براهما . . ربطتنى الرسائل معه منذ سنوات . . حتى كان لقائى به فى مسجد الجامعة . . زرنا سكن الجامعة . . وتحدث الأخ محفوظ وتحدثت بعده . . اللغة نفسها والروح والتوجه كذلك . .

فى زيارتنا للجامعة . . كانت الأوضاع والمظاهر بعيدة كل البعد عن الشكل الإسلامى . . لباس الطالبات . . حركاتهن مع زملائهن، وهن رائحات غاديات أو جالسات على المقاعد أو مستلقيات فى الحدائق . . سألته : الأوضاع صعبة ياشيخنا . . أجابنى : ولتعلمن نبأه بعد حين .

— اصطحبنى الأخ محفوظ إلى لقاء حميم . . جميع قادة العمل الإسلامى من مختلف الاتجاهات : الإخوانية والسلفية والإنقاذية والجزأرة والصوفية وغيرها كانوا فى هذا اللقاء .

لقاء هؤلاء أمر طبيعى . . وخلافاتهم مفتعلة . . كلفت الدعوة والدعاة كثيرًا من العناء والإرهاب والخسائر التى لا تقدر بثمن . لو اقتصر أعداء الإسلام على إيغار صدور الإسلاميين بعضهم على بعض لكفاهم . . فهو الأمر الذى ينهك العمل الإسلامى ويدمر الدعوة والدعاة . .

لا أنسى أبدًا الزفرات الحَرى التى كان يطلقها أخونا محفوظ حزنًا على رفيق دربه رئيس جمعية الإرشاد والإصلاح الشيخ محمد بوسليمانى، عندما سقط برصاصات على يد بعض الإسلاميين عام ١٩٩٤م .

واستغربت الأمر . . فلم يكن يدور فى فكرى أن الأخ يمكن أن يقتل

رحيل الأستاذ محفوظ نحناح[1]

بقلم : مصطفى محمد الطحان

منذ سنة تقريبًا.. والأستاذ الفاضل محفوظ النحناح يصارع المرض الخطير الذى استقر فى دمه وعظامه..

المرض الذى وصفه الشاعر المتنبى بقوله :

وزائرتى كـــأن بهـــا حـــيــاء
فـــلـــيــس تـــزور إلا فـــى الـــظـــلام
فـــرشت لهـــا المطارف والحـــشـــايا
فـــعـــافـــتـــهـــا وباتت فى عظام

كان يصارع المرض بالنشاط والحركة.. وفى بعض الأحيان تتغلب عليه آلامه.. فتهدأ حركته ولا يشكو.. وكيف يشكو من أصبح مسئولا عن حركة ؟!

كنت معه فى أنقرة.. وكان معنا ثلة من رجال الفكر والسياسة، كان يخرج من الندوة .. ويغيب أحيانًا ثم يعود.. كنت أستغرب الأمر.. وبعد أكثر من سنة أخبرنى بأن الآلام كانت تضطره إلى مثل هذا الخروج..

(١) آفاق عربية: العدد (٦١٥)، الخميس الموافق ١٠ من جمادى الأولى ١٤٢٤-١٠من يوليو ٢٠٠٣م، والمجتمع: العدد (١٥٥٨) .بعنوان :أوراق ذكريات مع محفوظ نحناح.

حتى لا يلاحظ ذلك أحد .

وأخيراً جاءنا نعيه على لسان الناطق الرسمى باسم الحركة الأستاذ سليمان شنين، فقد نعى إلى العالم الإسلامى والعربى وفاة الشيخ محفوظ النحاح رجل الوسطية والاعتدال والتسامح.. مشيراً إلى أن رحيل رئيس حركة مجتمع السلم سيترك فراغًا كبيراً على المستويين الوطنى والدولى، فهو يتولى منذ العام ١٩٨١م منصب مسئول تنظيم الإخوان المسلمين فى الجزائر .

وكان عاد إلى الجزائر الأسبوع الماضى بعد ثلاثة شهور من العلاج من فرنسا، فقد تأكد الأطباء استحالة شفائه من مرض سرطان الدم الذى تمكن منه.. فأراد هو وأراد إخوانه أن يموت فى بلده.. بين أهله وأسرته.. وبين إخوانه الذين أحبهم وأحبوه .

وأجدنى – وأنا أقف أمام هذا الحدث الجلل – أقلب أوراق الذكريات الغالية مع الأخ محفوظ النحناح.

– التقيته أول مرة عام ١٩٧٢م فى إطار لقاء الندوة العالمية للشباب الإسلامى فى الرياض ..شابا فى الثلاثين .. كل مافيه ينطق: لسانه ورأسه ويداه.. ومنذ كنت وحتى اليوم عندما أحضر لقاءً مثل هذا، أتفرس فى وجوه القوم، وأختار واحداً أو أكثر ممن تظهر عليهم علامات الوعى والحركية والتفاؤل..فأصل أسبابى بأسبابه.

– فى عام ١٩٧٣م كنت فى زيارة إلى الشمال الإفريقى بدأتها

أخاه.. وسألت الأخ محفوظ: وهل أنت متأكد أنهم الذين قتلوه ؟

وقال والألم يعتصره: نعم نعرفهم باسمائهم.. وليس الأمر أمر شهيد واحد بل عشرات.. ونحن نصبر ونحتسب فلا نريد أن نشمت بنا الأعداء.

فى هذه السنوات كنت أزور الجزائر مرة فى السنة على الأقل وأستمتع بصحبة وأفكار وأنشطة أخينا محفوظ.. وفى مرة زرنا معًا القاهرة وكنا على موعد مع رجالات الدعوة الذين خرجوا لتوهم من غياهب السجون التى قضوا فيها ما يزيد على عشرين سنة على يد طاغية آخر من طغاة بلادنا.. كانت سعادة الجميع بادية على وجوههم.

الشيوخ سعداء بأن الدعوة التى رعوها ودفعوا أثمانًا باهظة من حياة إخوانهم.. ومن سنوات نفيهم إلى الصحارى فى معتقلات الأنظمة.. قد أثمرت فى العديد من البلدان.. والشباب كانوا سعداء فما أعظم أن يلتقى شباب مثلنا مع قيادات شامخة كنا ندرس فكرهم ونتتلمذ على كتبهم.. نتأسى بصبرهم وثباتهم.

ما أجمل أن تتضام السواقى مع النهر المتدفق لتشكل جميعًا تيارًا عريضًا.. يزداد اتساعًا وعمقًا مع الأيام.

– عام ١٩٧٥م وبعد مناقشة الميثاق الوطنى.. تم اعتقال الشيخ محفوظ النحناح والحكم عليه ١٥ سنة بعد نشره بيانًا بعنوان: إلى أين يابو مدين؟

ليس محفوظ النحناح وحده الذى حوكم وحكم عليه ظلمًا وعدوانًا.. بل الأمة كلها باستثناء الطغاة (أو السوبر باشوات) كما ساهم الكاتب حسين مؤنس.. دخلوا السجن الصغير.. أو السجن الكبير.. وليس أضر بالشعوب من إخافة الناس، وتهديد أمنهم وإهانتهم، وإهدار كرامتهم، وخاصة إذا كان ذلك كله على يد أولياء الأمر، لأن الشعب يتربى بالقدوة، ويتعلم بالمثل الصالح، فإذا كانت القدوة سيئة.. كانت البلية بلا حدود.

كان لابد من زيارة الحبيب فى سجنه.. وسافرت إلى الجزائر.. ولظروف خاصة لم أستطع الوصول إلى أخينا.. المهم أنى قمت بما أستطيع، ولا يكلف الله نفسًا إلا وسعها.

ما أظلم هذه الأنظمة عندما تمنع الغرباء أن يتبادلوا التحية والمحبة!

ومات بومدين.. وقام استفتاء شعبى على الدستور الجديد فى شباط (فبراير) ١٩٨٩م.. وبإقرار الدستور ألغيت حقبة كاملة من تاريخ الجزائر بكل مكوناتها الاشتراكية والعلمانية والديكتاتورية.. وكان هذا التاريخ يمثل ميلاد الجمهورية الثانية ونهاية احتكار حزب جبهة التحرير الوطنى للسلطة لمدة ٢٧ سنة.

فى هذه الأجواء.. استعاد المسجد دوره.. وظهرت الحركة الإسلامية قوية تهيمن على الشارع.. وأفرج عن الشيخ محفوظ بعد قضائه ٥ سنوات فى السجن.

- فى مارس ١٩٨٩ أنشأ عباسى مدنى الجبهة الإسلامية للإنقاذ، وظهرت جمعية الإرشاد والإصلاح بقيادة الشيخ محمد بوسليمانى وحركة مجتمع السلم (حمس) بقيادة الأستاذ محفوظ نحناح.. وهى الفرع الجزائرى للإخوان المسلمين.

واختلطت الأمور.. جبهة الإنقاذ تفوز فى الانتخابات البلدية..وفى المرحلة الأولى من الانتخابات البرلمانية.. وكثرت التصريحات التى تعتبر الديمقراطية كفراً.. والتى تهاجم رئيس الدولة الذى فتح صفحة الحريات..فاغتنمها الجيش فرصة فبطش بالجبهة وزعمائها..

قالوا إن المحنة تكون فى الضراء وهى أسهل.. وتكون فى السراء وهى أصعب، وكذلك كانت محنة الإسلاميين فى الجزائر.. واستطاع الأستاذ محفوظ نحناح أن يتخذ له طريقًا وسطًا.. كان كمن يمشى على سلك مشدود.. الجيش يخشاه والإنقاذيون يتهمونه..ومع ذلك فقد سار فى الطريق الصعب.. لينقذ إخوانه وينقذ الحركة التى كانت الرقم الأهم فى كل الظروف.

لقيته فى طرابلس الغرب عام ١٩٩٠م.. وكان الاجتماع الذى حضرته وفود من أنحاء العالم العربى لمناقشة قضية الاحتلال العراقى لدولة الكويت.. كانت معظم الأصوات تؤيد العراق.. وقليل منها كان مع حق الكويت وحرية أبنائه. ورأيته يزأر كالأسد ويقول: كلكم مهتم بحفظ ماء وجه صدام.. ولا أرى أحداً يهتم بدماء أهل الكويت!

هكذا كانت مواقفه عفة نظيفة شريفة..مثل أخلاقه العالية الرفيعة.

وترشح الأخ محفوظ النحناح للانتخابات الرئاسية التى أُجريت بالجزائر فى نوفمبر ١٩٩٥م، وفاز بالمركز الثانى بعد حصوله على ٣ ملايين صوت حسب النتائج الرسمية المعلنة.

كتبت للأخ محفوظ يوم حصل على المركز الثاني.. وقلت له: إن هذا الذى حصل يدل على أن الإسلاميين على اختلافهم بدأوا يتجمعون.. وكان هذا بفضل سياسة النفس الطويل والصبر الجميل الذى قمت به.. وهذا الـ ٢٥٪ من الأصوات التى حصلت عليها تساوى النصر، فـ٢٥٪ من الأصوات المعارضة أقوى وأهم من ٩٠٪ مما يحصل عليه قادة بلادنا زوراً وبهتاناً.

وتمكنت الحركة التى يرأسها الأخ محفوظ النحناح من تحقيق مكاسب سياسية كبيرة، حيث شاركت بسبع حقائب وزارية فى الحكومة السياسية.

وكان للأخ محفوظ النحناح دور كبير فى نبذ العنف والإرهاب وإدانته، وكرّس مشواره الدعوى منذ أكثر من ثلاثة عقود فى الدفاع عن العقيدة الصحيحة، وقيم الوسطية والاعتدال.

كان اللقاء الأخير فى استنابول فى تموز (يوليو) ٢٠٠٢م، حيث جاء إلى استنابول مع أسرته لقضاء فترة نقاهة بعد آلام مبرحة ومعالجات طالت.. لم أعرف يومها ذلك.. فقد كانت صلابة المجاهد تغلب عليه.. خاصة عندما يتعلق الأمر بشخصه.

– وإنى ياشيخنا محفوظ محزون لفراقك.. ولا نقول إلا ما يرضى الله.

وأنتم يا إخوان محفوظ فى الجزائر وخارجها.. اذكروا أخاكم بدعوة صالحة وليس عندى ما أضيف الآن غير قولة المتنبى:

طوى الجـــزيرة حـــتى جـــاءنى خـــبـــر

فـــزعت فـــيــــه بآمـــالى إلى الكذب

والحمد لله رب العالمين.

وفاة الابتسامة الجزائرية(١)

الأستاذ: ناصر يحيى

فى عام ١٩٨١م، خرب زلزال مدمر مدينة الأصنام الجزائرية- هكذا اسمها- ودفن المدينة والناس تحت الأنقاض.. وفى سجن المدينة كان هناك سجين فى زنزانة انفرادية يدعى (محفوظ نحناح) محكوم عليه بالسجن ١٥ عاماً منذ ١٩٧٦م، لأنه شارك فى إصدار بيان ضد بعض سياسات نظام الرئيس الجزائرى السابق (هوارى بومدين)!

وفيما بعد تذكر (نحناح) تلك اللحظات- وهو فى زنزانته الانفرادية- وكيف كانت الأرض تهتز تحت أقدام السجناء، والجدران تتهوى، والأرض تتمايل تحتهم.. بينما كان هناك رجل راح يستقبل القبلة ويصلى.. والأصوات تتعالى فى المكان بالتكبير والتهليل!

خمس سنوات قضاها (محفوظ النحناح) فى السجن ١٩٧٦م- ١٩٨١م، بعد محاكمة شكلية، لكنه فى أول حوار صحفى معه مع مجلة (المجتمع) الكويتية فى يناير ١٩٨٢م، لم يتردد أن يعلن رؤية متسامحة تجاه الذين اعتقلوه، وفى رؤية استشرافية للمخاطر التى قد تتعرض لها الحركة الإسلامية فى الجزائر، أكد الرجل الخارج من ظلمات السجون اهتمامه وحرصه على ألا تتورط الدعوة الإسلامية فى الجزائر، فى أخطاء

(١) مؤسسة الناس للصحافة / الجمهورية اليمنية.

تنعكس عليها بالضرر! مؤكداً على ضرورة مراعاة سنن التغيير واستيعاب صيغة المرحلة الجديدة التى شهدتها الجزائر مع بداية الثمانينات فى مستهل عهد الرئيس (الشاذلى بن جديد).

لقد تعمدت أن أبدأ كلمات الرثاء هذه فى حق الأستاذ/ محفوظ النحناح بهذا الشكل لكى نعرف أن الخط الدعوى له الذى ظل ملتزما به حتى وفاته لم يكن طارئا ولا مكايدة، ولا مجرد انتهاز فرصة لوراثة الآخرين، بل هو خط أصيل وفهم شرعى لدور الحركة الإسلامية الراشدة فى إصلاح المجتمع وتقويم ما فيه من اختلالات بالحسنى، ومراعاة الأولويات،وتقديم الأهم على المهم، والتفاعل مع سنة التغيير لا معارضتها.

قرأت عن (النحناح) منذ حادثة الزلزال، وسمعت عنه من الأستاذ/ محمد ناصر بابريك الذى زاره فى الجزائر فى ذروة زمن الصحوة الإسلامية قبيل مرحلة الفتنة التى بدأت بأحداث ٦ أكتوبر ١٩٨٨م، ومازالت فصولها الأخيرة– ربما – مستمرة حتى الآن! آنذاك كان (نحناح) هو أحد أبرز رجال الحركة الإسلامية، يحاضر فيجتمع لسماعه عشرات الآلاف.. ويزور المدن فيستقبله أحبابه وأنصاره خارج المدن كما يستقبل رؤساء الدول. وشاء الله تعالى أن ألتقى به فى أكتوبر ١٩٩٦م، فى العاصمة التركية (أنقرة)، وقرأت له عدداً من الحوارات الفكرية والسياسية ثم كانت خاتمة المطاف مشاهدة الحوار الهام الذى أجرته معه قناة (المنار) اللبنانية فى نهاية العام الماضى وأعادت بثه الثلاثاء الفائت بمناسبة وفاته. ولست أبالغ إن قلت إن شخصية (محفوظ النحناح) نادرة بكل معانى

الكلمة، فرغم دوره الدعوى الهام فى الجزائر لم تفارقه أبداً صفة التواضع، فالذى يراه لا يصدق أن هذا الرجل؛ الذى يحرص على الجلوس فى الصفوف الخلفية أو يجلس إلى مائدة منزوية بعيداً عن المنصة أو حتى الموائد الأمامية، لا يصدق أن هذا الرجل كان منافساً حقيقياً فى انتخابات الرئاسة الجزائرية.. وأنه لولا التزوير لكان الفائز –ربما– بمنصب الرئاسة. اقتربت منه فى مناسبات رسمية وفى حالات إنسانية اعتيادية فلم أشعر إلا أنه هو هو! ينصت باهتمام للمتحدثين وكأنه تلميذ يستمع لمعلم، ويتحدث لمن هم فى سن تلاميذه بجدية واهتمام ويبسط أمامهم آراءه ومواقفه فى أخطر القضايا الجزائرية وكأنه يتحدث فى مجمع الخالدين، أو أمام نخبة من عظماء السياسة والعلم. بعد حوار صحفى أجريته معه سألنى بتواضع عن رأيى فى قيامه بزيارة لليمن وما مدى مناسبة ذلك! وأعترف أننى جبنت لحظتها وخشيت أن يواجه مواقف لم تكن قادرة على تفهم حقيقة الرجل ومواقفه ولاسيما أن تلك الفترة كانت تشهد أحداثًا مأساوية فى الجزائر فى مسلسل الفتنة الدموية! وفى مقابل مخاوفى كان الرجل مليئًا بالثقة بسلامة اجتهاده فى التعامل مع الأزمة التى خربت بلاده وتقبل ترددى بابتسامة.

عندما التقاه الأستاذ إبراهيم نافع رئيس تحرير الأهرام المصرية واستمع إليه كتب يقول: إن (محفوظ نحناح) هو أكثر شخص يعرف حقيقة ما جرى ويجرى فى الجزائر، ورغم هذه الشهادة فإن الرجل ظلم كثيراً خارج وطنه، ولم يسلم من العنت فى الداخل، فالفتنة التى ضربت الجزائر كانت

بحاجة إلى روح شفافة وعقل راجح وقلب جسور لمعرفة علامات مقدمها. وقديما قالوا: (الفتنة إذا أقبلت عرفها كل عالم وإذا أدبرت عرفها كل جاهل)! و(نحناح) كان من القلة التى رأت الفتنة ودمارها قبل حلولها، لم يتردد أن يصرح بطريقته المحببة اللطيفة فى التعبير المركّز –أن مشكلة الجزائر سببها: التعجل والترهل، أى (تعجل) جبهة الإنقاذ فى قطف الثمرة و(ترهل) جبهة التحرير الحاكمة التى ترفض أن ترحل بهدوء!

وثمة مفارقات تتصل بنهج الفقيد، فالجزائريون مشهور عنهم أنهم شعب عنيف وطالما سمعت قصصا عنهم، ويبدو أن (سنوات الجمر) أيام الاستعمار الفرنسى الغشوم ثم تلتها مراحل كانت ثمرة مرة لسنوات الجمر قد طبعت النفسية الجزائرية بالحدة والقسوة! وأذكر أننى اشتبكت فى جدال عنيف مع السفير الجزائرى السابق فى صنعاء (الشاذلى بن حديد) – رحمه الله – ونحن نتناقش فى يوم ما داخل السفارة الجزائرية حول الأزمة الجزائرية! وكان الرجل، رغم سنه الكبير وطبيعة عمله الدبلوماسى، حاداً وعنيفاً فى نقاشه وهجومه على الإسلاميين كلهم دون تمييز، فالرجل كان من أنصار عهد (بومدين)، وحتى (نحناح) لم يكن يعرفه! فعندما أردت تخفيف غلوائه ضد الإسلاميين حكيت له عن (نحناح) الزعيم الإسلامى الذى سأله صحفى فرنسى عن (الجنرال زروال) فعاجله الإجابة أن صفته (الرئيس زروال) ولم أحس أنه يعرفه أو حتى يبدى اهتماماً جاداً للسؤال عن هذا الإسلامى الذى ظل حتى الموت يردد أن بقاء (الدولة) فى الجزائر مهمة مقدسة، وأن المسلم لا يجوز له أن يرى بلاده تتمزق ودولته تنهار وهو لا يصنع شيئًا تجاه ذلك!

والمفارقة هنا أن (نحناح) كان لطيفا، لينا، يتحدث فى أخطر القضايا والابتسامة تعلو وجهه، لا يستفزه سؤال ولا يخرجه عن طوره اتهام مغرض، وابتسامته ليست صناعة سياسية بل انعكاس لروحه المرحة التى كانت تجعله قادراً على التعبير عن أفكاره بكلمات قليلة أو بمصطلحات (نحناحية) ظريفة إن صح القول، فمشكلة الجزائر عنده ليست فى (النصوص) ولكن فى (اللصوص)، والفرانكفونيون يريدون للجزائريين أن يكونوا (باريسيين) نسبة إلى (باريس)، والإسلاميون والوطنيون والقوميون يريدونهم أن يكونوا (باديسيين) نسبة إلى ابن باديس باعث النهضة الجزائرية! وعندما خاض الانتخابات الرئاسية جعل من ضمن دعاياته الانتخابية صورة له وهو يحمل وردة جميلة يقدمها للناخب رمزاً للسلام والوداعة التى يحتاجها الجزائريون!

وليس سراً أن الرجل تحمل الكثير من عنت الاتهامات والتجريحات ضد شخصه ومواقفه من الأزمة الجزائرية، فلم يكن صاحب أوهام، وامتلك شجاعة اتخاذ مواقف صعبة، ربما لم تكن مقبولة شعبيًا بمقياس الآمال ولكنها كانت صحيحة بحقائق الواقع الجزائرى الذى كان خبيراً به. وأثبتت الأيام صحة اجتهادات (نحناح)، فكل فرقاء السياسة الجزائرية الذين شطت بهم المواقف والآراء عادوا فى الأخير – على الأقل معظمهم – إلى المربع نفسه الذى وقف عليه (نحناح) منذ البداية، سواء فى التعامل مع السلطة الجديدة ورموزها بعد إلغاء الانتخابات التشريعية أو فى المشاركة فى العملية السياسية كالانتخابات التشريعية والبلدية والرئاسية،

أو المشاركة فى الحكومة كوسائل لتخفيف الاحتقان فى المجتمع الجزائرى، والمحافظة على كيان الدولة من الانهيار..

وهو فى كل مرحلة لم يتردد فى انتقاد الأخطاء بأسلوبه المهذب سواء أكانت من السلطة أو المعارضة المسلحة أو المعارضة التى تمثلها الأحزاب السياسية الأخرى! بحسب (نحناح) أنه كان رجل بناء حركة دعوية ونهج فكرى وتوجه سياسى سلمى، فهو من نوعية الرجال الذين يؤسسون فيعمقون، ويبنون فيرفعون عاليًا، ويعيشون بين الناس فيحيون أرواحهم وقلوبهم، ويواريهم الثرى فتظل ذكراهم مشاعل نور تهدى فى الظلمات ونسائم عطر وأنداء تستروحها النفوس كلما اشتد القيظ وجفت الأرواح وأجدبت القلوب. بحسب (محفوظ النحناح) أن له من اسمه نصيبا فقد حفظ الله به وبإخوانه فى (حماس ثم حمس) ثمار الصحوة الإسلامية التى كادت تفنيها الفتنة العمياء فى الجزائر، ومهما يكن إيقاع الصحوة قد تراجع أو خفت صوته قليلا إلا أن القائم الآن يستند إلى أساس قويم راشد يبقى بإذن الله لأنه ينفع الناس فى دنياهم وأخراهم. رحمه الله، وأجزل مثوبته، وتقبله فى الصالحين وعوض الجزائر والأمة عنه خيراً.

الشيخ محفوظ نحناح كما عرفته[١]

نذير مصمودى

من آلاء الله على هذا الرجل الذى انتقل إلى جوار ربه يوم الخميس ١٩/٦/٢٠٠٣م، أنه قضى أكثر من ربع قرن من عمره مشتغلاً بالمحاماة عن الإسلام بأسلوب مجرد وعرض لطيف بعيداً عن الردع والقوة والإكراه.. فكان صورة رائعة للحق والخلق، والعبادة والمعاملة.

دخل السجن عام ١٩٧٥م، فى عهد الرئيس الأسبق هوارى بومدين، بعد أن أعلن معارضته للتوجه الماركسى والمد الاشتراكى، وحكم عليه بـ ١٥ سنة، قضى منها أربع سنوات مع بعض إخوانه، ثم خرج وفيًا لدعوته التى استأنفها بقوة ونشاط، وكأن السجن أكسبه مناعة ضد التراجع عن الحق، وأعطاه حيوية تستثير الإعجاب، فكان يتنقل بين المدن والقوى والمساجد يلقى الناس بآرائه وأفكاره ولا يبالى أن يناقشوه ويناقشهم حتى يستبين وجه الحق.

تعرفت إليه عام ١٩٨٩م، وهو فى قمة النشاط والحيوية بعد محاضرة ألقاها بالمسجد الكبير بمدينة بسكرة جنوب الجزائر، حيث كنت قد بدأت الدعوة إلى الله عن طريق الخطابة.

---

(١) المجتمع العدد (١٥٥٧).

أغرانى بالتعرف إليه أسلوبه اللطيف فى تعريف الناس بدينهم، وفك آصارهم النفسية والاجتماعية بشرعه، لقد كان زكى الفؤاد، عالى المروءة، ظاهر العفة، صادق الإخلاص فى النصح للأمة، وإرشاد الحكام.

وكان من صفاته:

التقى والذكاء:

كان محفوظ نحناح عليه رحمة الله ذكيًا فى فهم الإسلام، وتقدير منازل الرجال والإفادة من الإمكانات والوسائل المتاحة لبلوغ الغايات الكبرى، أيده فى ذلك جنان نقى تقى، جنّبه الطمع والتطلع إلى المناصب الكبرى والأغراض الدنيئة التى كان يحاربها بصرامة وغضب، اختار لنفسه ولإخوانه من أول الطريق ألا يكون مثار فتنة، أو مصدر رذيلة، أو نواة لفوضى.

كان يحدثنا عن هذه الأمور بدقة ووضوح، فيمحو ما يفهمه البعض عن الدعوة من أنها متعة ومجد، كان يقول: إن الدعوة إلى الله مسئولية دحة لا يتعرض لها فيفرط فيها إلا أحمق سيىء الظن بالله.

لقد كان رجلاً من صميم الأمة يطلب منا أن نعينه على الحق وأن نمنعه من الباطل، وبعد أن شارك بعض أبناء الحركة فى السلطة عن طريق «الوزارة» كان يوصيهم بتقوى الله، ويرى أن السلطة المخولة لهم هى سياج للمصالح العامة، لا مصيدة للمنافع الخاصة، ولا باب إلى البطر والطغيان،

وذلك هو أدب الإسلام.

عرض علىَّ مرة الاستوزار أى أن أكون وزيرًا ورفضت لأسباب ذكرتها له، فكاد يختنق من شدة البكاء وهو يقول: عاش من عرف قدر نفسه.

الدين والدنيا:

كان يرى أن البراعة فى الشئون المدنية والمعارف الكونية والعلوم الحديثة، ضرورة ملحَّة لبناء الأمة، وإقامة الحضارة، بل كان يراها فرائض مؤكدة أسبق فى حياة المسلم من نوافل الأذكار والقراءات.

ولأنه كان جريئًا فى توضيح هذه الفكرة، فقد تعرض لحملات شنيعة قادها ضده بعض الجاهلين الذين رأوا فيها خيانة للثقافة الإسلامية السائدة، وطعنة نافذة إلى صميم الإسلام!.

حدثته مرة فى هذا الموضوع راجيًا منه تخفيف الوطء فى إقلاق بعض الجهلة، قال وعلى وجهه مسحة من حزن: إن الذين تشغلهم النوافل عن إتقان صناعة أو زراعة أو تجارة أو علم لا يستحقون الاحترام، والذين تزداد خبراتهم بفنون الحياة المختلفة إنما يتجاوبون مع منطق دينهم، «ونحن نريد بناء حياتنا على قواعد رسالتنا العتيدة».

الوسطية والاعتدال

عندما عزمنا على تأسيس حركة المجتمع الإسلامى (١٩٩١م) فى أجواء سياسية وأمنية متدهورة يسودها التناقض والاستقطاب، كان رضى

الله عنه، حريصًا على إقناعنا بضرورة تأسيس حزب سياسي معتدل يعيد الأمل للناس في الإصلاح، ويحفظ التوازن المطلوب كي لا تتعرض الدولة إلى التفكك.

ومازلت أذكر الحوار الطويل الذي دار بينه وبين الأستاذ أبو جرة سلطاني حول الأدوات والوسائل والأفكار التي ستستعملها الحركة الناشئة للتعبير عن نفسها، وجدوى الفائدة التي ستحققها من رعايتها لدين الله ولدنيا الناس معًا.. فتحدث الشيخ محفوظ يومها بإسهاب عن الوسطية والواقعية والمرحلية، وتحدث عن الوسائل التي بلغت بها الأمم والشعوب مستويات إنسانية راقية في تنظيم العلاقات بين الشعوب والحكام، تنظيمًا يمنع الظلم، ويوصد الأبواب في وجه الاستبداد والطغيان. وتناقشنا كثيرًا حول الشورى والديمقراطية، ولم يكن بعضنا يرى الأخذ بالديمقراطية طريقًا صحيحًا على اعتبارها «دخيلة» لا «أصيلة»، لكن الشيخ محفوظ كان مصرًا على الاستفادة من جو الحرية المتاح آنذاك، والتميز عن باقي الأحزاب السياسية الموجودة، ومصرًا على الانتفاع بتجارب الآخرين في هذا المجال، ولذلك لم ير مانعًا من الاستفادة من النصوص الدستورية التي وصلت إليها الأمم الراقية شريطة أن تتفق مع القواعد والنصوص الإسلامية، وأن تكون طيعة للتشكل في القوالب التي تنسجم مع روحنا ومزاجنا.

ومع بداية ظهور العمل المسلح في الجزائر ١٩٩٢م، كان ضائقًا بهذا العمل، وكارهًا لهذا التوجه مهما كانت الأسباب، وراغبًا في علاقة أهدأ

وأعقل بين كل الأطراف، ولذلك سعى ما وسعه الجهد في الإصلاح وتهدئة الأعصاب وردم فجوات حالات «النقيض» التي برزت بين الأطراف المتناحرة.

استشرته مرة في لقاء الأستاذ عباسي مدني – حفظه الله ورعاه – لإبلاغه بوجهة نظرنا فيما يدور في الساحة آنذاك، فرحب بالفكرة وشجع عليها، ودعا لي بالتوفيق، غير أن قوى شاذة حالت بيننا وبين إقناع الأستاذ عباسي مدني بفكرته «الوسطية».

على كل حال، كان الشيخ محفوظ لا يرى أن يحرم الإنسان حق الحياة والأمان والعدالة بسبب رأيه، مهما كان مخالفًا، وكان على درجة كبيرة من الحساسية برسالته وتبعات الإصلاح الملقاة على كاهله، ولذلك كان يشعر كأنه المعنى عند كل نداء، والمطلوب عند كل نجدة.

التجرد والعفة والوفاء:

بتُّ معه ليلة في بيته عام ١٩٩٠م، فقضى ليله موصول القلب بربه، ذاكرًا ومصليًا في خشوع، وبعد أن صلينا الفجر، تألقت آماله العذبة في وميض عيونه وقطوب جبينه، فحدثني برجولة ناضجة حية عن آماله في أن تعيد الأمة ثقتها بالله، وأن تستعيد دورها الحضاري في البناء والريادة الروحية، ثم حدثني عن ثورة التحرير (١٩٥٦–١٩٦٢م) وعن الفئات النقية التقية من الشعب الجزائري التي حاربت فرنسا القوية ببأسها وحديدها.. قال: لقد حاربوا فرنسا بأخف الأسلحة وأردئها.. فمن كان

وراءهم؟ من أيدهم بنصره؟

تذكر تفاصيل حياته تلك الأيام، ثم قال: إن الدم الغالى هو الذى يكتب اليوم تاريخ بلادنا، لكننا نريد شيئًا واحداً.. نريد أن يطمئن الشهداء إلى أن الحق الذى يعتز بتضحياتهم لم ولن يهتز بعد ذهابهم، وأن الغايات النبيلة التى ماتوا من أجلها، سنسهر عليها حتى تمتد جذورها فى الأرض، وتعلو فروعها فى السماء.

ولعل الذكريات الأسيفة سبحت به، وتراءت له أمام عينيه صور التعذيب التى نزلت بالشعب الجزائرى يوم الاستعمار، فهتف:

شعب الجزائر مسلم
وإلى العروبة ينتسب
من قال حاد عن أصله
أو قال مات فقد كذبْ

كان يقول دائمًا: «إن الأهداف التى من أجلها مات مليون ونصف المليون من الجزائريين ينبغى أن تبقى وتصان.. وإن الأمور بعدهم ينبغى أن تسير فى هذا المجرى العتيد».. أى وفاء بعد هذا الوفاء؟!.

ولا تزال الكلمات التى نطق بها محفورة فى ذاكرتى.. قال عليه رحمة الله: «إن عائلات الشهداء يجب ألا تفقد من رجالها الراحلين إلا وجوههم فحسب، وما عدا ذلك فالأمة تقوم نيابة عنهم..».

حين حرم من الترشح للانتخابات الرئاسية عام ١٩٩٩م، بدعوى أنه لم يكن أحد مجاهدى أو مناضلى حزب التحرير الوطنى، هاتفته غاضبًا من هذا الإجراء الظالم، فرد علىَّ كعادته وهو يضحك: «لأن أحرم من الترشح للرئاسة خير لى من أن أكون مجاهداً مزوراً»!!.

ضبط النفس والجلد:

بعد أن اختُطف صديقه المقرب الشيخ محمد بوسليمانى، ثم ذبح على يد الجماعة الإسلامية المسلحة، أظهر الشيخ محفوظ جلداً قلما يصبر عليه الرجال، مع أن ضبط النفس بإزاء حادث كهذا ليس بالأمر الهين، إنه يحتاج إلى صلابة فذة وعزم من حديد.

التقيته بمكة المكرمة فى موسم عمرة، وكنت متأثراً بحادثة الشيخ بوسليمانى الذبيح، فحدثته عن الثأر لدم هذا الرجل الكبير، وعن استعدادى للقيام بهذه المهمة مهما كان ثمنها، فبكى وتألقت فى جبينه أشعة شتى من فضائل الصبر والثبات والحكمة، قال لى: يا فلان.. إننا فى فتنة ولا نريد معالجتها بفتنة أخرى. افترقنا وأعدت التفكير بأناة فى دلالات كلماته الهادئة، فأدركت أن للرجل حسًّا عميقًا، وحكمة بالغة لا يؤتاها إلا مثله من الرجال، ولا نزكى على الله أحداً.

الدقة والبساطة والوضوح:

كان خطابه مع العامة والخاصة يمتاز بالدقة والبساطة والوضوح، وكان

عندما يتحدث، يتحدث بعقل الفيلسوف، وعاطفة الأديب، ودقة المشرع، وشجاعة الفارس، وبرّ الوالد، وإيناس الصديق.

كان طلى العبارة وإن لم يزور القول، وشاعر الفؤاد وإن لم يقل شعراً، وهذه وظيفة قيادية لا يرشح لها إلا أولو النباهة والذكاء، وذوو المعادن الفكرية والخلقية الصافية، وكان رحمه الله يحبّ المزاح وبه يدخل إلى القلوب بعيداً عن الحواجز التى يخلقها بعض الناس بينهم وبين غيرهم.

لما علم بمرضى بمرض السكرى – عافاكم الله منه – وقد كان هو الآخر مصابًا به، قال لى مازحًا: أعطيك وصفة تبعدك عن الحلويات،وتحول بينك وبين ما تشتهى، قال لى: لما ترى التمر وكان يعلم أنى أحب التمر كثيراً أقسم بالله ألا تأكله، وبذلك تكون قد أمنت من حلاوته!.

وداعًا أيها الحبيب:

وداعًا أيها الحبيب.. أيها الأب والصديق..

ونعدك أننا لن نتوانى فى أداء واجباتنا التى يسرنا الله لها، وأعاننا عليها، وسنظل من بعدك نساند قضايا الحق، وننصر أهله حتى نلقى الله إن شاء سبحانه صادقين أوفياء.

سنتذكرك لتعود لنا فى عصر الشهوات المهتاجة ذكرياتك الطيبة فى التقى والورع وجمال الإيمان، وتحيا فى أرواحنا معانى الفداء والوفاء والرحمة.

لقد اختارك الله إلى جواره، ونحن بحاجة إليك.. وعواطفنا المتناقضة تتصادم فى الأفئدة مقبلة ومدبرة.. عرتنى رعشة يوم سمعت بوفاتك، لكن لن أقول إلا ما يرضى الله، وسأبقى كما عرفتنى حريصًا على وحدة الصف، فاطمئنّ إلى استقرار الأهداف التى تفانيت لإقرارها، وأن الحركة التى أسستها ستظفر بوضع متناسق فى الداخل، وكرامة موفورة فى الخارج، بإذن الله، ولن نكون طلاب متعة ولا شهرة..

«وإنا لله وإنا إليه راجعون».

ياسر عرفات يعزى بوفاة رئيس حركة مجتمع السلم الجزائرية[١]

بعث الرئيس ياسر عرفات برقية تعزية لحركة مجتمع السلم الجزائرية، بوفاة الأستاذ الشيخ محفوظ نحناح رئيس الحركة.

وقدم سيادته التعازى باسمه وباسم الشعب الفلسطينى لحركة مجتمع السلم الجزائرية كوادر وأعضاء ومناضلين بأخلص وأسمى عبارات التعازى القلبية والمواساة الأخوية المعبرة، سائلاً الله عز وجل أن يتغمد الفقيد الكبير برحمته وأن يسكنه جناته وأن يلهم أهله الصبر والسلوان..

كما بعث سيادته برقية تعزية مماثلة إلى آل نحناح الكرام.

(١) موقع ياسر عرفات – أخبار مكتب الرئيس: رام الله ٢٠/٦/٢٠٠٣م.

محفوظ نحناح فى ذمّة الله

بقلم: يحيى أبو زكريّا

ارتبط اسم الشيخ محفوظ نحناح زعيم حركة حماس سابقا وحركة مجتمع السلم لاحقا بالحركة الإسلامية الجزائريّة منذ بروزها فى الساحة الجزائرية، كامتداد لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين التى أسسّها الشيخ عبدالحميد بن باديس والتى قاومت الفرنسة والتغريب، واستطاعت أن تصون الشخصيّة الجزائريّة ذات البعدين العربى والإسلامى، وقد أتيح لمحفوظ نحناح أن يتعرّف على فكر الشيخين عبدالحميد بن باديس ورفيق دربه الشيخ البشير الإبراهيمى فى مقتبل عمره، بل إنّه تبنى نفس شعار الشيخ عبدالحميد بن باديس «الجزائر وطننا والعربية لغتنا والإسلام ديننا». وعندما كان طالبا فى جامعة الجزائر انفتح محفوظ نحناح على فكر سيّد قطب وحسن البنّا وأبو الأعلى المودودى، وأعجب بتجربة الإخوان المسلمين إلى درجة أنّه أصبح فى وقت لاحق ممثلا للتنظيم العالمى للإخوان المسلمين فى الجزائر.

بدأ الشيخ محفوظ نحناح دعوته الإسلاميّة فى المساجد والثانويات التى كان يدرّس فيها ثم فى المعاهد الجامعيّة، وتعرف خلالها على رجالات الحركة الإسلامية فى الجزائر من أمثال الشيخ أحمد سحنون وعبداللطيف سلطانى والدكتور عباسى مدنى، وفى الستينيّات

(١) موقع مجلة بوابة العرب: ١٠ يوليو ٢٠٠٣م.

والسبعينيّات لم تكن الحركة الإسلامية الجزائريّة منشطرة على نفسها، كان هناك مشروع إسلامى واحد يناى به الجميع: المثقف الإخوانى والمثقف السلفى والمثقف الجزأرى- نسبة إلى الجزأرة - والمثقف الإسلامى عموما، وكثيرا ما كان محفوظ نحناح يلتقى بالدكتور عباسى مدنى أو عبدالله جاب الله أو على بلحاج بدون حرج.

وكانت لمحفوظ نحناح تجربة فى النضال ضدّ سلطة هوارى بومدين وبعده نظام الشاذلى بن جديد قادته إلى السجن مع رجالات الحركة الإسلامية، غير أنّه أطلق سراحه فى عهد الشاذلى بن جديد ليواصل نضاله الإسلامى بدون إطار سياسى، فقد كانت الدعوة الإسلامية فى الجزائر تلقائية عفوية لا تخضع لأىّ تنظيم هرمى أو غيره، فقد كان محفوظ نحناح يجوب الجزائر شرقا وغربا وجنوبا وشمالا، ليقدم دروسا ومحاضرات عن السيرة النبوية والإسلام فى أبعاده الحضارية والصراع الفكرى فى الجزائر بين الأصالة والمعاصرة، بين العروبة والفرانكفونية، بين حزب باديس وباريس فى الجزائر.

ومع بداية التعددية السياسيّة والإعلامية التى أطلقها الرئيس الجزائرى الأسبق الشاذلى بن جديد عقب أحداث خريف الغضب فى ٥ تشرين الأوّل- أكتوبر سنة ١٩٨٨م، اجتمع رجالات الحركة الإسلامية فى الجزائر فى مسجد الأرقم الذى كان يؤمّه شيخ الحركة الإسلامية الجزائرية الشيخ أحمد سحنون للتفكير فى إنشاء حزب إسلامى يجمع كل القيادات الإسلامية فى الجزائر بمختلف توجهاتها، وهنا كان لمحفوظ نحناح موقف

من المسألة، وفى الوقت الذى تأسسّت فيه الجبهة الإسلامية للإنقاذ فى أيلول -سبتمبر ١٩٨٩م بقيادة عباسى مدنى وعلى بلحاج، أسسّ محفوظ نحناح جمعية إسلامية هو ورفيق دربه محمّد بوسليمانى تحولّت فيما بعد إلى حركة المجتمع الإسلامى - حماس-. كان الشيخ محفوظ نحناح ضدّ التوجهات السياسيّة لعباسى مدنى وعلى بلحاج ونهج الجبهة الإسلامية للإنقاذ بشكل عام، فقد عارض الإضراب السياسى الذى دعت إليه جبهة الإنقاذ فى حزيران - جوان - يونيو ١٩٩١م، وبعد اعتقال قادة جبهة الإنقاذ وحلّها إداريا فى شهر آذار - مارس ١٩٩٢م، أصبح محفوظ نحناح وحده فى الواجهة السياسيّة الجزائرية مع رفيقه عبد الله جاب الله الذى أسس حركة النهضة الإسلامية، وقد صنفت السلطة السياسية الجزائرية حركتى نحناح وجاب الله فى خانة الحركات الإسلامية المعتدلة التى يمكن التحاور معها وإشراكها نسبيا فى الحكم، وعبر هذه القناعة السلطوية أصبحت حركة نحناح حاضرة فى البرلمان الجزائرى وأعتبر أهمّ حليف للسلطة الجزائريّة، وكان محفوظ نحناح يبررّ ذلك بقوله: نحن نؤمن بالمرحليّة فى تحقيق مشروعنا الإسلامى، وقد جلب له تحالفه مع النظام الجزائرى سخط أنصار الجبهة الإسلامية للإنقاذ وسخط الجماعات الإسلامية المسلّحة التى كانت ترى فيه شخصا انتهازيا براغماتيًّا نفعيًّا، بينما هو وأنصاره والذين كثير منهم من حملة الشهادات العليا فكان لهم وجهة نظر أخرى تنص على جواز التغيير من الداخل أى التسللّ إلى مواقع النظام لتغييره من الداخل.

غير أنّ آخرين يرون أنّ محفوظ نحناح أعطى السلطة الجزائريّة منذ انقلابها على خيار الشعب وإلغائها الانتخابات التى فازت فيها الجبهة الإسلامية للإنقاذ فى كانون الأول -ديسمبر ١٩٩١م، أكثر مما أعطته السلطة السياسية التى غدرت به وحرمته من المشاركة فى الانتخابات الرئاسيّة بحجة أنّه لم يشارك فى الثورة الجزائرية - ١٩٥٤م وإلى ١٩٦٢م- وهو الشرط الذى كان يجب توفره دستوريا فيمن يرغب للترشح للانتخابات الرئاسيّة. كما أنّ نحناح وقف بقوة إلى جانب الرئيس عبدالعزيز بوتفليقة وطالب أنصاره بمنح أصواتهم لبوتفليقة وليس لأحمد طالب الإبراهيمى نجل الشيخ البشير الإبراهيمى والذى كان يعدّ أبا روحيا وفكريا لنحناح، ومرّت الأيام فإذا بنحناح يوجّه توبيخه لبوتفليقة الذى يحرص على الحديث باللغة الفرنسية حتى مع الفلاحين وطالب بوتفليقة بالامتثال للدستور الجزائرى والتحدث باللغة العربية فقط.

لقد كان محفوظ نحناح يؤمن إلى النخاع بمشروع الدولة الإسلامية، لكن ليس عن طريق العنف والمواجهة بل عن طريق النضال السياسى وخصوصا فى المجتمع الجزائرى الشديد التعقيد والإرباكات، ولم يكن يرى بدًّا فى التعامل مع الانقلابيين الجزائريين إذا كان ذلك يدعو إلى تحصين المشروع الإسلامى فى الجزائر من الانهيار وثمرات الدعوة الإسلامية من الذبول، وهذا ما جلب له الكثير من السخط من كل الدوائر الإسلامية جزائريا وعربيا وإسلاميا، وشئنا أو أبينا فإنّ محفوظ نحناح كان هو حركة حماس وحمس، وحماس وحمس هما محفوظ نحناح. وقد تشهد هذه

الحركة تراجعا كبيرا فى ظلّ غيّاب نحناح، وتشاء الصدف أن يفارق نحناح الحياة بمرض السرطان قبل أيام من إطلاق سراح قادة الإنقاذ عباسى مدنى وعلى بلحاج اللذين قضيّا اثنتى عشرة سنة كاملة فى سجن البليدة العسكرى، واللذين كان فى أمسّ الحاجة إلى نصرة نحناح الذى كان يتجنب الحديث عنهما خصوصا أنّ المؤسسّة العسكريّة فى الجزائر كانت تتحسسّ من أى شخص يورد فى حديثه اسم عباسى مدنى وعلى بلحاج. رحم الله محفوظ نحناح فقد كان دائم الحركة، وسوف يسكن الآن إلى يوم يبعثون!

هذب الدنيا ومات

قصيدة رثاء لشاعر الحركة : أحمد براح

جادت قريحة الشاعر أحمد براح شاعر الحركة بهذه الأبيات الشعرية الرائعة والتي مطلعها :

بكى فؤادى فكل الحسن يختصر ** والراحل اليوم شيخ ريحه عطر

بكى فؤادى فكل الحسن يُخْتصر — والراحل اليوم شيخ ريحه عطر
والراحل اليوم ليثٌ إن أحاط بنا — كيد البغاة وإن عنت لنا النذر
طيف تغلغل فى الأحشاء كنتُ به — مستأنسا يوم حل الروع والخطر
قالوا مرضتَ فلم يهدأ لنا جَفْنٌ — فكيف لو قيل إن السبع يحتضر؟
لِمَ الرحيل ولم نكْمل حكايتنا — لِمَ الوداع ولم تَكْمُل لنا صور؟
لِمَ الرحيل ومازلنا نعانقكم — ودفء حضنك مفتوح لمن ذُعروا
غروب شمسك لاكالشمس إن رحلت — أهكذا سرتَ؟ يا للناس كم خسروا؟
لولا انتظرت! فوردى لا يهدهده — إلا صباحك أنت السقْى والمطر
لمن ستتركنا والدربُ موحشة — بها ضباعٌ على الأبواب تنتظر
لمن ستتركنا فالدار مظلمة — والليل يربدُّ لم يطلع به قمر

ما أسرع السير لو تدرى وقد رسمت — فى القلب ذكراك حين استجمعت عبر
أتترك الشاعر الولهان فى حَزَن — يدميه بعدك هذا الزيف والبطر؟
أنا الذى سوف يكوينى فُراقُكُم — أنا الذى بعدك للدفء أفتقر
من سوف يقدر ملء الفجر بعدكمُ — بالأمنيات إذا ما احتلنا الضجر؟
من سوف يمسح عنا الهمَّ فى دَعة؟ — إن الضحوك على الأكدار مقتدر
هذا الرحيل كأنى لست أمحه — إلا رماحا علينا اليوم تنهمر
هذا الوداع كأنى لست أكتبه — إلا جراحا بهذا الجسم تنصهر
لولا منحتَ فؤادى نظرة وهوى — قبل الأصيل، لم استعجلت ياسفر؟
لولا تدفأت من عينيك مرتشفا — منها الحنان فما أقساك يا قدر
رنين صوتك فى الهيجاء جلجلة — أزداد منها يقينا إن دنا كدر
هذى الدموع دم من صدق نبضتنا — هى الوفاء لمن نحو الذرى عبروا
هى الوفاء لمن قادوا الورى شُهُبًا — هى الوفاء لمن كالشُّم قد كَبرُوا
لمن سأقرأ يا ذا الشيخ قافيتى — وأنت تدرى بأن العُجْم قد كَثرُوا
لربما باع بعضُ القوم عشرتنا — والخائنون كثير حولنا انتشروا
وَقَيْتَنا الريحَ يوم اصَّاعدت فتن — وكنت كالغيث حين اطَّاير الشرر
كل النهايات لا زالت مفتحة — والحاسدون لهذا الحسن قد عثروا

خابوا جميعا فلا زالت توحِّدنا روابط العهد فالإخوانُ ما غدروا
أنقى حكاية حب بيننا نُسجت فدبَّجتها على هاماتنا الدرر
أسبلت عنا جناح الدفء فى محن يوم الرزايا ونارُ البغى تستعر
يا لائمى عن بكاء العين معذرة ما الدمع إلا دم يهمى فينحدر
من يا دواء جراح القلب بعدكم يشفى العليل ومن إن عتَّم الكدر؟
لازال يحتاجك الأحرار فى وطن أخلصت تُفديه يوم اجتيحت الوُكُرُ؟
يَبكيك منبُرك الفواح مكتئبا والناس والطير والأكوان والحجر
كم حاولوا قتل هذا الحق من زمن؟ فلسم الله إذ ما مسكم قذر
وطهَّرتَكَ سَقَامٌ كنت تكتمها فلم يماثل شذى إخلاصكم بشرُ
يا لا ئمى عن دموع لست أجحدها لو ذقت كاسى لجئت الآن تعتذر
كفى بكاءً فجاء الهمس فى أذنى أليس من خوف ربى يسقط الحجر
فلتترك القلب يفضى عن مواجعه ولتترك الدمع للعملاق ينهمر
نحن اليتامى ظننا أن يعود لنا ليثُ المعارك فالأقزام قد ظهروا
مُسائلٌ عنه هل يأتى؟ فلا أمل وكنت كالطفل يهفو حين ينتظر
آتى إليه فقالوا: لا، ستزعجنا وكان يأتيه من شانوه واحتقروا
قلت: اتركونى ولا تُخفوا علىَّ أبًا ليس الذى بين قلبينا سينستر

لِمَ الجفاء؟ دعونى كى أودعه حيًّا فلو مات لاستشرى بى الضرر
ولمْ أزرْك فأرجو لأن تسامحنى لا يُؤلَم الجودُ لكن يؤلم القتر
هذا الذى هذب الدنيا ورتَّبها وأمهل الغرس حتى أينع الثمر
زغردن زغردن مات المنصف امرأة مات الرحيم بِكُنَّ المشرقُ النظر
علَّمتنا الكر حين اشتد نابلهم فلم يولِّ لهم ظهر ولا دبر
علمتنا الكر والدنيا ملغَّمة وقلت سيروا ولكن سيرنا الحذر
قُدت المسير كما العملاق مبتسما والناس ما الناس إلا الجبن والخور
كنا نراك إذا ما الظلمة احتدمت وسط العراك إلى أن هُدِّمت جُدر
وسرت بالدعوة الشماء متَّئدا فنم هنيئا بأن قد أورق الشجر
أدماك جرح فلسطين التى اغتُصبت ودمع جفنيك هطَّال ومنهمر
قد شيبت شعرَ رأسِ الشيخِ كم محن؟ وشيَّب الشيخَ ظُلم الناس والسهر
فقال: حسبى ربُّ الناس مرتجيا حسن الثواب فما ضر الندى إبر
وعاش مدرسةً للناس قاطبة إلا اللئامَ فهم من لُؤمهم صغروا
من صوته بالصلاة اهتز جلجلة؟ إن عتَّم الليلُ أجلى دمعَه السحر
هذى الجزائر بعد الشيخ عابسة أما البليدة فالأكباد تنفطر
بالأمس غادر ذو القبرين منتشيا واليوم ذا جبل قد خصه القدر

ها قد رحلت وما أكملت خاطرتى ... وقد ترى الهمسات الآن تنفجر

إلى اللقاء، فأشجانى تعذبنى ... وبعدكم لم يلطف أنت سمر

إلى اللقاء ودنيانا معتمة ... والشدو مر فما أجلى الجو وتر

وارحل شهيدا إلى العلياء ممتطيا ... ظهر الفخار، فيا آل الهوى افتخروا

دمت الإمام فوالله الذى ملكت ... يمينُه النفسَ إنا فى الوغى صُبُر

يدٌ إلى السيف ترنو غير عابثة ... ومصحفى فى يدى الأخرى سينتصر

سنملأ الكون نورا من توقدنا ... حتى يسائلَ عنا الناس: ما الخبر؟

نعاهد الله أنا الثابتون غدا ... هذا يمين إلى لقياك يُدَّخر

واكتب على صفحات المجد من دمنا ... «يمضى الرجال ويبقى النهج والأثر»

الفهرس

مطابع دار الطباعة والنشر الإسلامية

العاشر من رمضان المنطقة الصناعية ب ٢ - تليفاكس : ٣٦٣٣١٤ - ٣٦٢٣١٣

مكتب القاهرة : مدينة نصر ١٢ ش ابن هانيء الأندلسي ت : ٤٠٣٨١٣٧ - تليفاكس : ٤٠١٧٠٥٣